جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

قداسة المكان في الشعر الجاهلي

إعداد
منال عبد الفتاح حسين شتية

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2017م

قداسة المكان في الشعر الجاهلي

إعداد

منال عبد الفتاح حسين شتية

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2017/05/24م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
1. أ. د. إحسان الديك / مشرفاً ورئيساً	**.....**
2. د. طه طه / ممتحناً خارجياً	**.....**
3. د. عبد الخالق عيسى / ممتحناً داخلياً	**.....**

الإهداء

إلى من علمني الصبر والإصرار على النجاح

أبي.. العزيز

إلى من تحمَّلني دائما بين يديها دعاء متصلاً...للسماء

أمي..نبع الحنان

بكل الحب... إلى رفيق دربي

زوجي.. جزاك الله خيرا

إلى إخوتي وأخواتي كل باسمه

أنتم سقائي بعد الله.. وأنتم المطر

إلى زينة الحياة ونورها.. أبنائي

(ماسه، يعقوب، حسين)

إلى كُلّ البقاع المقدسة في العالم..

إلى الأقصى الصامد بصمود أحراره...

إلى من لأجلها تستحق الحياة.. فلسطين الحبيبة

إليهم جميعا أهدي هذا الإنجاز العلمي المتواضع حبا وتقديرا وعرفانا..

الشكر والتقدير

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، أحمدك ربّي على نعمك التي لا تعد ولا تحصى، وأشكرك بمنّك عليَّ إتمام هذا العمل على الوجه الذي أرجو أن ترضى به عني.

ثم أتوجه بالشكر والعرفان، إلى أستاذي المشرف على هذا البحث، الأستاذ الدكتور الفاضل إحسان الديك، الذي له الفضل على البحث والباحث، فله مني الشكر كله والتقدير.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة، لتفضلهم عليَّ بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد ثغراتها، وتقويم اعوجاجها، فجزاهم الله عني خيراً.

وأشكر الذين ساعدوني وأعانوني، على إنجاز هذا العمل، فلهم في النفس منزلة، وإن لم يسعف المقام لذكرهم فهم أهل للفضل والخير والشكر.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

قداسة المكان في الشعر الجاهلي

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيث ما أن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالبة:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
المقدمة	1
تمهيد: المقدس لغة	5
المقدس اصطلاحاً	6
الفصل الأول: المكان المقدس والفكر	**9**
المبحث الأول: المكان المقدس في الفكر الإنساني القديم	10
المطلب الأول: الكهف	11
المطلب الثاني: الهيكل	15
المطلب الثالث: الحجارة	16
المطلب الرابع: القبر	17
المطلب الخامس: الجبال	20
المطلب السادس: البئر	24
المبحث الثاني: الإرث العربي الجاهلي، والمكان المقدس	26
المطلب الأول: معابد الأصنام	28
الفرع الأول: حرم العزى	28
الفرع الثاني: حرم اللات	30
الفرع الثالث: حرم ذي الخلصة	31
الفرع الرابع: حرم مناة	31
الفرع الخامس: حرم ذي الشرى	33
الفرع السّادس: حرم إساف ونائلة	34
المطلب الثّاني: مكة – المكان المقدس	35

الموضوع	الصفحة
المطلب الثّالث: الأسواق	40
الفرع الأوّل: سوق عكاظ	41
الفرع الثّاني: الأسواق الأخرى	44
المطلب الرّابع: الجبال	45
المطلب الخامس: القبر	49
المطلب السّادس: البئر	53
الفصل الثاني: المكان المقدس في الشعر الجاهلي	**57**
المبحث الأول: الأطلال	58
المبحث الثاني: مكة	76
المبحث الثالث: آلهة الأماكن	90
المبحث الرابع: الأسواق	104
المبحث الخامس: الجبال	106
المبحث السادس: القبور	114
المبحث السابع: الآبار	120
المبحث الثامن: الوديان	124
الفصل الثالث: فضاءات المكان المقدس	**126**
المبحث الأول: فضاء القفر والرفض	129
المطلب الأوّل: الأطلال	129
المطلب الثّاني: القبر	135
المطلب الثّالث: الماء	140
المطلب الرّابع: البئر	141
المطلب الخامس: الآلهة والثّأر	142
المطلب السّادس: الأسواق والأيام	143
المطلب السابع: الجبل	145
المبحث الثاني: فضاء الجذب والحلم	147
المطلب الأول: الطّلل	147
المطلب الثّاني: البئر	150

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: الأسواق	151
المطلب الرّابع: الجبال	152
المطلب الخامس: القبر	158
المطلب السّادس: بيت الإله	159
المطلب السّابع: مكّة والبيت الحرام	160
المبحث الثالث: فضاء القيم	162
المطلب الأول: السّقاية والرّفادة	162
المطلب الثّاني: المنافرات والمفاخرات	164
المطلب الثّالث: الاغتراب والحنين	164
المطلب الرّابع: الانتماء القبلي	165
المطلب الخامس: العظمة والقوة	166
المطلب السّادس: الحكمة والزهد	168
المطلب السّابع: العزَّة والشّجاعة	1701
المطلب الثامن: الأخذ بالثأر	71
المطلب التّاسع: الفخر والكرم	172
الخاتمة	**174**
قائمة المصادر والمراجع	**176**
Abstract	**b**

قداسة المكان في الشعر الجاهلي

إعداد

منال عبد الفتاح حسين شتية

إشراف

أ. د. إحسان الديك

الملخص

تحاول هذه الدراسة استكشاف فلسفة المكان، حينما لا يكتمل المعنى إلا إذا استُرْفِدَ المكان واستخلص منه محمولاته الدلالية، عند الإنسان منذ فجر التاريخ، مع التركيز على قداسة المكان في العصر الجاهلي، الذي كان فيه ينقلب من الطبيعة الساكنة الجامدة إلى كون تمتد متعلقاته إلى الروح والعقل والقلب، كل ذلك تجسد في شعر الشعراء الجاهليين.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، عرضت الباحثة في المقدمة أهمية الدراسة والهدف من اختيارها، والمنهج الذي اتبعته في معالجة النصوص الشعرية.

وتناولت في التمهيد المعنى اللغوي والاصطلاحي للمقدس، ثم عرجت على المكان المقدس والفكر، فجاء في مبحثين: الأول بعنوان " المكان المقدس في الفكر الإنساني القديم "؛ حيث توقفت الباحثة عند علاقة الإنسان بالمكان، و أوضحت إيمانه بوجود قوة خفيَّة في الطبيعة، جعلت بعضا من الأماكن مقدساً.

في حين جاء المبحث الثاني من هذا الفصل بعنوان " الإرث العربي والمكان المقدس " حيث حاولت الباحثة فيه إظهار قداسة المكان في الفكر العربي؛ فاعتقاد الجاهليين بوجود قوة خارقة في هذه الأماكن هو الذي حملهم على تقديسها.

أما الفصل الثاني؛ فقد خصص للحديث عن المكان المقدس في الشعر الجاهلي؛ اعتماداً على مجموعة من الأمكنة التي أحاطها الشاعر بهالة من القداسة، ومنها: الأطلال، ومكة، وآلهة الأماكن، والأسواق، والجبال، والقبور، والآبار، والوديان.

ووُسم الفصل الأخير بـ " فضاءات المكان المقدس"، عرضت فيه كل ما يغلف المكان من علائق، وأشياء، وكائنات وحركات، وكان نتيجة ذلك أن تحلل الفضاء إلى عدة أفضية؛ منها فضاء القفر والرفض،، وفضاء الجذب والحلم، وفضاء القيم.

وأنهيت الدراسة، بخاتمة عرضت فيها النتائج المستخلصة من هذا العمل. أوجزها بما يأتي:

- ظهرت العلاقة القوية بين الإنسان والمكان، فالمكان يتأجج في أغوار الذات الإنسانية، والإنسان يتشبث بالمكان ويُعَظِّمه.
- برزت الأساطير التي عبرت عن قداسة المكان في حياة الإنسان القديم؛ لتكشف عما اختزن في الفكر البشري من معتقدات حملت طابع القداسة لبعض الأمكنة.
- لم يكن الفكر العربي، بعيدا عن تفكير الإنسان القديم فأجلّ بعض الأماكن ومارس طقوسا تعبدية في حضرتها؛ دلت على عظمة المكان في الحياة العربية.

- قُدِّست بعض الأماكن، وعلى أرضها قدمت القرابين والهبات والعطايا.

- كانت مكة من أهم الأماكن التي خرجت من معناها الجغرافي، إلى معناها الروحي؛ فكان لها التأثير الأعظم منذ فجر التاريخ.

المقدمة

أما قبل، فالحمد لله رب العالمين، به نستعين على أمور الدنيا والدين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فيكاد يكون المكان في القصيدة الجاهلية، من أهم الركائز التي تتكون منها القصيدة، ولنا أن نصف على الشعر الجاهلي بالشعر المكاني؛ لأنَّ كلَّ شيء يحدث في مكان لا فكاك منه.

تهتم هذه الدراسة بصلة الإنسان الروحية ببعض الأمكنة التي تكون جغرافيته الروحية؛ فلقد اشترك أصحاب الديانات والثقافات الأخرى، في إسباغ القداسة على مكان خاص، وفي تحديد منطقة مرجعية مقدسة، ما يعرف بالجغرافية المقدسة؛ حيث ينغمر الدنيوي بالمقدس ويرمز إليه، ويشكل هذا جزءاً من التجربة الدينية العميقة للأفراد والجماعات، التي يكون الفكر الرمزي بعدا من أبعادها، وفي التصاق عميق بالشعائر والطقوس التي تنتمي إلى الحقل الرمزي في الفكر.[1]

فإذا انتقلنا إلى معاينة التصّور الديني للجغرافية الروحية لخارطة الكون، فإننا نجده يختلف جذريا عن النظرة الحيادية أو العلمية للمكان؛ فهو يتخذ حكما تفاضليا نحو المكان، ليُحمِّل بعض الأمكنة رسالة مُقدَّسة، فالإنسان ينجذب نحو أمكنة متعددة، ويتعلق بها، لأسباب مختلفة؛ ذلك أن للمكان سطوة على حياته، والسؤال عن المكان مرتبط في الواقع بالوجود الإنساني، هذا الوجود الذي يتحقق دوما في ظل مكان، حيث كان رحم الأم هو المكان الأول الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بآخر، ثم المهد، ثم البيت، ثم أمكنة أخرى.

فمن محاولة الإنسان الدائبة في البحث عن تفسير لقوى الطبيعة المحيطة به ــ وهو مندهش أمام غرابتها، وروعتها، وعظمتها ــ تنشأ العلاقة بين المكان ومختلف المعاني والعادات القولية والأخلاق والسلوك.

---

[1] المظفر، محسن عبد الصاحب: **جغرافية المعتقدات والديانات**، دار الصفاء للنشر، عمان، 2010م، ص47.

ويطلق "كوندراتينكو "على علاقة الإنسان بالمكان والطبيعة، تسمية (العلاقات الفردية الاجتماعية):"التي بوساطتها يجري الإنسان تقويما للأشياء المحيطة به، كأن يسبغ على بعض الأشياء والأمكنة صفة القداسة"[1].

فالمكان يعني للإنسان أشياء عدة، والعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة قوية؛ لأنه الأرض والوطن والمأوى، والانتماء، ومسرح الأحداث.

والاحتفاء بالمكان سواء كان هذا الاحتفاء فرديا أو جماعيا، من الأمور الطبيعية، ومثل هذا الفعل إذا وقع؛ يحمل دلالة واضحة على جِدِّية علاقة من يقومون بهذا الاحتفاء بالمكان المحتفى به.

وقد منح الإسلام أماكن معينة قداسة خاصة ميزتها من غيرها؛ فهناك ذكر في القرآن، في مواضع عدة، للمكان المقدس، " فالله نفسه أعلن مكة مقدسة " [2]، لقوله تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ }[3]، وقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [4]؛ فاكتسب هذا المكان القداسة من الله عز وجل، وكل مسجد تقام فيه الصلاة – لله تعالى – مقدس.

ولم يكن الأدب – أيضا – بمعزل عن هذا، فقد وجد الشاعر نفسه خاضعا لأمكنة لا يستطيع منها فكاكا، وقد انفعل الشاعر الجاهلي مع الأرض بما فيها من نبات وحيوان وغيره، وتمثلها في شعره، وكان للمكان سلطانه على الشعر؛ فالشاعر الجاهلي عانى من المكان وتلذذ به، وعكس رؤيته الداخلية وشعوره الدفين على ما أمامه من أمكنة.

---

[1] جماعة من الأساتذة السوفيات، **أسس علم الجمال الماركسي**، دار فارابي، بيروت 1978، ص 332.

[2] شلحت، يوسف: **بنى المقدس عند العرب قديمه وحديثه**، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1996 م، ص 140.

[3] سورة قريش، آية 3.

[4] سورة الإسراء، آية 1.

ولأن الأدب وعاء تصب فيه القيم الفلسفية والفكرية، نجد أن فلسفة الإنسان حول المكان، كانت وما تزال آية استحضار تفعل فعلها، " وقد نسج العربي حول الجبال والآبـــار، قصصـــا وأساطير، ورسم صورا خيالية في الأحجار، ولم يكن تقديس العربي لهذه المظـــاهر الطبيعيـــة وعبادته لها على أنها تمثل أربابا، ولكن شعوره نحوها لم يكن يعدو الإجلال ". [1]

من هنا وانطلاقا من فكرة تقديس المكان، على مر العصور والأزمان؛ تأتي هذه الدراسة لتحلل ما استقر في اللاشعور، عن صورة المكان المقدس عند الإنسان الجاهلي.

ولعل خصوصية هذه الدراسة، تبدأ من محاولة تجاوز مستوى الوقـــوف الاستعراضـــي على النماذج الشعرية التي تحوي بصورة أو بأخرى موضوع المكان، ما يعني أن الدراسة قائمة على استنطاق القصيدة، بالاستفادة من المنهج الأسطوري وغيره من المناهج.

وللإحاطة بالمكان وقداسته، وإيضاح أثره في الحياة الروحية في العصر الجاهلي، اتبعت المنهج التكاملي، علها بذلك تصل إلى الجذور المتأصلة في عمق الفكر القديم، والتي امتدت إلى الفكر العربي.

وتكمن أهميتها في أن بعض الأمكنة مثَّلت موقع القداسة عند الإنسان على مر العصور؛ فهي التي تركت بصماتها واضحة في مخيلة الشعوب، وقد عبر عنها الإنسان بلغة شعرية، يمدها خيال قوي وثاب؛ فهي تحاول تجسيد صورة المكان المقدس في الأساطير التي ما زالت مكرسة في عقولنا، وتبين أن أقدم علاقة للإنسان بعالمه، هي تلك العلاقة المتشبثة بالتعلق (بالمقـــدس)، وإضفاء معانيه على المكان.

ولم تكن فلسفة المكان بمعزل عن تناول الباحثين لها، وإن كان هذا التناول جـــاء علـــى شكل إشارات سيقت من خلال التعبير الشعري ولأغراض تخدم مقاصد أصحابها في أبحـــاثهم، وممن تناول هذا الموضوع بالبحث، صلاح عبد الحافظ في " الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، " وباديس فوغالي في " الزمان والمكان في الشعر الجـــاهلي "، فكـــان

[1] سالم، السيد عبد العزيز،: **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**،دار النهضة، بيروت، (د. ت)، ص 81.

المكان في هاتين الدراستين وصفا ظاهريا لا يتعدى المعالم الخارجية والمظر الطبيعي وتـأثيره على شخص الشاعر، من هنا جاءت هذه الدراسة محاولة أولى لعرض صورة المكان المقـدس والبحث في جذوره.

وتلتئم الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

تناولت الباحثة في التمهيد المقدس لغة واصطلاحا، وتحدثت فـي الفصـل الأول عـن المكان المقدس عند القدماء، فجاء في مبحثين: الأول بعنوان " المكان المقدس في الفكر الإنساني القديم"؛ حيث توقفت الباحثة عند علاقة الإنسان بالمكان، و سجلت اعتقاده بوجود قوى خفيَّة في الطبيعة دفعته للخوف منها، واتقاء شرّها، وبالتالي تقديسها.

في حين جاء المبحث الثاني بعنوان " الإرث العربي الجاهلي والمكان المقدس "؛ حيـث حاولت الباحثة فيه إظهار قداسة المكان وعظمته في الفكر العربي، فيقين الجاهليين بوجود قـوة خارقة للعادة في هذه الأماكن هو الذي حملهم على تقديسها.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن المكان المقدس في الشعر الجاهلي؛ وذلـك مـن خلال مجموعة من الأمكنة التي لونها الشاعر بألوان القداسة؛ ومنها: الأطلال، ومكـة، وآلهـة الأماكن، والأسواق، والجبال، والقبور، والآبار، والوديان.

ووُسِمَ الفصل الأخير بـِ " فضاءات المكان المقدس " و تحدثت فيه عن فضاء القفر الذي ارتسم في بعض الأمكنة مثل الطلل والقبر، وفضاء القيم الذي كان شبكة للقيم التي تحلـى بهـا المجتمع الجاهلي، وفضاء الحلم والجذب الذي تمنى الشاعر الرجوع إليه ورأى فيه راحته.

وانتهت الدراسة بخاتمة، عرضت فيها أهم النتائج المستخلصة.

وقد حاولت الدارسة، جاهدة أن تحقق هدفها في الكشف عن قداسة المكان فـي الشـعر الجاهلي، وإن استطاعت أن تحقق غايتها، فهذا الأمل والرجاء، وإن لم تستطع فعزاؤهـا أنهـا طرقت الموضوع، وتركت الأبواب مشرعة أمام دراسة أو دراسات أخر، تفـتح آفاقـا جديـدة للبحث والاستكشاف.

تمهيد

المقدس لغة واصطلاحا

المقدس لغةً

عرف الإنسان (المقدس) منذ وجوده، وسعى دائما لمواجهة القلق العميق، الذي يكتنف حياته، داخل كون قذف فيه، وأسلمه للموت.

وقد تجلى ذلك عبر منظومات تعبيرية، سواء أكانت رمزية أم طقوسية عبر عنها بلغته وأشكال عيشه، وفي لسان العرب لابن منظور: المقدس من قدس: التقديس: تنزيه الله عز وجل و"المقدس المبارك. والأرض المقدسة، المطهرة، وقال الفراء: الأرض المقدسة الطاهرة، وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن".[1]

"وقدس، بالتسكين: جبل، وقيل جبل عظيم في نجد، قال أبو ذؤيب:[2]

(الطويل)

فإنَّك حقا أيَّ نَظْرةِ عاشق نظرْتَ، وقُدْسٌ دونها وَوَقِير

وقدس أوُارة: جبل أيضا".[3]

وأشار الزبيدي مقاربا المعنى اللغوي للمقدس بقوله: "القدس (بالضم وبضمتين الطّهر اسم مصدر) ومنه قيل للجنة حظيرة القدس (و) القُدس سيدنا جبريل ــ عليه السلام ــ (كروح القدس)، وفي الحديث أن روح القدس نفث في روعي؛ يعني جبريل لأنه خلق من طهارة، وفي صفة سيدنا عيسى وأيدناه بروح القدس؛ معناه روح الطهارة وهو جبريل. ومنها القدس (البيت المقدس)؛ لأنه يتطهر فيه من الذنوب أو للبركة التي فيه، قال الشاعر:

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مادة (قدس) ج12، ص42.

[2] أبو ذؤيب الهذلي، **ديوانه**، تحقيق: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، 2015م، ص 62.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قدس).

لانـــوم حتـــى تهبطـــى أرض العُـــدُسْ وتشـــربي مِـــنْ خَيْـــرِ مـــاءٍ بقُـــدُسْ

أراد الأرض المقدسة. وقيل أرض مقدسة، مباركة، والقادس القداس، والقادوس، إناء من خزف أصغر من الجرة، يخرج به الماء من السواقي، والجمع قواديس. والقادس البيت الحـــرام، ومن أسماء مكة قادس والمقدسة؛ لأنها تقدس من الذنوب أي تطهر"[1]

وهذا ما أشار إليه ياقوت الحموي قائلا: "المقْدِس في اللغة المنزه، قال المفســـرون فـــي قوله تعالى: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ }[2] ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال الزجاج: معنى نقدس لك، أي نطهّر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه أي نطهّره، قال: ومن هذا قيـــل القَدَس لأنه يُتَقَدَّس منه أي يتطهر، قال:ومن هذا بيت المقدس، وقيل للراهب مقدِّس".[3]، ومنه قول امرئ القيس:[4]

(الطويل)

فأدركْنَـــه يأخـــذن بالســـاق والنَّســـا كمـــا شـــبرق الولـــدان ثـــوب المقـــدِّس

ونستوحي مما سبق، دلالة الأصل اللغوي (قدس) على معاني الطهر والتنزيه، فضلا عن اقترانه بالإطار المكاني من قبيل الجبل

المقدس اصطلاحا

والمقدس عند (أوتو)، "هو شعور يختبر تبديات إله متخيل كشخصي".[5]

وفي موسوعة لالاند الفلسفية، " يُعَدُّ المقدس كل ما يتعين عليه أن يكون موضوع احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين".[6]

---

[1] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المطبعة الخيرية، مصر، 1988م، مادة (قدس)

[2] سورة البقرة، آية 30.

[3] الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دارصادر، بيروت، 1975م، مادة (قدس).

[4] امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 104 .

[5] روسو، هيرفه، **الديانات**، ترجمة: متري شماس، المنشورات العربية، بيروت، 1973، ص23.

[6] أندريه، لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويـــدات، بيـــروت، 1996م، مـــج3، ص1230.

وفي قاموس الأنثروبولوجيا، المقدس هو: " صلة يطلقها المجتمع على أشـياء وأمـاكن وأعمال يعتبرها واجبة الاحترام؛ فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة، أو المعبودات، والقوى فوق الطبيعية؛ أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع؛ ولهـذا فهـي مصونة من العبث أو التخريب" [1].

وتعرف الموسوعة الفلسفية العربية المقدس بأنه: " كل ما لا يمكن تدنيسـه أو تلويثـه، ويمتلك المقدس قوة غامضة تجذب أحيانا، وتنفر أحيانا، وتجذب وتنفر في أحيان أخرى. ويثير المقدس في النفس الخوف والرهبة، والاحترام والخشوع الذي يبعدنا عنه ويرغبنا فيه في الوقت نفسه، وينتج عن مجموعة من المشاعر المختلطة والمرتبطة من: الاندهاش والرغبة، والانجذاب والفضول، والتحفظ والقلق والفزع والخوف؛ مما يجعلنا نحبه ولا نجرؤ على تناوله في الوقـت نفسه " [2]

ويرى رفعة الجادرجي بأن المقدس: " يشير إلى كيان يتجاوز ماهية الأشـياء الدنيويـة ويتمتع بالضرورة بصفتين: أولا، تكمن في هذا الكيان قوة خارقة، لا تخضع لقوانين الطبيعـة، ولا يخضع التعامل معها لقوانين السببية أو العقلانية. ثانيا، وتبعا للصفة الأولى تتصف علاقـة الفرد أو الجماعة مع هذه القوة بأن في إمكانهم أن يضموا صفة المقدس كمقوم في هويتهم؛ ولذا يتمكنون أن يطلبوا منه الحماية والعمل على تأمين بقائهم.[3]

ويبين قاموس روبيرت (robert) أبعاد هذا المفهوم وأهمها:" أن المقدس يرمز إلى أمور وأشياء وكينونات لا تخضع للمعالجة الحسية أو المعنوية من قبل البشر؛ وبالتالي فإن المقـدس كيان ممنوع ومنفصل لا يمكن الاعتداء عليه وذلك بالمقارنة بالدنيوي، وغالبا ما يكون موضوعا للشعور المتنامي بالاحترام الديني المفعم بالتبجيل والاحترام المطلق، ويمتلك قيمة مطلقة لا يمكن أن تلامس أو تغتصب"[4].

---

[1] سليم، شاكر مصطفى: **قاموس الأنثروبولوجيا– انجليزي عربي** –، جامعة الكويت، ط1، 1981 م، ص 93.

[2] زيادة، معن: **الموسوعة الفلسفية العربية**، معهد الإنماء العربي، 1988 م، ص 773.

[3] الجادرجي، رفعة: **العمارة المقدسة**، المستقبل العربي، العدد 251، كانون ثاني، 2000 م، ص 37.

[4] petit Robert: **Dictionnaire. Francais**.Sur C.D

وبذلك يظهر أن المقدس طاقة غامضة مجهولة الطبيعة...كامنة في الأشياء والكائنـــات، متفشية في الكون، وقد درج الإنسان دوما على إعطاء شكل للمقدس، وتحدد ذلك شـــيئا فشـــيئا وصار مقننا.

فكان المكان من رموز القداسة الأولى، وأكثرها انتشارا؛ إذ كان الناس يرون القداسة في الجبال، والأنهار، والمعابد،...وغيرها.

ومنهم من عرف المكان المقدس: " أنه مجال أرضي، معزول عن العالم المدنس، يحظر على الإنسان دخوله عموما؛ لأن روحاً خفية تجلت فيه واتخذته مسكنا لها ".[1]

وأرى أن المكان المقدس: موقع حلت فيه قوه عليا، له أهمية خاصة في المجتمع، فغـــدا مركز عبادة، ارتبط بذكرى دينية، واحتل مع الوقت مكانة سامية، وتحول إلى محـــج أو مقـــرّ، يقوم بزيارته المؤمنون؛ للتبرك، ولإيفاء النذور، وحلّ الخلافات، وأمور متعددة أخرى.

[1] شلحت، يوسف، **بنى المقدس عند العرب**، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1996م، ص 142.

الفصل الأول

المكان المقدس والفكر

المبحث الأول: المكان المقدس في الفكر الإنساني القديم

المبحث الثاني: الإرث العربي الجاهلي، والمكان المقدس

المبحث الأول

المكان المقدس في الفكر الإنساني القديم

مدخل

تعود جذور المكان الفلسفي في الفكر الإنساني القديم إلى إدراك الإنسان له ولوجوده فيه، حيث شكلت الموجودات التي يلحظها حيزا في المكان، ومن هنا يعّدُ المكان محتوى للأجسام، فالبدائي عبر تصوره للمكان يشير إلى مواقع تمثل ظواهر حسية؛ لذا فإن المكان المحسوس هو السائد في فكر تلك المرحلة؛ إذ يتم توزيع المكان الأكبر (الكون) إلى ثلاثة عوالم: العالم العلوي/ السماء، والعالم المنزه الخالد، وتسكنه الآلهة وأنصافها، والعالم الأرضي، الذي يعيش فيه البشر والأحياء، والعالم السفلي، عالم الأموات والظلام مقر الأرواح الشريرة والشياطين.[1]

واتسمت الصورة الذهنية للمكان عند الإنسان البدائي، بأنَّها مظاهر محسوسة، تشير إلى أماكن أو مواقع لها خصائص عاطفية، وكأنها شيء حي، فهي مسالمة أو معادية، مألوفة أو غريبة.

إذ إن الطبيعة بخصائصها ومخاطرها أثرت في ذهنية الإنسان، وبات يخشاها ويتزلف لها، وأصبح الدين الوسط بينه وبينها، وكان التفاعل مكتملا بين الدين والمكان؛ إذ إن أفكار الدين بدورها أثرت في تطور المكان وتغيره.[2]

وتتصدر المعتقدات البدائية، مجاميع الديانات الأخرى على أساس المرحلة التاريخية؛ فهي معتقدات متسعة في أطرها المكانية في المناطق الاستوائية والصحراوية، والجهات الباردة، فمعتقداتها متشابهة، أبرزها المعتقدات الطبيعية والمعتقدات الأرواحية.[3]

مثل هذه الأمور دفعت الإنسان للتدبر في بيئته، وإحساسه الفطن بوجود قوة غيبية لها من القدرة ما يفوق قدرته، تستطيع التحكم في حدوث الظواهر المختلفة.

---

[1] ينظر: الديك، إحسان، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، مجمع القاسمي للغة العربية، باقة الغربية، 2016م، ص 39.

[2] المظفر، **جغرافية المعتقدات والديانات**، ص 21.

[3] ينظر: كايو، روجيه، **الإنسان والمقدس**، ترجمة:سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010م، ص 9ــ11.

وكان لإيمان الإنسان بوجود هذه القوة الخفية في الطبيعة، أن حفّزه لخلق وسيلة للاتصال والتواصل معها، فكان أن قدَّر قيمة بعض الظواهر التي تتمتع بقدرات تفوق تصوره، فرأى في بعضها أنه يحمل الخير له، وفي الوقت ذاته، رأى في بعضها الآخر أنه يحمل مخاوف وأضراراً له، فتقرب منها وذلك أملا في دفع هذا الضرر.

المطلب الأول: الكهف

والكهف هو المجال الأول، الذي عكس شعور الإنسان بالمقدس، فعلى جدرانه، رُسمت الرسوم المشبعة بالجلال، والممزوجة بالخوف والرهبة، و تلخصت في الثور، والبيسون والحصان، وكلها معبودات في الفكر القديم.[1]

وربَّما كان في رسمه هذه الحيوانات، يمارس طقوسا سحرية تساعده في السيطرة عليها، والنجاح في صيدها، وليس هذا فحسب، بل إن هذه الرسوم كانت تحمل طاقات روحية دينية تتصل بمعتقدات ذلك العصر، فهي في اعتقادهم وعاء لقوة ما ورائية.[2]

فالإنسان الذي اعتمر قلبه بالإيمان بأن هناك قوى غيبية تدير الطبيعة وتدبّرها، مضى إلى الكهف يقتبس منه معانيه الروحية.

فرآه رمزا للخلق والولادة، منه انبثقت الأجرام السماوية، وبقعة مقدسة تصوره معبرا بين العوالم الدنيوية والعوالم القدسية،واستمر التاريخ الروحي بين الكهف القديم والهرم؛ فشاع رمز التويج الرباعي في الزخارف المنقوشة على الهرم، وهو الهيئة الطبيعية التي كانت للكهف، وتجسَّد هذا في هرم الشمس الأكبر في المكسيك، أضخم بنية معمارية في أمريكا الوسطى القديمة، و بني فوق مقام ديني بدائي، وكان أساسه كهفا قديما ذا طابع ديني، اتخذ شكل تويج رباعي، يقع تحت مسقط رأس الهرم الأكبر، وشيوع عنصر التويج الرباعي في الزخارف

[1] السواح، فراس، **دين الإنسان**، دار علاء الدين،دمشق، ط4، 2002، ص 147.

[2] مونتاغيو، أشلي، **البدائية**، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1982، ص 17.

المنقوشة على الهرم؛ دلالة على الاتصال الروحي بين الكهف القديم والهرم الذي ورثه. وهذا ما اعتقده شعب الأزتيك حول أحد الكهوف، بأن الشمس والقمر يبعثان منه.[1]

وحملت هذه الرسومات شارات قدسية تربط بين العالمين، حَوَّرت الكهوف إلى مقامات قدسية؛ فالكهف في أساسه مكان موحٍ بكل المشاعر والأحاسيس غير الدنيوية، وبالدخول إلى أعماقه، فإن الإنسان يودع متاع الحياة وزخرفها، ويتصل بعالم روحاني يُنزل عليه الراحة والسكينة؛ وبذلك يتبين أنه بداية لولادة المعبد.

من هذا المنطلق بدأت فكرة التقديس، وكان ذلك بمثابة خطوة أساسية لرسوخ العقائد في العصور التاريخية.

فقد ازدهرت الثقافة السومرية في الجزء الأسفل من حوض دجلة والفرات، وحول الشواطئ العليا للخليج العربي، منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد.[2]

ولذلك فإن ما نسجه الخيال السومري، وأثبته فكرهم؛ يكاد يكون مشابها في المضمون كثيراً من معتقدات الأمم السامية، والشعوب الأخرى.

فغدت فكرة (الخلق والتكوين) في معظم الحضارات التي تلت الحضارة السومرية أساس قيام الكون في حضارات أخرى، أو أنها كانت محفزا لظهورها؛ فبعضها مرتكز على ما قبلها وأخرى معاصرة ومتفاعلة.[3]

وفي الاعتقاد السومري، بعد الانتهاء من عناء الخلق، يخلد أنكي للراحة والسكينة، ويشرع في بناء بيت الرب. الذي يبدو هنا إلها للأعماق بشكل عام، أكثر منه إلها للمياه العذبة الباطنية، فالأسطورة ترسم صورة تذكرنا بالإله بوسيدون إله البحار عند الإغريق، أو نبتون عند الرومان، تقول الأسطورة[4]:

---

[1] السواح، **دين الإنسان**، ص 151.

[2] السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، دار علاء الدين، دمشق، ط11، 1996م، ص 31.

[3] ينظر، **نفسه**، ص31.

[4] ينظر: **نفسه**، ص48، 49.

"بعد أن تفرقت مياه التكوين

وعمت البركة أقطار السماء

وغطى الزرع والعشب وجه الأرض

أنكي، إله الغمر، أنكي، الملك

أنكي، الرب الذي يقرر المصائر

بنى بيته من فضة ولا زورد كأنه النور الخاطف

حيث استقر هناك في الأعماق"

وبعد أن انتهى من بناء بيته، رفع مثل بقية الآلهة العظام من أعماق المياه مدينة له (أريدو).

فبناء البيت للآلهة، أمر في غاية الضرورة، بعد ارتفاع شأنه وعلو مقامه.

ولعل أقدم المعابد التي عثر عليها في أريدو (الطبقة السادسة عشرة) في الألف السادس قبل الميلاد، كان مخصصا لإله الماء والحكمة (أنكي)، وكان معبدا بسيطا يتكون من رواق ومكان مقدس وقدس أقداس. [1]

والمعابد السومرية، أماكن مشتركة للآلهة والكهنة معا؛ فهي بيوت أرضية للآلهة، وكان الكهنة في هذه البيوت خداما للآلهة، يؤدون لهم الطقوس والشعائر، ويوفرون لهم ولتماثيلهم جميع المتطلبات التي كانوا يحتاجون لها. [2]

فبناء المعابد وتمثيلها بالجبال الكونية، وإطلاق تسمية (صلة بين السماء والأرض) عليها؛ تعني استعادة خلق المكان الأول.

---

[1] الماجدي، خزعل، **الدين السومري**، دار الشروق، عمان، 1988م، ط1، ص 35، 36.

[2] نفسه، ص 111-112.

والزاقورات السومرية [1] كانت إحياء لهذا الجبل الكوني (آن ــ كي)؛ فهي من المنظور السومري مركز العالم وسرة الكون، وكانت هذه المعابد تبنى في معظم الأحيان قرب الميــاه أو فوقها تجسيدا للحظة الخلقية الأولى واستعادة لها.[2] مما زاد من قدسية هذه الأمكنة فــي نفــوس السومريين، فجعلهم يسبغون عليها لونا من الربوبية.

بدأت طقوس البناء (البيوت، والقصور، والمعابد)، بوضع أشياء كالتماثيل أو الحروز أو التمائم الطينية والحجرية في أساساتها، لطرد الشرور، وهناك إشارات بسيطة لتقديم الأضــاحي والقرابين وبخاصة عند بناء المعابد، حيث كان بناؤها يعني حدثا عظيما، وكان تهــديم المعبــد يعني إشارة شؤم.[3]

وتحولت هذه المعابد بكل بساطة إلى وسيط رمزي، يلبــي حاجــات رمزيــة روحيــة للإنسان؛ فغدا المعبد في نظر الإنسان السومري مقدسا لأنه أصبح مشبعا بالدلالة؛ إما لأنه يجسد القداسة، وإما لأنه يمتلك جزءاً من روح المُقدّس.

ويمكن إرجاع الفكر الفينيقي إلى الأصول السامية الأولى، والواقع أن ذلك يتجسم أيضا في ارتباط الديانة الفينيقية من حيث أماكن العبادة فيها، ببعض الظواهر الطبيعية وخاصة الجبال والأشجار والمياه، أي بالظواهر الطبيعية، التي كانت تعدُّ تجسيما لقوى مقدسة، ويمكن أن نلمس ذلك في بعض مواقع المعابد الفينيقية؛ فعلى سبيل المثال يقع (أشمون) إله مدينة صيدا على سفح الجبل بجوار نهر الأولي، كما تحيط المعابد لحد كبير بنبع موقع بيبلــوس؛ ممــا يؤكــد تلــك الظاهرة.[4]

وقد كانت موائد القرابين، التي تقدم التضحيات الحيوانية لإرضــاء الآلهــة مــن أهــم تجهيزات المعابد الفينيقية، كما عثر أيضا على بقايا تضحيات بشرية في موقع كفر جرة بجوار

---

[1] الزقورات: المعابد المدَّرجة. مفردها زقورة.

[2] الماجدي، **الدين السومري**، 111، 112.

[3] نفسه، ص 175.

[4] الناضوري، رشيد، **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، دار النهضة، بيروت، (د.ت) ص 142.

صيدا؛ وأغلب الظن أن تلك التضحيات البشرية، كانت تقدم في حالة تواجد أخطار قاسية تهـــدد كيان مجتمع المدينة. [1]

المطلب الثاني: الهيكل

واعتقد سكان بلاد الرافدين، أن مكان سكن الآلهة في السماء، ولكن إذا رغبت النـــزول إلى الأرض، فتكون إقامتها في بيوت كبيرة "الهيكل "، وفي" بابل ونينوي " أشور حظي الهيكـــل بالتقديس منذ الألف الثاني قبل الميلاد، واشتهر هيكل "سن " في حيران وقطنا بمكانة وشهرة منذ (1800 ق.م)، وفي مصر أيضا عُرف هيكل بعل في "بيبلوس" وقُدمت إليه النذور بكميات كبيرة في العصر البرونزي.[2]

والهيكل من الألفاظ الدالة على العبادة، وأصله هو أيكل أي البيت العظيم، شيد في البدء في أمكنة اعتبرت مقدسة، وأقيمت حوله الحواجز والأسوار. واستعمل الهيكل لبيوت الأصـــنام مجازا، وكذا معابد النصارى، وخاصة عند العرب الشماليين، كعرب العراق والشام؛ فهو بمعنى بيت الصنم.[3]

وبنى العبرانيون هياكلهم فوق المرتفعات والتلال، وساد الاعتقاد أن إقامة الهيكـــل فـــي الهواء الطلق يتيح للإله الظهور بمظهر برق يحرق الضحية.[4]

وترد كلمة (هيكل) في اللغة العبرية بغير لفظ، من قبيل " بيـــت همقـــداش؛ أي البيـــت المقدس، وتعني "هيخال؛ أي البيت الكبير، وهي أيضا "هرها بيت؛ أي جبل البيت، وتعني "بيت يهوه؛ بيت الإله يهوه، ويهوه إله اليهود، وحسب الروايات اليهودية، فإن سليمان ــ عليه السلام ــ بنى الهيكل فوق هضبة الحرم أو فوق جبل موريا.[5]

---

[1] الناضوري، **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، 142.

[2] السعد، جودت، **أوهام التاريخ اليهودي**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م، ص 184.

[3] مهران، محمد بيومي، **الحضارة العربية القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008م، ص 473.

[4] روسو، **الديانات**، ص 97.

[5] السعد، **أوهام التاريخ اليهودي**، ص 184.

فإيمان اليهود وانشغالهم بالمطلق والأزلية، جعلهم يعطون دوما شكلا للمقدس؛ فهيكل سليمان هو كعبة اليهود، بُني بعدما استقر نبي الله داود ــ عليه السلام ــ في (أورشليم) بأمر من الرب ــ كما يدّعون ــ وهو يحمل في طياته ملامح جغرافية أسطورية مقدسة، فهو لم يكن إلها لليهود فحسب، بل كان أيضا مركزا روحيا، وعاصمة ملكهم، ومكان عبادتهم.[1]

وفي اعتقادهم أن صفة القداسة قرينة الهيكل؛ إذ تم بناؤه في مركز العالم في وسط القدس، والقدس تقع في مركز الدنيا؛ فقدس الأقداس الذي يقع في وسط الهيكل بمثابة سرة العالم، وأمامه حجر الأساس: النقطة التي خلق الإله العالم فيها،[2] وإليه يحجون، وفيه يتقدسون؛ فهو يمتلك نفسا أو روحا باطنية، خلقه الله بكلتا يديه، بينما خلق السموات والأرض بيد واحدة، و الإله نفسه هو الذي قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه. [3]

كما قدس اليونان الهيكل ومكان تواجده، ومن طقوس تقديسهم، حجهم إلى هيكل (ديانا) في مدينة (أفسوس)، طالبين الخير والرضا، وبدأ حجهم هذا قبل ميلاد المسيح ــ عليه السلام ــ بنحو خمسين قرنا، واستمروا عليه إلى بداية القرن الثاني قبل الميلاد، وبعدها أخذوا يحجون إلى معبد (مينارفا) في (أثينا) عاصمة اليونان، ومعبد (جوبيتر) في (أولمبيا). [4]

ونلاحظ أن قداسة الأمكنة، والممارسة الطقسية المرافقة لها، في الفكر القديم، لا تتعدى كونها محاكاة للطراز الأول من النزاع، وتكرارا للبناء الأسطوري الأول، وعلى هذا الأساس فإن بناء معبد أو مقام ديني؛ هو تكرار لعملية الخلق الإلهي للكون، أو تقليد لها.

المطلب الثالث: الحجارة

عبد البدائي الحجارة وقدسها؛ لأنه رأى أنها تمثل طاقة رمزية، باعتبارها مركزا أو بؤرة تتجمع فيها طاقة روحية.

---

[1] ينظر: نعمة، حسن، **موسوعة مثيولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م، ص 107.

[2] الطل، محمد حماد: **هيكل سليمان وهم الحقيقة**، الناشر: المؤلف، عمان، 2005م، ص 53.

[3] نعمة، **موسوعة مثيولوجيا** وأساطير الشعوب القديمة، ص 107.

[4] الموحي، **العبادات في الأديان السماوية**، ص34.

وعُبِد مكان تواجد الحجر عند الشعوب القديمة، ليس فقط لأن الحجر يمثل القوة والقساوة، أو لأجل مادته؛ وإنما لما يحمله هذا المكان من معان وأبعاد.[1]

ورأت الشعوب القديمة في الحجر، أنه يحمي من الموت؛ ففي أثينا كانت النساء الحبالى يقصدن تلة تدعى (NYMPHES) ويتزحلقن عليها، وهنّ يتضرعن إلى الإله "أبولو" كي يساعدهن في وضع سعيد، كما نظر القدامى إلى الحجارة المتساقطة من النيازك، بأنها رمز للخصب؛ فعملوا على استرضاء أماكنها بتقديم القرابين لها في فصل الربيع؛ كي يضمنوا موسما زراعيا جيدا، وكان لبعض الحجارة معان سحرية؛ فهي تحمل في جنباتها الشفاء والعافية، ونظروا إلى حجارة الشمس أنها تحمي من الأمراض والكوابيس، وإلى حجارة القمر البيضاء أنها تشفي من بعض الأمراض، واعتقدوا أن حجارة مارس (المريخ) تشفي من الجراح، كذلك حجارة فيونس (الزهرة) الخضراء، وحجارة ميركو السوداء، وحجارة جوبتير... كذلك نظر الإنسان إلى بقية الحجارة الكريمة نظرة شفائية؛ منها أحجار: الياقوت والزمرد والدر والفيروز وعين والعقيق والبلور والمرجان وغيرها... [2]

ولقد أفضى هذا إلى تقديس المكان الذي تحل فيه الحجارة وعبادته؛ لوجود طاقة غامضة في هذه الحجارة انعكست على مكانها؛ بحيث تركت أساطيرها ورموزها، آثارا في نفس الإنسان القديم.

المطلب الرابع: القبر

وشاع الاعتقاد عند معظم الشعوب بقداسة (القبر)؛ لما للموت من أثر كبير في نفس الإنسان؛ فالقبر من الأماكن التي لا يمكن اجتثاثها من فكر الإنسان وحياته.

فدفن الموتى نهج اتبعته معظم الشعوب القديمة، من منطلق أن هناك حياة أخرى، تتطلب وجود مكملات، لتكون في متناول خدمته في العالم الآخر ــ هذا ما اعتقدوه ــ؛ حيث عثر في

---

[1] الموحي، **العبادات في الأديان السماوية**، ص 37.

[2] **نفسه**، ص 44.

المدافن والمقابر على أوانٍ وأدوات، استخدمت في الحياة الدنيا؛ ويدل هذا على قيمة القبر وأهميته في نفوسهم. ومنهم من رأى القبر مدفن الأحلام والآمال، وأنه لا حياة فيه بعد الموت. ومنهم من اعتقد بأنه مسكن الأرواح؛ فقدسوه لاجتناب أذاه. [1]

وعلى هذا الصعيد بدا القبر شيئا حقيقيا ذا قوة وقداسة، وعثر على أمثلة من تلك المقابر منتمية لإنسان نياندرتال والمنتمية إلى العصر الحجري الأوسط القديم، وتركت قبائل الحضارة (التازية) في مقابرها الخاصة أباريق مترعة بالغذاء. [2]

وحظيت المقابر السومرية بالاهتمام، وكان لها من الطقوس ما ينبئ عن عظمتها؛ فإما أن تكون تحت أرضيات البيوت أو في القصور الملكية أو في المدافن الكبرى؛ ويعود ذلك إلى المنزلة الاجتماعية للمتوفى، فقد دفن الملك أول الأمر في القصور الملكية، ثم ظهرت فكرة المقابر الملكية، وأشهرها اكتشفت في أور؛ أما عامة الشعب فدفنوا تحت أرضيات البيوت، وأطلق عليها (كيماخ) التي تعني الأرض العظيمة. [3]

وعثر في المقابر السومرية على عدد كبير من الأواني واللقي والخرز والأسرجة والحلي الشخصية والخناجر، إضافة إلى وجود عدد كبير من الهياكل العظمية لرجال ونساء؛ وربما يدل هذا على طقس الزواج المقدس، أو ربما يرجع ذلك إلى تقديم القرابين البشرية للملك، على اعتبار الملك بالنسبة لهم هو الإله. [4]

وعرف عند السومريين طقس (ألمي نقو)، وهو رش الماء على القبر، أو عن طريق أنبوب فخاري ينزل إلى القبر؛ تقديسا له ليبقى نابضا بالحياة، أو لإرواء ظمأ من فيه. [5]

---

[1] ثروت، روحي، **القبر في الشعر الجاهلي**، إشراف: إحسان الديك، مشهور الحبازي، جامعة القدس، القدس، 2001، ص 17.

[2] الناضوري، رشيد: **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، ص 32.

[3] الماجدي، **الدين السومري**، ص 160.

[4] **نفسه**، ص 161.

[5] **نفسه**، ص 162.

وامتدت هذه الطقوس المتعلقة بالقبر إلى معظم الحضارات تقريبا، فـالحثيون اعتقـدوا باستمرار الحياة في العالم الآخر؛ حيث عثر على مقابر تحت أرضيات المنازل. [1]

وأرى أن وجود المقابر تحت أرضيات البيوت، طقس من طقوس القداسة التي اكتسـبها القبر، بحلول الروح فيه؛ فتبقى بركة الروح وخيرها في البيت لا تغادره.

وكذلك الثموديون، كانت قبورهم في بيوتهم، ومن صور تقديسهم للقبـر طقـس إقامـة (الرجوم) بحيث يضعونها فوق القبر، وأحيانا وجدت عليها نقوش، وساد ذلك عند الأنباط، مثـل المقابر التي وجدت في خربة الذريح. [2]

وكان للرجوم دور مهم في حياة الصفويين، أقامها أفراد القبائل في الصحاري، وكلمـا ارتفع الرجم دلّ ذلك على أهمية الشخص المدفون تحته؛ ومما يؤكد قداسة هذه الرجوم وجـود نقوش، وأدعية وصلوات لبعض الآلهة؛ وكانت هذه الطقوس تقديسا وتخليدا للميت، وفي معظـم الأحيان تقام هذه الرجوم إلى جانب الأنهار وفي الأودية؛ وربما يعود السبب إلى قداسة الميـاه، وبالتالي قداسة القبر. [3]

وأطلق الفراعنة على مقابرهم اسم (مقابر السعادة) ؛ يقصدونها حجاجا لتأدية الفـرائض الدينية، ويوفون عندها نذورهم مقدمين لها الذبائح؛ مما أعطاها صفة القداسة. [4]

ويشّع القبر عند المصريين هالة من القداسة على ما حوله، وتشكل الدائرة المحيطة بـه مكانا حراما، فلا يجوز لأحد ارتكاب أي شيء مخالف للخشوع والآداب بالقرب منه، والاعتداء على أي شيء من محتوياته الثمينة، أو تشويه نقوشه؛ ويُعدُّ ذلك من قبيل الكفر والجحود. [5]

---

[1] الناضوري، رشيد: **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، ص 154.

[2] المحيسن، زيدون حمد: **حضارة العرب قبل الإسلام**، وزارة الثقافة، عمان، 2005 م، ص 83.

[3] **نفسه**، 108.

[4] جيار، يوليوس: **الطب والتحنيط في عهد الفراعنة**، تعريب: أنطون زكري، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص 104

[5] **نفسه**، ص 131.

وشيد المصريون الأهرامات قبوراً عظيمة للملوك؛ لإيمانهم ببعث الملك ودخوله مقام الآلهة في السماء؛ فقدسوها ومنها الهرم الذي ضم جثمان فرعون، إذ كان مخصصا للطقوس الإلهية؛ وتتبع قداستها من بناء المعابد إلى جانبها، يتعبد فيها الكهنة ويؤدون فيها مراسم سحرية.[1]

وعلى الرغم من تعاقب الممالك والديانات إلا أن القبر ما يزال يحتفظ بكثير من الاحترام والتبجيل، إلى يومنا هذا، وما زلنا نمارس بعض الطقوس في حضرته، من تشييد، وصب للماء وزراعة الأشجار دائمة الخضرة بالقرب منه، وزيارتنا أيام الأعياد، ووضع الأكاليل، كل ذلك لونه بالقداسة.

المطلب الخامس: الجبال

ومن الأماكن التي حظيت بالتقديس عبر الحضارات المتتابعة (الجبال)؛ إذ وقف أمامها الإنسان مبعثر المشاعر، بها استقرت الأرض بعدما كانت كأمواج البحر؛ فهي مكان الغمر الذي تتركز فيه قوة الأرض عند سكان ما بين النهرين. [2]

وفي الفكر السومري، كانت البداية، جزيرة من اليابسة على صورة جبل، قمته السماء، سيطر الإله (آن) على السماء، واستولى الإله (إنليل) على الأرض.[3]

وأطلق السومريون على العالم السفلي \عالم الأموات اسم (كور)؛ والذي يعني في الأصل الجبل، واستمرارية لقداسة (كور)؛ فقد أطلق على الوحش السفلي الجبار الذي يختطف الآلهة، ومن ثم أصبح يدل على أحد آلهة العالم السفلي. [4]

---

[1] اليازجي، نسيم وكيم: **الحضارات القديمة**، دار علاء الدين، دمشق، 2000م، ص 128.

[2] فرانكوت، هنري: **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، ترجمة: ميخائيل خوري، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 70.

[3] ينظر: السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 33، 34.

[4] الديك، إحسان، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، مجمع القاسمي، باقة الغربية، 2013، ص 70.

و (كور) في دلالتها الرئيسية تدل على الدّوران، وكان الطواف والدّوران حول المعبود من أهم طقوس العبادة؛ مما يوطّد العلاقة المقدسة بينهما.

وللجبل أهمية أسطورية رمزية خاصة؛ ففي (ملحمة جلجامش) كان جبل (الأرز) موطن الآلهة، وقدم له جلجامش وأنكيدو قربانا،متمنين منه أن يمِنّ عليهم بحلم مطمئن. [1] كما جاء في نص الملحمة:[2]

" **أمام الإله شماش (أي في الشمس) حفرا بئرا**

وصعد جلجامش إلى الجبل

وقدم وجبته إلى البئر

وقال أيها الجبل أرسل لي حلما ".

وهناك أيضا جبل (ماشو) الذي عد من الجبال الأسطورية، ويسمى أيضا جبل الشمس، واكتسب هذا الاسم من كونه يراقب شروق الشمس وغروبها، فضلا عن المصاعب التي تواجه من يحاول الوصول إلى قمته، عِلْماً أنه لم يستطع أحد الوصول إليه قبل جلجامش، فقد كانـــت الآلهة معه في كل خطوة، وهذا ما نصت عليه الملحمة: [3]

" **إن الجبل اسمه ماشو**

في وصوله إلى جبل ماشو

الذي يراقب مشرق الشمس ومغرب الشمس كل يوم

وقممهم تصل أطراف السماء

---

[1] النعيمي، أحمد إسماعيل، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، سينا للنشر، مصر، 1995م، ص 165.

[2] الأحمد، سامي سعيد: **ملحمة جلجامش**، (اللوح الخامس – العمود الثالث)، دار الجيل، بيروت، ص 262.

[3] **نفسه**، (اللوح التاسع – العمود الثاني)، ص 388.

ومن الأسفل وصلت صدورهم العالم السفلي

ويحرس بابها الرجال العقارب

الذين رهبتهم مخيفة ونظرتهم هي الموت ".

والجبال مصدر الإلهام والوحي؛ لهذا لجأ الكهان والعرافون إلى قممها، وهي من الأماكن المقدسة التي تحظى بالاحترام والتبجيل؛ كونها مسكن الآلهة وموطنها.

فجبل (البرناس) الأسطوري، في اعتقاد اليونان مسكن لآلهة الفنون[1]، وجبل (زاليـــانو) المؤله عند الحثيين مانحهم المطر. [2]

وفي الأساطير المصرية القديمة، صعد فرعون إلى الجبل، ليلتقي بإله الشمس، وورد في الأساطير الهندية القديمة ما يلي: [3]

" **لا تقترب من الجبل ففيه قوة ذاتية رهيبة وفوقه**

تماما يرمي النجم القطبي ميزانه. أي يضيئه ".

فالإنسان شحن الجبل بمدلول عميق؛ فهو مسكن الآلهة، وهو نقطة التواصل بين العالمين العلوي والأرضي؛ فخاف من الجبل وشعر برهبته وعظمته؛ مما جعله يؤدي سلوكات طقسية لا تدل إلا على قداسة الجبل فكان عليه ألا يمارس الجنس في الأماكن الجبلية، ولا يصـــطاد عنـــد القمم الجبلية العالية. [4]

---

[1] مندور، محمد، **فن الشعر**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ص 32.

[2] كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة العامة للكتاب، القـــاهرة، 1974م، ص 37.

[3] **نفسه**، ص 127.

[4] نعمة، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص 37.

وفي منظومات دينية مختلفة؛ كان الجبل مصدرا للينابيع المائية، وفي بعضها الآخر مكانا للأرواح، ويشكل جبل الأولمب صورة نموذجية لمقام (زيوس). [1]

فانطباع القوة المدركة برؤية الجبل؛ تترجم لنا اعتبار الجبل مكانا مقدسا في مختلف الديانات القديمة والمعاصرة، وفي التراث العبري عدّ الجبل مركز اللقاء بين السماء والأرض وأحيط بالأسرار الغامضة، قال النبي داود ــ عليه السلام ــ في إحدى مزاميره:[2]

" **إني رفعت عيني إلى الجبال، إلى حيث تأتي منها نصرتي**

باركي الرب أيتها الجبال والتلال

صهيون جبل قدس الرب ".

وعلى قمة الجبل، قدم النبي إبراهيم ــ عليه السلام ــ قربانا إلى الله، وكذلك صعد النبي موسى ــ عليه السلام ــ الجبل وكلم الله، وكان صعود الجبل في المسيحية للاعتكاف، فتعانق الروح الإنسانية السماء. [3]

فظهور تجليات إلهية في الجبال، جعلتها مكانا مقدسا عند العبرانيين؛ فهي مهبط الوحي مثل جبل حوريب في طور سيناء؛ إذ نادى الله ــ سبحانه ــ كليمه موسى وأعطاه الشريعة. [4]

(قال: لا تقترب إلى ههنا، اخلع حذاءك من رجليك؛ لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة). [5]

وكذلك صعد اليشع على جبل الكرمل، ومما يدل على تعظيمهم وتقديسهم الجبال، اشتمالها على أماكن للمذبح، حيث تقام الذبيحة أولا، ومكان التابوت ثانيا، كما تتلى الأدعية

---

[1] نعمة، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص 37.

[2] **نفسه**، ص 37.

[3] الكتاب المقدس، **العهد القديم**، سفر المزامير، المزمور (121).

[4] الموحي، عبد الرازق، **العبادات في الأديان السماوية**، الأوائل للنشر، سوريا، 2004 م، ص 27.

[5] الكتاب المقدس، العهد القديم،**سفر الخروج** 3، ص 5.

واللعنات على جبلي (جريزم) و(عيبال). وفي اعتقاد بني إسرائيل أن جبل (صهيون) ملجأ أمين وحصن منيع، وكانت الأماكن العالية بمثابة مزارات يحجون إليها، كتذكار لذبيحة الرب.[1]

وعلى الجبل، عرف السيد المسيح مرحلة الآلام القاسية، وهناك أيضا تحدث عن نهاية العالم، ووجوب التوبة؛ وبهذا أصبح الجبل مقاما للأنوار الإلهية. [2]

المطلب السادس: البئر

فإذا كانت الجبال قد اكتسبت قداستها من كونها نقطة الوصول إلى العالم العلوي، فإن البئر اكتسبت قداستها من كونها نقطة الوصول إلى العالم السفلي.

وكان الإنسان على وعي بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجوده، ويشهد على ذلك، ما كان للبئر من قداسة؛ فهي مصدر للحياة بمياهها؛ فبداية عملية الخلق والتكوين كانت في بئر؛ حيث نشأ الكون من مياه الغمر/ المياه الأولى، هذا ما اعْتُقد في جميع الحضارات وعلى مر العصور؛ فمن الطبيعي أن يتقرب الإنسان منها لأنه رأى فيها قوة الخير. [3]

أما الآبار المهجورة؛ فنظر الأقدمون إليها نظرة تقديس ممزوجة بالخوف، واعتقدوا أنها (مسكونة) بأرواح خبيثة شريرة، أو أن لها حارسا خفيا من الأرواح. [4]

فإذا لم تكن حاملة الماء، فهي حاملة الأرواح؛ إذ هي الطريق إلى العالم السفلي، وفي الفكر السومري (أبسو) هو العالم الأسفل، وهو أيضا مياه الأعماق، ومن طرق الوصول إليه الحفر العميقة.[5]

---

[1] الموحي، **العبادات في الأديان السماوية**، ص 120.

[2] نعمة، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص37.

[3] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 40.

[4] محي الدين، **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ص 156.

[5] الماجدي، **الدين السومري**، ص 55ــ 56.

وفي اعتقاد البابليين أن الروح تصل إلى مياه الغمر عبر نهر (هابور) [1]، أما الروح عند الكنعانيين فإنها تستقر في قاع البحر، وتسلك في الظلمات وفي أعماق الهاوية.[2]

ولذلك نشأت صلة روحية بين الإنسان والبئر؛ كون البئر منهل الحياة وأُسّها، إضافة إلى كون البئر بوابة العالم السفلي، وسبيلا للعودة الأبدية إلى عالم الأصول والبدايات، حيث الغمـــر، ومياه الهيولي التي سيبعث منها الإنسان مرة أخرى.[3]

وتجلت هذه الصلة في إكبار الإنسان للبئر وتقديسها؛ فالمكان المقدس يضع الإنسان في (مركز العالم)؛ لأنه يمثل نموذجا سماويا، وهذا ما تكرسه الجماعة المؤمنة طقسيا في علاقتهـــا الروحية مع أمكنتها المقدسة، هذا ما نجده في الديانة اليونانية القديمة؛ إذ تنوعت الأماكن المقدسة التي تجلت فيها روح الإله ما بين موقد الدار أو موقد البلدية، أو في شق في الأرض يسكنه إله أرضي. [4]

وهكذا فما أن يشعر الناس بأن بقعة ما قد أصبحت مقدسة، حتى يفصلوا بينها وبين مـــا حولها من بقاع دنيوية، لدرجة أن التجلي الإلهي فيها يجعلها في نظرهم مركز الكون، ويشعرون أنها تتيح لهم الاتصال بالآلهة، وهو اتصال ضروري لتكتسب حياتهم الهدف والمعنى؛ لـــذا لـــم يستقر الناس في القديم، إلا في الأماكن التي تمكنهم من هذا الاتصال.

فهذه الأماكن، يمكن أن تلقي في القلب الفزع والهلع، ولكنها كانت في الوقت نفسه ذات قدرة جبارة على اجتذاب الناس، وهي قدرة لا تقاوم؛ فقداسة المكان من المبادئ التي تشترك فيها ثقافات الشعوب، والإيمان بها من العقائد الدينية في حياة الإنسان.

---

[1] السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 221.

[2] الماجدي، خزعل: **الآلهة الكنعانية**، ط4، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 1999م، ص 250.

[3] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 41.

[4] الموحي، **العبادات في الأديان السماوية**، ص 30.

المبحث الثاني

الإرث العربي الجاهلي، والمكان المقدس

للمكان أثره الفاعل في بناء الإنسان الجسمي والنفسي والفكري، بوصفه الحاضنة الأولى التي عبر ملامستها نلامس جملة من العلاقات، تبدأ بتفاصيل الحياة اليومية الصغيرة لتنتهي بالانتماء والهوية.

ولم يكن العربي بمعزل عن غيره، من الأمم والحضارات السابقة، فهو كغيره، تأمل في الطبيعة، وفي شتى ظواهرها، فأحس أن الأرواح تعمرها.

فوقف أمام الغيبيات وغوامض الحياة، يبحث عن مدبر ومرشد إلهي، وسار على خطى من قبله في البحث عن هذا الإله؛ فكانت هناك أماكن إذا وقف فيها انتفض كيانه، فقدس هذه الأماكن كغيره ممن سبقوه؛ لاعتقاده أن الإله أو روحه تسكن فيها.

كانت القبائل العربية وخاصة الشمالية منها في حركة دائمة؛ بحثا عن الكلأ والماء، وكانت معبوداتهم في حركة دائمة ترحل مع المتعبدين، وتستقر عند استقرارهم ومن ثم فعند نزول القبيلة في مكان ما، توضع الأصنام في خيمة – تقوم مقام المعبد عند أهل المدينة – فكانت هذه الخيمة من أهم الأماكن المقدسة عند العربي، كما كان للمكان الذي تثبت عليه حرمة ما دامت الخيمة فوقه؛ حيث كان القوم ينظرون إلى الخيمة نظرة تقديس وإجلال؛ لأنها في اعتقادهم من حرمة الآلهة، وأماكنها وبيوتها المقدسة، التي لا يجوز تدنيسها، ولا انتهاك حرمتها، ومن ثم لم يكن يسمح لأحد بالدخول إليها إلا إذا كان من رجال الدين. [1]

وتطورت النظرة عند العرب القدامى، فأطلقوا على معبد آلهتهم عدة أسماء، فهناك اسم (بيت) (بيت العبادة) فقد ورد في نصوص المسند جملة " وقدسوا بيت مرب " بمعنى قدسوا بيت مأرب، فكلمة (بيت) أطلقت قبل اسم الإله أو المكان لتدل على التخصيص. [2]

---

[1] مهران، **الحضارة العربية القديمة**، ص 469.

[2] **نفسه**، ص 471.

وكان كل سلوك، وكل طقس أو أسطورة، وكل معتقد، يعكس علاقة الإنسان بالقداسة والنجاسة في المكان.

فوجود الأصنام في مكان ما، غلفه بقداسة خاصة، فنشأت عبادة الأصنام عند العرب، عندما نحتوا لأوليائهم صورا وتماثيل، ففي اعتقادهم أن هؤلاء الأولياء، أقرب الخلق إلى الله وأكرمهم درجة، وأعظمهم منزلة، لا سيما وقد ظهرت على أيديهم بعض الكرامات والخوارق، فهم يستحقون أن يكونوا وسطاء بين الله والناس. [1]

وتكاد تتفق الآراء على أن العرب لم تبدأ – بادئ ذي بدء – بعبادة الأصنام، وإنما اتخذتها أولا رمزا للإله أو الآلهة – أو حتى الأشخاص الصالحين منهم – وبمرور الزمن نسي القوم أمر هذه الرموز، فعبدوها من دون الله لأسباب مختلفة، فهناك من عبد – كإساف ونائلة – بسب المسخ، حين ظن القوم أن رجلا وامرأة من جرهم، قد وقع بهم مكروه فمسخا، وهناك من عبد اللات بسب التقمص، حيث يروى أن اللات كان رجلا قد مات، إلا أن عمرو بن لحي أخبر القوم أنه لم يمت، وإنما دخل الصخرة، ومن ثم عبدت. [2]

وبذلك أصبحت هذه الأصنام تُشعر بسحر لا يقاوم... تختلف اختلافا جذريا عن غيرها من الحجارة، فهي ترسم صورة الحياة الباطنية، حتى أصبحت رمزا للحياة الروحية، فإحساسهم بالقداسة تجاه بعض الأصنام، جعلهم يركعون أمامها تتملكهم مشاعر الخوف أو الرهبة، أو الثراء النفسي أو السكينة أو الهلع، وكثيرا من مظاهر قدسية الإله انتقلت إلى مكان تواجده.

وكان لعبادة الأصنام صله بعبادة الأرواح، حيث كان الوثنيون يخاطبون أصنامهم، ويتوسلون إليها، ويقصدون أماكنها يستشيرونها في الأفراح والأتراح لتصورهم أن الروح حلت في هذه الأماكن وأنها تسمع وترى. [3]

---

[1] الشاهين، محمد عمر: **تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام**، دار الفكر. عمان. 2001 م، ص 174.

[2] ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب: **الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م ص9.

[3] الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، مجموعة من المؤلفين: **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الكتاب الثاني، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م. ص 156.

ومنهم من اعتقد أن هذه الأصنام نوع من الجن، فقدموا لها في معابدها بعض الأطعمة كالخبز والزبد. [1]

وأُقيمتَ لها الطقوس والشعائر التي تليق بمقامها، وبمجرد الوصول إليها يدخلون عالم الروحانية، ولنا أن نطلق عليها آلهة الأماكن، ولقداسة هذه الأماكن كان العرب يأخذون أبناءهم الصغار إلى بيت المعبود، ليباركه ذلك المعبود وليعبر لأهله عن قبوله واستلامه. [2]

ومن أشهر هذه الأماكن وأهمها في حياة العربي، حرم العزى، واللات، وذي الخلصة، وإساف ونائلة وغيرها من الأماكن التي اصطبغت بالقداسة والعبودية من وجود المعبود فيها.

المطلب الأول: معابد الأصنام

الفرع الأول: حرم العزى

من الأماكن التي قدسها العرب، وكان لها هيمنة خاصة على أمور حياتهم، ولها إيقاع مميز في حياة الوافد عليها.

كان لمعبد العزى مكانة عظيمة عند العرب، فهو من محجات العرب يقصدونه بين الحين والآخر لطلب حاجة، أو دفع مكروه، أو أي غرض آخر.

ومن مظاهر تقديس العزى، أنهم جعلوا لها حرما يضاهون به حرم الكعبة يقال له(سقام) كانت أشجاره مقدسة يحرم قطعها، لأن شيطانة الآلهة تسكن في جذوعها. [3]

واحتفى الجاهليون بمكان العزى حتى إنهم اعتبروه من شعائر الحج في مكة،فبعد الانتهاء من الحج والطواف حول الكعبة، لم يحلوا حتى يأتوا بيت العزى والطواف حوله والاعتكاف والمكوث فيه يوما كاملا وبذلك يتم حجهم. [4]

---

[1] الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية: **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ص 163.

[2] العماري، فضل: **الدم المقدس عند العرب**، مكتبة التوبة، الرياض. ط1، 2004م، ص25.

[3] ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: **معجم البلدان**، ج4، دار صادر، بيروت، ص116.

[4] بادنجكي، طاهر: **قاموس الخرافات والأساطير**، جروس بدس، لبنان، 1996م، ص162.

وكان لمعبد العزى سدنة يقومون على خدمته ويهتمون بأموره وهم "بنو شيبان " وكان آخر السدنة دبية السلمي. [1]

وكان في هذا الحرم المقدس، مكان يسمى "الغبغب " تقدم فيه القرابين والهدايا،وكان والد خالد بن الوليد يأتي بيت العزى بخير ماله من الإبل والغنم، ويذبحها في هذا البيت، ويقيم ثلاثة أيام معتكفا متعبدا، للاقتراب من العزى والولوج باتجاه امتلاك قوتها فهي من بنات الله كما في اعتقادهم. [2]

وفي معبد العزى كانت تقام مراسم الأعياد والاحتفالات والأفراح المختلطة، فربما استخدم الجاهليون آلات الطرب والغناء في هذا المعبد تقربا للعزى، وقد ورثوا ذلك عن العبرانيين إذ إنهم استعملوا أنواعاً من الآلات الموسيقية في معابدهم [3]، وصاحب طربهم وغناءهم الرقص تمجيدا للآلهة، وكان ماثلا في أصله في السعي بين الصفا والمروة [4]، وما زالت رواسب هذه الأفراح والطقوس ماثلة إلى عهد قريب عند بعض الشعوب السامية، في الاحتفالات بالموالد المحلية في مصر والتي تقام في أوقات معينة من السنة. [5]

وفي معبدها قدموا القرابين البشرية، فكان من عادة بعض القبائل العربية تقديم أجمل أسير لديها إلى العزى، وقد قدم المنذر ملك الحيرة أحد أبناء الحارث، الذي وقع أسيرا في يديه ونحو أربعمئة راهبة قرابين إلى العزى.[6]

وفي بيت العزى شرب العرب الشراب المقدس، "الخمر " باعتبار العزى ربة الخمر، فكان الجاهليون يشربونها قبل شروق الشمس، وكأنهم يؤدون الطقوس التي فرضتها الزهرة.[7]

---

[1] مكي، صادق: **ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، 1991م، ص46.

[2] الخطيب، محمد: **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2004، ص50.

[3] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1955م، ج5 / ص 119.

[4] **نفسه**، ص 122.

[5] عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص34.

[6] علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 6 / ص 198، 199.

[7] أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص 134.

الفرع الثاني: حرم اللات

كما نسج العرب أساطيرهم حول اللات، وهي من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب، فهي صخرة مربعة، كان يهودي يلت عندها السويق. [1]وفسر العرب اسم اللات على أنه من الفعل لاته يلوته أي يحميه من الشرور. [2]

وقد بنت ثقيف فوق اللات بيتا تضاهي به الكعبة المشرفة، فأصبح من البقع المقدسة التي تصل الإنسان بالآلهة، وسموه " بيت الربة "، وقد لجأ العرب إلى هذا الموضع في جميع أحوالهم، وظروفهم، وفي حالات السفر أو الانتظار أو الحرب أو الزراعة والرعي، وكذلك في جزيئات حياتهم، يتعبدون ويطلبون في هذا المكان المقدس، السلام والأمن والغنى والخلاص والثأر ومعاقبة العدو والحاسد، ويتوسلون إعادة من غاب وابتعد، فهم يقصدون هذا المكان في كل أحوالهم، مما يدلل على مكانته في نظرهم، فكان الواحد منهم بعد قدومه من السفر يقصد بيت اللات شاكرا إياها على عودته سالما. [3]

وتمثلت قدسية موضع اللات في أن القوم حرموا قطع أشجار حماه والصيد عنده، ولا يراق دم آدمي فيه، فكأن الحيوان أوالنبات استمد حصانته من قدسية هذا المكان، فكان للات حمى وحرم بجوار الطائف يقصده حجيج مكة. [4]

ولعظمة موضع اللات جعل لها حفرة تسمى" الغبغب" تجمع فيها الهدايا والنذور والأموال التي تقدم لها، تشفعا لخيرها ودرءا لشرها، ويفضي ذلك إلى مدى تأثير هذا المكان وعظمته في نفوس العرب. [5]

---

[1] ابن الكلبي: **الأصنام**، ص 16.

[2] علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج6، ص588.

[3] علي، جواد: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1959م، ج5، ص92.

[4] مهران، **الحضارة العربية القديمة**، ص 362.

[5] علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج5، ص94.

وكان لبيت اللات كسوة كل عام، واتخذت له ثقيف سدنة وخدما يقومون علـــى خدمتـــه وحراسته على نحو ما كان في مكة. [1]

الفرع الثالث: حرم ذي الخلصة

هو بيت مربع على سفوح جبال سراة الحجاز بين مكة واليمن، سمي بالكعبـــة اليمانيـــة تميزا له عن الكعبة المشرفة، التي عرفت بالشآمية، وكان قبلة لقبائل خثعم وبجيلة ودوس ومـــا جاورها من سكان منطقة " تبالة " اليمنية [2]، وكان مخصصا لعبادة الإله " ذي الخلصة " ممـــثلا بمروة بيضاء منقوش عليها تاج.[3]

وحظي هذا البيت بشئ من المنافسة بينه وبين أرفع بيت ديني \ مكة، وكان لهذه الكعبة سدنة وحجاب، وكان يهدى له كما يهدى للكعبة، ويطاف به كطواف الكعبة.[4] وكـــان بيـــت ذي الخلصة من البيوت التي يقصدها الناس للاستقسام فيه بالأزلام، وكان فيه ثلاثة قـــداح: الآمـــر والناهي والمتربص. [5]

وكان رقصهم في هذا المكان، حول حجر(ذو الخلصة) من طقوس تقديسهم له، إضـــافة إلى لبس القلائد، وتقديم الحنطة والشعير وصب اللبن عليه. [6]

الفرع الرّابع: حرم مناة

أما (مناة) فقد نصبت على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد... للأوس والخزرج ومن دان دينهم من أهل يثرب. [7]

---

[1] علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 6، ص 228.

[2] ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله ، **السيرة النبوية**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1972م، ج 1 / ص 30.

[3] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 34.

[4] خان، عبد المعيد: **الأساطير العربية قبل الإسلام**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2005، ص121.

[5] علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج /6 ص 271، 272.

[6] السواح، فراس: **موسوعة تاريخ الأديان**، دار علاء الدين، دمشق، 2004م، ص 295.

[7] ابن هشام، **السيرة النبوية**: ج1، ص 87، 88.

وربما كان موضع مناة بعيدا عن المتعبدين ومنصوبا على ساحل البحر، حتى إذا وصل إليه المتعبد تفرغ لعبادته، وخلع هموم الحياة بعيدا عن هذا المكان، الذي يمنحه الاطمئنان، ويعيد توازنه الداخلي.

أو ربما وضعت مناة قرب البحر، فعظم مكانها تعظيما لأهمية الماء في حياة العرب، فلا بد وأنهم نصبوها إلهة للبحر، وهم الذين اعتقدوا بالقوة الخارقة للبحر، وبـذلك قـدس مكانهـا، وأصبح من محجات العرب يقصدونه طالبين الغيث معتقدين أنه بيت لإله السحب والرياح التـي تأتي بالغيث[1]، وفي هذا المكان كانوا يستمطرون الأنواء[2]، ويذبحون فيه ويهدون له، ومن هداياه يرتزق سدنته.[3]

وتعظيما لبيت مناة كان الناس يحجون إلى مكة، ويقفون مع الناس المواقف كلهـا، ولا يحلقون رؤوسهم، حتى إذا نفروا أتوا بيت مناة وحلقوا رؤوسهم فيه، وأقاموا فيه، وبذلك تكتمل شعائر حجهم.[4]

فربما حلقوا رؤوسهم في معبد مناة قاصدين من ذلك التطهر والعفاف، ففي العهد القديم حلق الشعر دلالة على التطهر، وذُكر ذلك في سفر اللاويين: [5]

"**فيغسل المتطهر ثيابه ويحلق كل شعره ويستحم بماء فيطهر**"

ويظهر حلق الرأس في العهد الجديد مرادفا للتطهر[6]:

"**خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم**"

---

[1] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج3 / ص745.

[2] عبد الرحمن، نصرت: **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي**، دار الفكر، عمان، 1985م، ص 133.

[3] علي، جواد: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج5، ص90.

[4] **نفسه**، ص 90.

[5] **العهد القديم**، الإصحاح 14، الآية 8.

[6] **العهد الجديد**، أعمال الرسل، الإصحاح 21، الآية 24.

وكان كهنة معبد هرقل في قادس أيضا يمشون حفاة الأقدام، حليقي الـــرأس يلتزمـــون العفاف. [1]

الفرع الخامس: حرم ذي الشرى

معبد ذي الشرى من المواضع التي نالت القداسة، لتمثلها في مكـــان خصـــب ينـــبض بالحياة، ويعكس قوته السحرية على قاصديه. [2]

وموطنه الرئيس في البتراء، وهو معبد يشبه الكعبة [3]، كان لبني الحارث بن مبشر ابن الأزد، ويقال له " ذات حمى " فالشرى تحمل في معناها القداسة، فهي ما كان حول الحرم، ومنها أشراء الحرم، والواحد شرى [4].

ومن الأساطير التي دارت حول قداسته وطهارته، " حديث الطفيل بن عمرو لما أســـلم ورجع إلى أهله، فدنت منه زوجته، فقال لها: إليك عني فلست منك ولست مني، فقالت: لم بأبي أنت وأمي؟ فقال فرق بيني وبينك دين الإسلام، فقالت: ديني دينك، فقال لها: اذهبي إلى حَنا ذي الشرى، ويقال حمى ذي الشرى، فتطهري منه " [5].

وكان ذو الشرى إلها شمسيا، ولذلك فإن أنصابه في المعبد موجهة نحو المشرق [6]، وله حمى به ماء يهبط من جبل.[7]

---

[1] فريزر، جيمس: **أدونيس أو تموز**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 101.

[2] ينظر: دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م، ص129.

[3] الروسان، محمود محمد: **القبائل الثمودية والصفوية (دراسة مقارنة)**، مطابع جامعة الملك سعود، الريـــاض، 1987م، ص164.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (شرى).

[5] كدر، جورج: **معجم آلهة العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، بيروت، 2013 م، (ذو الشرى)

[6] عباس، إحسان: **تاريخ دولة الأنباط**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1987 م، ص 129.

[7] جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج6 / ص 275.

يحج الناس إلى بيت ذي الشرى من أماكن بعيدة متقربين متضرعين، في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول من كل عام، فيذبحون فيه، ويقضون أيامهم المعينة، ثم يعودون إلى ديارهم. [1]

الفرع السَّادس: حرم إساف ونائلة

حيكت حول هذين المكانيين قصص كثيرة، تكاد تتفق على أن إسافاً رجل ونائلة امرأة من جرهم، مسخا لأنهما أتيا منكرا، ووضعا عند الكعبة، فأصبح مكان تواجدهما له وشيجة كبيرة بطقوس وشعائر الحج الجاهلي، إذ يبدأ الحاج بموضع إساف (الصفا)، وينتهي بموضع نائلة (المروة)، دلالة على قداسة هذين الموضعين إذ إنهما يرمزان إلى معنى الخصوبة في نظر المتعبدين، وفي هذين الموضعين، يخلع الإنسان ذنوبه وخطاياه بخلع ملابسه ويطوف عاريا [2]، تجسيدا لطقس مقدس.

تبين مما سبق أن هذه الأماكن تركزت حولها مجموعة من الطقوس منحتها القداسة، نتيجة لتلك القوى الخفية الماثلة في الصنم حلقة الوصل بينهم وبين الله _ سبحانه وتعالى – حسب اعتقادهم، ومما يؤكد هذا قوله تعالى{**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** } [3]

وكان لهذه الأماكن الأثر الأكبر في كافة شؤون حياتهم، وكان ذلك مغلفا بطقوس تعبدية، من الحج إليها، والطواف حولها، تبركا بها، مقدمين القرابين ذابحين العتائر فيها، لنيل الرضا ودفع الأذى، ولهذه المواضع عينوا السدنة والحجاب،وفيها ضربوا بالقداح، واستقسموا بالأزلام تكهنا بأمور حياتهم من زواج وسفر، وفيها اعتكفوا وتضرعوا وقت القحط، وفي هذه الأماكن توسلوا النصر في الحرب.

وعلاوة على ذلك جُعل لها حمى مضاهيا لحمى الكعبة، من دخله فهو آمن من إنسان أو حيوان أو نبات.

---

[1] جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج6، ص 180.

[2] الأزرقي: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ج1، ص 117.

[3] **سورة الزمر**، آية 3.

نجد أن هذه البيوت، لم تكن سوى رموز وهياكل مادية في الأرض، لقوى سماوية غيبية، يمارسون فيها طقوسا وشعائر، فهي تعبر عن طاقة منبثة في كل شي، وجديرة بالعبادة والتقديس في اعتقادهم

المطلب الثاني: مكة – المكان المقدس

ارتسمت لمكة ملامح القداسة على مر العصور، فهي من الأماكن التي تخلق في النفس الرعشة الروحية التي تهز الكيان، وتسمو به إلى عالم التصوف والخشوع، فمن رحمها خلق الله الأرض ومنها دحيت، وكعبتها المشرفة هي سرة الأرض ومركزها.

فكان الحج من أهم مظاهر التقديس التي خصت به مكة، وكانت قوافل الحجاج تضم الوثنيين، وغيرهم من الموحدين واليهود والمسحيين، إضافة إلى بعض الشعوب السامية، فهي من أهم الأمكنة في استقطاب العرب.[1]

يزورونها من كل صوب في مواسم معينة، لتأدية طقوسهم التعبدية، إضافة إلى تبادل المصالح المشتركة بينهم من شراء وبيع وغيرها، وقد حافظت مكة على أهميتها الدينية والتجارية منذ أقدم العصور، ومما زاد في أهميتها وقداستها في اعتقاد بعض الباحثين، وجود بئر زمزم في واد غير ذي زرع، لما للماء من أهمية خاصة في حياة البدوي المادية والروحية.[2]

هذا ما جاء على لسان إبراهيم – عليه السلام – {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}[3]

ففي هذا المكان رفعت قواعد البيت الحرام، وأصبح محجّاً للناس، وفيه أيضا أخذت مكة اسمها، وفُسِر ذلك، على أن قبائل الجنوب، هي أول من استعمر هذا الوادي، فاسم مكة أخذ من

---

[1] عسكر، قصي الشيخ: **الأساطير العربية قبل الإسلام وعلاقتها بالديانات القديمة**، دار معد، دمشق، 2007م، ص117.

[2] الخطيب، **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهليّة**، ص 98.

[3] **سورة إبراهيم**، آية 37.

لغة الجنوب، وبينوا أن كلمة (مكة) أصلها (مك) (رب)، ومك تعني البيت، فتكون مكة بمعنى " بيت الرب " أو " بيت الإله "، ومن قال (بكة) على أساس قلب الميم بـــاء، علـــى عـــادة أهـــل الجنوب.[1]

وجاء في (الحاشية) مكة وبكة، وبكة هي الوادي، ومكة لغة أخرى، ومكة في واد غيـــر ذي زرع، ويصح أن يعني الوادي العظيم، أو وادي الرب. [2]

ومنهم من قال أن مكة تعني الهيكل، فهي مأخوذة من كلمة (مقرب) العربية الجنوبيـــة، التي تعني الهيكل. [3]

وقد ذكرت باسم (مكرابو)، والتي تعني المقدسة، مما يوضح قدم قدســـيتها حتـــى فـــي اسمها. [4]

وتتواشج هذه الصورة لمكة مع معان وصور ذهنية حافلة بالأسرار والمعجـــزات التـــي تمنحها دلالات رمزية وقدسية، تتجاوز المدلول الجغرافي إلى القداسة والعظمة.

فارتهانها بالكعبة جعلها على علاقة روحية مع الإنسان، وأكسبها شهرة مرموقة، حتـــى غدت محط أنظار الجميع.

وتوارث العرب أن أول من وضع قواعد البيت الحرام، هو إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وتوحي الآية القرآنية هذا المعنى {**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ{96} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً**} [5].

---

[1] الشريف، أحمد إبراهيم: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار الفكر العربي، القـــاهرة، ص112.

[2] **الحاشية**، ص55.

[3] بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ج1، ص33.

[4] العلي، صالح أحمد: **محاضرات في تاريخ العرب**، دار الكتب، الموصل، 1981م، ج1، ص 102.

[5] **سورة آل عمران**، آية 96.

كما تبين هذه الآية أن الكعبة نالت قداسة عامة، منذ إنشائها، وربما قامت على أنقاض معبد قديم، كان للعماليق، اندثر قبل وصول إبراهيم عليه السلام. [1]

وكان المصريون القدامى يسمون بلاد الحجاز بالبلاد (المقدسة). [2]

ولقد جعلت الروايات من الكعبة المشرفة أسطورة، تستحيل بها إلى مكان معظم عند العرب قبل الإسلام، فجاء أن أول مكان خلق في الأرض هو مكان الكعبة، ثم دحى الله الأرض من تحتها، فهي مركز الأرض ووسط الدنيا وأم القرى. [3]

ومنهم من يقول: أن مكة خلقت يوم خلق الله السموات، فقد عثروا على حجر فيها، كتب عليه " أنا الله رب مكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر ". [4]

واشتد بكاء آدم – عليه السلام – وحزنه لما كان من عِظَم مصيبته، حتى إن الملائكة حزنت لحزنه، فعزاه الله بخيمة من خيام الجنة، وضعها له بمكة في موضع الكعبة، قبل أن تكون الكعبة، وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة، وفيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة، فيها نور يلتهب من نور الجنة، والركن يومئذ نجم من نجومه، فكان ضوء ذلك النور ينتهي إلى موضع الحرم ". [5]

ونسج حول بنائها العديد من الخيوط، فالكعبة بنبت مضاهاة لنموذج سماوي، وهو العرش، وأنها تحتل الوسط من خمسة عشر بيتاً من بيوت العبادة، بالإضافة إلى أن جذورها في الأرض السابعة، وقد ذكرت بعض الأساطير أن الكعبة هي الوجه الآخر ل " الضُّراح " أو البيت المعمور السماوي المقدس، والضُّراح في التوراة نظير المقدس. [6]

---

[1] الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ج 1، ص 128.

[2] مهران، **الحضارة العربية القديمة**، ص 489.

[3] الحوت، محمود سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، دار الكتب، بيروت، 1979م، ص 126.

[4] **نفسه**، ص 127.

[5] الأزرقي: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج1، ص 127.

[6] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، دار الفارابي، بيروت، 1979م، ج2، ص 187.

وبذلك جعلت مكة مكاناً نابضا بالحياة، وفي الكعبة الحجر الأسود حيكت حوله القصص التي جعلته مطلب كل محتاج، فهو ياقوتة من يواقيت الجنة، ناصع البياض سودته خطايا الناس وآثامهم، وهو حجر ناري متوسط الحجم، كان على قمة جبل أبي قبيس، وكان شعاعه ينير لأهل مكة ظلمة الليل،كما يضيء القمر، وكان الناس قبل الإسلام يصعدون إليه، مستبركين به، راجين أن يحقق أمنياتهم، فلما اسود أنزلته قريش من أبي قبيس، وربما كان هذا من أهم الأسباب التي جعلتهم فيما بعد يقدسون جبل أبي قبيس.[1]

وفي رواية أخرى أنه يد الله في الأرض، يصافح بها عباده الصالحين. وفي خبر آخر يُرجعون أصل الحجر إلى قصة المسخ، فكما يعتقدون أنه ملك صالح ثم مسخ، ولذلك فإنه يبعث يوم القيامة وله لسان ويد وأذن وعين.[2] فربما قدس من باب تقديسهم للملك.

ولنا أن نرسم لوحة طقسية، تُخْرِج مكة من معناها الجغرافي إلى معناها الروحي، على جسر من التعظيم والعبادة على مر العصور التاريخية.

ويعد طقس (الحج والعمرة) من أهم الألوان التي تمثل مدى تعظيمهم وتقديسهم لمكة، بما يثيره هذا الطقس في النفس من روابط ومشاعر تتصف بالقوى السحرية.

و يبدأون بالتلبية والتهليل بأصوات عالية، منصهرين في ذات الإله وأيا كان أصل هذه التلبيات، أكانت صراخا يصاحب تقديم القرابين، أم هي ندب على الميت، فهي لا تدل إلا على طقس تعبدي يعظم الكعبة. [3]

وكثير من الأماكن نال نوعا من الاحترام والتبجيل والتقديس، إذ لا تكتمل شعائر الحج إلا بالوصول إليها وتقديم الطقوس التي تليق بمقامها، بِدْأً بعرفة، ثم المزدلفة، إلى رمي الجمرات بمنى، إلى السعي بين الصفا والمروة أي بين إساف ونائلة متبركين بهما، فهذا التنوع

---

[1] عجينة، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ص 239.

[2] ينظر: الديار بكري حسين بن محمد: **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، المطبعة العامرة العثمانية، مصر، 1916م، ص 9.

[3] دغيم، **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ص 198.

المكاني يكرس لنا تجليات المعنى الروحي لهذه الأمكنة المقدسة التي يصبح فيها الفرد رهناً لإشارتها، يمارس في أحضانها أعرافه وطقوسه، فيقدم القرابين، ويحلق شعر رأسه، ويطوف عاريا، فهذه الطقوس تتخطى العقل إلى الوجدان والروح لتمثل مدى تقديسهم وتعظيمهم لها.

هذا فضلا عن أن الحج يعتبر أهم الطقوس التي مورست لتعظيم الكعبة، إلاّ أن هناك سننا استنها الجاهلي، أكسبتها هالات من القداسة لا تبارى.

ومن هذه السنن التي زادت من قداسة الكعبة قبل الإسلام، أنهم لا يدخلونها بحذاء، يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة، فقد روّي أن أول من خلع الخف والنعل، الوليد بن المغيرة إعظاما لها فجرى ذلك سنة. [1]

وكان أهل مكة يتبركون بلمس الحجر الأسود، وتقبيله إذ إن ذلك يقربهم من الآلهة، ويوصلهم إليها، فتجعلها ترضى عنهم، وتشفيهم مما همَّ فيهم من سقم ومرض. [2]

ومن سننهم أيضا أن من علا الكعبة من العبيد فهو حر، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتحاشون بناء البيوت مربعة الشكل تعظيما للكعبة، وذلك من باب عدم مشابهة أي بيت لشكل الكعبة. [3]

وعلاوة على ذلك كان للكعبة (حرم) وكان له مكانة سامية في نفوس الجاهليين، فهو موطن آمن، من دخل فيه صار آمنا، فعظموه، فلا يكون فيه سافك دم، ولا آكل ربا، ولا نمام، وكل ما داخل الحرم مقدس، وبذلك فأشجاره أيضا مقدسة، لا يجوز قطعها ولا احتطابها، سوى أخذ جزء من أغصانها بغرض التبرك بها، وتعليقها تمائم.[4]

وبذلك تجسدت فيه العظمة والتبجيل، وكذلك عظُم الذنب فيه، أما عن كيف حرم الحرم، فهناك روايات مختلفة، منهم من قال " إنه لما خاف آدم – عليه السلام – على نفسه من

---

[1] العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، ص 206.

[2] علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 6، ص 380.

[3] علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 8، ص 312.

[4] الأزرقي: **أخبار مكة**، ص 133.

الشيطان، فاستعاذ بالله، فأرسل الله ملائكة، حفوا مكة من كل جانب ووقفوا حواليها، فحـــرم الله الحرم من حيث كانت الملائكة " [1]

وقد يكون وجود الأنصاب حول الكعبة، لتحديد الحرم نابع من ذلك، فهي حـــدٌ لبدايـــة الحرم، من تجاوزها صار في حرمة الحرم، وفي حماية رب البيت. [2]

ويذكر أن إبراهيم أول من نصب أنصاب الحرم، وأن جبريل – عليه السلام – دله على مواضعها.[3]

وسلك العرب في جاهليتهم طرقا مختلفة تنم عن تقديسهم للكعبة، فقدموا الهدايا والنذور والمنح والقرابين، وتوجهوا إليها بالصلوات والابتهالات.

وبقدر ما احتشد لمكة في الوجدان والخيال، والذهنية والمعاني والصور فـــي التـــاريخ الجاهلي، فإن الإسلام جمّلها بالمعاني والصور وأمدها بفيض من القيمة والدلالة التي تجـــاوزت بها حدود دلالتها الجاهلية

المطلب الثالث: الأسواق

ويبدأ طقس الحج بالأسواق محرمين طائفين، فمن أراد الحج قلّد ناقته قلادة مـــن لحـــاء السمر فيأمن حتى يعود. [4]

وتعد الأسواق من الأماكن المقدسة عند العرب، وأشهرها عكاظ والمجنة وذو المجـــاز، أخذت عظمتها من كونها شعيرة من شعائر الحج، فقد ورد عن الأزرقي قولـــه " لا تحضـــروا سوق عكاظ والمجنة وذا المجاز إلا محرمين بالحج ".[5]

---

[1] الأزرقي: **أخبار مكة**، ص 128.

[2] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**،ج6\ 441 ص.

[3] الأزرقي: **أخبار مكة**، ص 128.

[4] غيث، خالد يوسف: **الطقوس في الشعر الجاهلي**، دار الفتى العربي، كفر قرع، 2013م، ص 92.

[5] الأزرقي، **أخبار مكة**، ج1، ص 67.

فهي من الأماكن التي يكون الحديث عنها ووصفها متعة للنفس، وفائـــدة للعقـــل، فهـــي أماكن تنبض بالحياة، تجعلنا نعيش أحداثها، ونتفاعل معها.

كانت تقام في مواقيت معلومة، من كل سنة، يتوجه إليها الناس من كـــل فـــج عميـــق، فارتبطت العرب بها في جميع جوانب حياتهم، فهي التي تحدد نشاطهم الحيـــوي والاجتمـــاعي والتجاري إلى أن أصبحت شريعة مقدسة يكمن فيها سر الحياة، ويستقر فـــي أعماقهـــا وجـــود الوجود، وهو تقديس نراه فيها في كثير من أمور الحياة.

ففي ظلالها عاش العربي مشدودا إلى عجلة الحياة الاقتصادية والتجارية، دائرا في فلكها الذي يدور فيه سائر الحاضرين، خاضعا لالتزامات العقد الاجتماعي الـــذي وضـــعته، ووفـــاء لرابطة الأعراف والتقاليد التي يلتزم بها الجميع...

وتحتشد الأسواق بفيض من الصور العميقة التي توضح لنا ما كانت عليه حياة العرب، وقد كثرت الأسواق في الجاهلية واختلف أهل العلم والأدب في عددها، فذكر ابن حبيب في كتابه المحبر أنها اثنا عشر سوقا [1]،أما اليعقوبي في كتابه (تاريخ اليعقوبي) قال أنها عشرة [2]، غير أن المرزوقي في كتابه (الأزمنة والأمكنة) ذكر أنها سبع عشرة سوقا [3]، وأيا كان عددها فقد حظيت بالاهتمام والمكانة في حياة العرب.

الفرع الأول: سوق عكاظ

ظفرت سوق عكاظ بالنصيب الأعظم من الاهتمام والاحترام،فهي لم تكن سوقا فحسب، إنما كانت عالما كبيرا قائما بذاته، ولنا أن ندرك أبعاد عكاظ الحقيقية كسياق دلالي يصور لنا هذا العلم في تلك السوق، فهي معرض لبضائعهم وكافة منتجاتهم، ومجمع لحياتهم الفكرية والأدبية، ففيها عرضوا أشعارهم وخطبهم ومواعظهم، وهي ملتقى حافل بـــألوان حيـــاتهم الاجتماعيـــة،

---

[1] ابن حبيب، أبو جعفر محمد: **المحبر**، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت)، ص 263.

[2] اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن اسحاق: **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، 1960م، ج1 / ص 270.

[3] المرزوقي، أحمد بن محمد بن حسن: **الأزمنة والأمكنة**، ضبطه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيـــروت، 1996م، ص 382.

عرضوا فيها تقاليدهم وعاداتهم ومشاكلهم، وهي حلقة سياسية، يعلنون من خلالها حروبهم وصلحهم ومعاهدات الأمن والأمان... فعكاظ تاج على رؤوس الأسواق، لا يوجد سوق توازيها.[1]

وأنشد الجوهري لأبي ذؤيب: [2]

(الوافر)

إذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف

وعكاظ لغة من (عكظ، يعكظه) عكظه (حبسه) وعكظ الشيء يعكظه (عركه) وقال ابن دريد (قهره) بحجته (ورد عليه فخره) قال وبه سمي عكاظ. وقال الأصمعي عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه، كانت تقام سوق العرب في هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوما) قال ابن دريد وكانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون) ما أحدثوا من الشعر ثم يتفاخرون، وزاد الزمخشري على ذلك بأنها مكان للوقائع والحروب. [3]

وقال طريف بن تميم: [4]

(الكامل)

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم

وقيل تعكظ عليه أمره أي (تعسر وتشدد) وتمنع، قال عمرو بن معدي كرب: [5]

---

[1] حمور، عرفان محمد: **أسواق العرب**، دار الشورى، بيروت، 1979، ص 96.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عكظ).

[3] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (عكظ).

[4] الأصمعي،عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**، تحقيق وشرح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1979 م، ص 127.

[5] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (عكظ).

(المتقارب)

فلـــو أن قـــومي أطـــاعو الرشـــا ولـــم يبعـــدوني ولـــم أظلـــم
لكـــن قـــومي أطـــاعو الغـــوا ة حتـــى تعكـــظ أهـــل الـــدم

وتعكظ القوم (تحبسوا ينظرون في أمورهم) قيل ومنه سميت عكاظ، وعن ابـن دريـد التعاكظ التجادل والتحاج.

وتعاكظ القوم تعاركوا ويوما عكاظ من أيامهم، قال دريد بن الصمة: [1]

(الطويل)

تغيبـت عـن يـومي عكـاظ كليهمـا وإن يـك يـوم ثالـث أتغيـب

وقالوا كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنّة فتقـيم فيـه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج. [2]

ونلاحظ مما تقدم أن جميع المعاني تدل على ما كان يجري في السوق، وكأن هذه الكلمة بمعناها اللغوي وجدت لتدل على هذه السوق العظيمة.

فعكاظ المكان الجامد التي كانت لتبادل المصالح التجارية المشتركة، تنقلب إلـى مكـان تمتد متعلقاته إلى الروح والعقل والقلب، ومما زاد في قداستها أنها كانت تقام في الأشهر الحرم، حتى إن الرجل كان يلقى فيها قاتل أخيه أو أبيه فلا يهيجه، وحـدث الصـلح بـين العبسـيين والذبيانيين في سوق عكاظ، فهدئت حرب داحس والغبراء. [3]

وتعتبر سوق عكاظ مقدسة يجب احترام كل ما يحدث فيها، فكانوا يجنحون إلى الوفـاء بمعاملاتهم، خوفا من أن ترفع لهم رايات الغدر في عكاظ، فبمجرد رفعها يعاقب المذنب بعزلـه عن المجتمع، وفي المقابل أيضا رفعت رايات الوفاء مكافأة للوفي، فعامر بن جوين رفعت لـه

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عكظ).

[2] الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، مطبعة السعادة، مصر، 1906 م، ص 203.

[3] الحوت، **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 19.

كندة راية غدر في صنيعه بامرئ القيس بن حجر في وجهه إلى قيصر، ورفعت له فزازة راية وفاء في صنيعه بمنظور بن يسار حيث أقحمته السنة فصار بماله وإبله وأهله إلى الجبلين فأجاره عامر ووفى له، وصار الناس بين حامد له وذام. [1]

وكان لعكاظ رهبة في النفوس، تفرض عليهم احترام والتزام كل ما يحدث فيها، فالقبيلة إذا أرادت أن تخلع أحد أفرادها وتتبرأ منه بسبب أفعاله التي تلحق بها العار، تقف في عكاظ وتعلن ذلك، وبذلك تسقط مسؤوليتها عنه.

وقد خلعت خزاعة (قيس بن الحدادية) بسوق عكاظ، وأشهدت العرب على خلعها إياه من القبيلة لأنه كان يشترك مع أفراد آخرين في القتل والصعلكة. [2]

واحتفال العرب بعكاظ وتقديسها تلونت بألوان متنوعة، فعكاظ ميدان الفرسان حيث تجتمع القبائل ومعها فرسانها، تفاخر كل منها الأخرى، علها تحصل على لقب فارس العرب، وهي أيضا ديوان الشعراء، فالشاعر إذا أراد الشهرة لنفسه ولشعره جاء عكاظ وأنشد شعره، وعكاظ ملجأ ومأوى كل مستغيث ومحتاج. [3]

ومن أهم الشعائر التي جعلت عكاظ محاطة بالتبجيل والقداسة، إضافة إلى ما ذكر سابقا وجود حجارة يحج الناس إليها ويطوفون حولها، طالبين الرضى والخير، متمنيين دفع الضرر والشر.

الفرع الثّاني: الأسواق الأخرى

أما سوقا المجنة وذو المجاز، فهما تتمة لعكاظ وأحداثها، ونالتا القداسة والتعظيم لكون الحج يبدأ بهما، وأن الحضور إليهما قُرِنَ بالإحرام ويكفي بالإحرام تعظيما وتقديسا لهما، وهذا كاف لاتصافِهما بالقداسة. [4]

---

[1] الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 325.

[2] حمور، **أسواق العرب**، ص128.

[3] الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 34.

[4] الحوت، **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 149.

المطلب الرّابع: الجبال

ومن الأماكن التي آمنوا بأنها منبع للقوى الخارقة، فتقربوا إليها، ونظروا إليها نظرة تقديس واحترام، (الجبال) فَضعْف الإنسان وشعوره بعظمة الجبال الشاهقة، جعله يؤلهها، وينسج الحكايات والأساطير حول هذا الجبل أو ذاك، ولعل أشهر الجبال الأسطورية التي كان لها تأثير واضح في الحياة العربية، ذلك الجبل المسمى ب (أبي قبيس).

فهو من الأماكن التي حملت رسالة مقدسة خاصة، إذ إن آدم هو من أطلق عليه هذا الاسم، بعد أن اقتبس منه النار التي بأيدي الناس. [1]

وربما هذا ما جعل للنار قدسية خاصة في الفكر، عبر العصور المتتابعة، وقد أضفى العرب عليها رموزا أسطورية، وخاصة إذا كانت متواجدة في مكان كالجبل، فنار الحرب والإنذار كانت على جبل، وكذلك نار الاستمطار. [2]

ومنهم من يرجع كنية هذا الجبل إلى (قبيس بن سراج) الذي أشعل نار الفتنة والخلاف بين (مضاض ومي) وهما عاشقان، فعندما عزم مضاض على قتل قبيس، اختفى في جنبات هذا الجبل، ولم يسمع له خبر، فربما سمي الجبل بأبي قبيس نسبة له. [3]

ومما زاد في تعظيمه أنه مستودع (الحجر الأسود) الذي كان وما يزال مقترنا بالعبادة والتبجيل، فبينما كان إبراهيم – عليه السلام – يبني البيت، إذ ناداه جبل أبي قبيس: يا إبراهيم، إن لك عندي وديعة فخذها، فلما دنا منه انشق الجبل، وخرج منه الحجر الأسود، فهو جبل ليس عاديا، وناطق أمين مقدس. [4]

---

[1] الحموي: **معجم البلدان**، أبو قبيس، ج1، ص81.

[2] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص 263 – 265.

[3] النعيمي، أحمد اسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 167.

[4] أحمد، خليل أحمد: **مضمون الأسطورة**، ص 56.

ومن الجبال التي اكتسبت رمزا مشبعا بالدلالة على التعالي، حتى أصبح يمثل موقعا للجليل، جبل (قاف)، أبو الجبال وأصلها، منه تفرعت جبال الدنيا، وهو الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿ ق والقُرآنِ المَجيدِ ﴾. [1]

وقد فسرها أهل العلم أن (قاف) جبل عظيم من زمردة خضراء، وقال قوم إن الذي يرى من خضرة السماء مكتسبة من لونه.[2]

وقيل إنه جبل محيط بجميع الأرض فقد " خلق الله تعالى من وراء الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له (قاف) سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات... وذلك قوله تعالى: {وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ [3] } ". [4]

ثم اختلفوا فقال بعضهم إن منه إلى السماء، مقدار قامة رجل، وقال آخرون بل السماء مطبقة...، ومنهم من يقول إن الشمس تغرب فيه، وتطلع منه، وهو الساتر لها على الأرض. [5]

فكل شيء في جبل (قاف)، ضخم كبير، تمتلئ النفس منه رهبة.

أما جبل (ثبير) فهو المكان الذي نزل فيه الكبش الذي فدي به إسماعيل [6]، وإليه صعد لقمان ليأخذ أول نسر له عله ينال الخلود. [7]

---

[1] **سورة ق**، آية 1.

[2] النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 1، ص 219.

[3] **سورة لقمان**، آية 27.

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج 4، ص 221.

[5] المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج2، ص 4)؛ وينظر: النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ص 219.

[6] الأزرقي، **أخبار مكة**، ج2، ص 175.

[7] النعيمي، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 245.

وسمي ثبيراً نسبة إلى رجل من هذيل مات في ذلك الجبل، فعرف الجبل به وكان اسمه ثبيرا، ولعظم هذا الجبل فقد حال بين الشمس والشروق، وكان العرب إذا أرادوا الإفاضة قالوا: (أشرق ثبير كيما نغير). [1]

فهو من المواضع المقدسة عن الجاهليين، وكان على قمته صنمٌ أو بيتٌ، يصعدون إليه لزيارته والتبرك به. [2]

وما يهمنا في (ثبير)أنه كان لهذا الموضع أثر في الحج، وأنه من الأماكن التي يقصدها الحجاج في الجاهلية. [3]

ومن الجبال التي رسّخت قصص الحب والعشق، جبلا (أجأ وسلمى)، فقد قيل إن أجأ بن عبد الحي رجل من العماليق، عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى، وكانت لها حاضنة يقال لها (العوجاء) وكانا يجتمعان في منزلها، حتى نزل بهما أخوة سلمى على الجبل المسمى (سلمى) فقتلوها هناك، فسمي الجبل باسمها، ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين فقتلوها هناك، فسمي المكان بها، ولحقوا أجأ بالجبل المسمى بأجأ فقتلوه فيه، فسمي به. [4]

وأيا كانت مصداقية هذه الروايات، فإن العرب وقفوا أمام الجبال، وقد تملكتهم مشاعر من العظمة والرهبة دفعتهم إلى تقديسها وعبادتها، فلقد سكب العربي على هذا الجبل أو ذاك، ذاتيته المفعمة بخليط من المشاعر.

ونلحظ أن الجبل كان له التأثير الواضح في الحياة الاجتماعية، فهو كالشاعر الذي تفخر فيه القبيلة، أو كالكاهن ملجأهم الروحي. [5]

---

[1] الحموي: **معجم البلدان**، ج2، مادة(ثبير).

[2] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6، ص 387.

[3] علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج5، ص 242.

[4] الحموي، **معجم البلدان**، مادة (أجأ)، ج1، ص 96.

[5] خان، عبد المعيد: **الأساطير والخرافات عند العرب**، ص 59 – 60.

فاعتقدوا أن جبل (أبي قبيس) يزيل وجع الرأس، وكان جبل (خود قور) هو الذي يعلمهم فنون السحر، وأنه المكان الذي يمارسون فيه طقوس السحر. [1]

وعند الجبل تحالف العرب، وكأنه بخلوده ورسوخه يُخَلد الحلف، وما ذلك إلا دليل على قدسية الجبل، (فالصالف) كان طرفا ثالث وحاضنا للحِلْف عند العرب، فقد حالف رجل النبي _ صلى الله عليه وسلم – عند هذا الجبل قائلا: أحالفك ما دام الصالف مكانه ". [2]

وكان للجبل عليهم سلطان حكم، فأقسموا به في أيمانهم، وبذلك فهو رمز مقدس، لا يصدق القائل أو الراوي إلا إذا أقسم بهذا المظهر الكوني، فهيبة الجبل ورهبته وشموخه كانت الباعث لقسمهم به، فقد ذكر الجاحظ أن العرب يقولون في الحلف: " الدم، الدم والهدم الهدم، لا يزيد طلوع الشمس إلا شدا، وطول الليالي إلا مدّا، ما بلّ البحر صوفه، وما أقام رضوى في مكانه " [3].

إذ كان جبلهم رضوى، وكل قوم يذكرون جبلهم، والمشهور من جبالهم، ولتأكيد أيمانهم كانوا يتبعونها بعبارة ما أقام (رضوى). [4]

وتجسد في الجبل العظمة شكلا والمضمونا، ففيه قوة خارقة تفوق قوة البشر مجتمعين، فهو بجهامته المرعبة وصلابته، يثير هواجس الإنسان وينشط وساوسه، فيبدو ضعيفا واهيا أمامه.

فالجبل في تصور العرب مسكن للجن، وخاصة إذا حلّ الظلام المكفهر، فكانوا يخشونه، ويتقون شره. [5]

---

[1] زكي، أحمد كمال: **الأساطير (دراسة حضارية مقارنة)**، دار العودة، بيروت، 1979م، ص 96.

[2] البكري، أبو عبيد: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، دار الكتب، بيروت، 1983م، ج3، ص 824.

[3] الجاحظ: **الحيوان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج4، ص 471.

[4] **نفسه**، ص 150.

[5] القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، دار الإرشاد، بيروت، 1970م، ص 235.

وقد اتجهت قواهم العقلية وتصوراتهم إلى جعل هذا المظهر الكوني مستقرا للأرواح، ومسكنا للآلهة، فكان من الطبيعي أن يتقربوا إلى قوة الخير فيه، وأن يسترضوا قوة الشر، فكانت وسيلتهم في ذلك أن بنوا بيوت العبادة على قمم الجبال لتقربهم إلى الله زلفى.

ومنها (رئام) المقدس، وهو في رأس جبل (أقوى) من أرض همدان كانوا يحجون إليه، ويعظمونه وينحرون عنده [1]، وبذلك اكتسب الجبل القداسة من قداسة هذه البيوت.

وربما علو الجبل وقربه من السماء، هو الذي دفعهم إلى بناء هذه البيوت حتى يصل دعاؤهم وتضرعهم بشكل أسرع، فالدعاء على قمم الجبال ليس كالدعاء من على وجه الأرض[2]، ولذلك وضعت الأصنام على قمم الجبال، ولنفس السبب تحصن الكاهن بمعبده على قممها.

وحظي جبل عرفة (عرفات) بقداسة ورفعة عند العرب، فقد كان الوقوف به من أهم مراسيم الحج قبل الإسلام وبعده،، مما جعله من الأمكنة التي تشد لها الرحال وجوبا بقصد الحج.

وارتبط هذا الجبل بصفحات مهمة في حياة البشر، فقد روي أن آدم وحواء تعارفا بهذا الجبل بعد نزولهما من السماء، وكان مكانا لجماعهما وخلّق ذريتهما، حيث أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بعرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، وأنه تعالى مسح ظهر آدم بنعمان (عرفة) فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، تم أخذ عليهم الميثاق. [3]

وربما اكتسب القداسة لأن على قمته يعترف الإنسان بذنوبه، ويقال كذلك إن جبرائيل عليه السلام عرّف إبراهيم عليه السلام مناسك الحج على قمته. [4]

ومورست طقوس أخرى أضفت على الجبال الربوبية والألوهية، فعلى قممها قدمت القرابين، فأول قربان (كبش الفدا) نزل على جبل،لأن في اعتقادهم أن الجبال مساكن الآلهة، فقدموا على قممها القرابين تقربا للآلهة التي تسكنها.

---

[1] زكي، **الأساطير**، ص 77.

[2] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6، ص 403.

[3] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج 1، ص 134.

[4] الحموي، **معجم البلدان**، ج 4، ص 104.

وارتبط الجبل بالإله الأول والأكبر (إل)، فهو زعيم آلهة الشعوب السامية منذ فجر التاريخ، والإله الأكبر عند العرب الجاهليين، فجبل (إلالاً) الذي يقصده الحجاج قرب مكة، أحاطته هالة من القداسة لصلته بهذا الإله (إل)، وبقي دالاً على الربوبية، وعلى لفظ الجلالة " الله عز وجل " إلى ما بعد الإسلام. [1]

ونخلص إلى أن علاقة العرب بالجبال، تتسم بالجلال والغبطة والخشوع والانبهار والخشية والتطهر، وذلك نتيجة لارتباطها بكل ما هو مقدس في اعتقادهم.

فعملوا على اتقاء أذاها، وترضيتها بالشعائر والدعاء والتعاويذ وتقديم القرابين. [2]

المطلب الخامس: القبر

والعرب كغيرهم من أهل الملل ممن سلف، اهتموا ب (القبر) وعدوه من الأماكن التي نالت حظا من القداسة، على الرغم أنه من الأماكن التي تثير في طوايا النفس الخشية والرهبة، إلا أن له من المراسيم ما يدل على تأثيره على حياتهم.

ويمثل القبر اتساع حدود عبادة الآلهة، فهو لم يعد مثوى للميت فقط، وإنما أصبح مكانا وبيتا يقصدونه للتعبد، وهيئت له متطلبات الآلهة، من طقوس مستمدة روحها وعبقها ولونها من هذا المكان.

فبنيت القبور، وضربت القباب عليها فكانت على شكل أضرحة عالية ثابتة، أو على شكل خيام جسدوا فيها ألوان الحزن والأسى، وطقوساً عقائدية امتدت إليهم من الأمم السابقة [3].

وبمرور الزمن ازداد تعظيم القبور عند العرب، إلى أن أصبحت مزارات ومعظمها كان لرجال دين ولسادات القبائل، يحج إليها الناس، ويلوذون بصاحبها، ويحتمون به، كالذي كان من

---

[1] الديك، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص 59.

[2] النعيمي، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 168.

[3] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج 5، ص 176.

أمر ضريح (تميم بن مرّ)، جد تميم، وحجت قبائل قضاعة إلى قبر كان على مرتفع، زعموا أنه قبر جد قضاعة. [1]

وتجسد هذا عند اليهود والنصارى، فقد اتخذوا قبور أوليائهم وسادتهم مزارات وأضرحة. [2]

ولهذا تشدد النبي – صلى الله عليه وسلم – في تسوية القبور مع الأرض، ومن الحديث: " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ".[3]

وتوسلوا إلى الآلهة بأن تنزل غضبها على كل من يحاول تغيير قبر أو إزالة معالمه، أو دفن ميت غريب فيه، وأن تنزل فيه الآفات والأمراض والهلاك. [4]

فقداسة القبر إنما تستمد من مفهوم سابق مؤسس وراسخ للقداسة، باعتباره مستودعا لقوة قدسية غير محدودة تصدر عن منبع كوني خفي، ويبقى بين الأحياء شارة للقداسة يتقرب الناس إليه زلفى.

ولهذا اعتقد العربي أن القبر مسكن للروح، التي أطلقوا عليها (الهامة والصدى)، فتخيلوها على شكل طائر يبدأ صغيرا ثم ينتهي كبيرا، شبيه بالبومة، وهذه الهامة تناجي الأحياء والأموات، تحلق فوق المقابر، صارخة اسقوني، اسقوني حتى يُؤخذ بثأرها، إذا كان الميت مغدورا. [5]

وأحاطوا القبر بالتقديس، ونظروا إليه بعين التعظيم، فنحروا الإبل عنده – ونحن نعرف أن للإبل منزلة خاصة عند العرب – ولطخوه بالدم، وذلك من عناصر التقرب لهذا المكان، وتنعكس هذه القداسة على الدم. [6]

---

[1] **نفسه**، ص 176.

[2] **نفسه**، ص 169.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري / كتاي المغازي**، دار ابن كثير، 1993م، رقم 24.

[4] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج5، ص 175.

[5] الديك، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص 134.

[6] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6 / ص 48.

إذ كان العرب يعقرون كل عام على قبر ربيعة بن مكدم من كنانة أحد السادة والأشراف. [1]

ومن طقوسهم أيضا في تقديس القبر، أن اختاروا الناقة لتكون الوسيلة الوحيدة لنقل صاحبها إذا نودي للحشر، وسمي هذا الطقس (بحبس البلايا) حيث يربطون الناقة عند قبر الميت ساعة دفنه، معكوسة العنق، ويديرون رأسها إلى مؤخرها، وتترك إلى أن يدركها الموت. [2]

إضافة إلى ذلك، فإن الناس كانوا يحلقون رؤوسهم، ويحدثون جروحا في أجسادهم في حضرة القبر. [3]

كما أنهم صبوا الخمرة على قبور موتاهم، وفي رأيي أنهم مارسوا ذلك لأنهم اعتقدوا أن روح الميت تشاركهم المنادمة.

وقد مثلت الخمرة عنصرا مقدسا عند العرب، فهي شراب الآلهة، التي تبعث فيهم القوة العجيبة الخارقة، وبالتالي فإن روح الميت، تستمد هذه القوة من الآلهة بتناولها شراب الآلهة. [4]

أو أنهم فعلوا ذلك، إرضاء للروح التي تحل في القبر وتبعث فيه القوة،، فقد كان ندماء الأعشى يجلسون على قبره، ويشربون الخمرة، حتى إذا ما جاء دوره سكبوا كأسه على القبر فيبقى قبره رطبا لكثرة ما كانوا ينادمونه. [5]

وربما لذلك ما زلنا نسكب الماء على قبر الميت، وأظن أننا نزرع الأشجار دائمة الخضرة حول القبر وبجانبه، متمسكين بشعاع الخلود، فتبقى روح الميت خضراء، إضافة إلى أن الخضرة تعكس التفاؤل وترمز إلى استمرار الحياة.

---

[1] الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح: محمد بهجة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1970م، ج2، ص 125.

[2] الألوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج2، ص 307؛ وينظر: الديك، **صدى الأسطورة** والآخر، ص 136.

[3] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**، ج6 / ص 48.

[4] البطل، علي: **الصورة في الشعر الجاهلي**، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ص 75.

[5] الأصفهاني، أبو فرج: **كتاب الأغاني**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936م، ج9، ص 129.

فهذه الأماكن (مباركة) كما يزعمون، فالأرواح منتشرة حولها، والبركة تفيض على كل شيء حول القبر، فكان له حمى لا ينتهك، يأمن فيه كل شيء، روى أبو عبيدة عن الحرمـــازي قال: " لما مات عامر بن الطفيل، نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره، لا ينشر فيه ماشية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ ". [1]

فالجاهلي اتخذ القبر مكانا، يعكف عليه، ويحج إليه، ويذبح عنده، ويطوف حوله طالبا ما لا يقدر عليه.

المطلب السّادس: البئر

أما الآبار فقد اتخذت طابع القداسة، جراء صلتها بالماء الذي هو أس الحياة وأساســها، وخاصة في المناخ الذي تتميز به الجزيرة العربية، حيث كان للماء الأثر الواضح فـــي حيـــاتهم الاجتماعية، فكثر انتقالهم من مكان إلى آخر طلبا له، وكان السبب في اقتتال القبائل فيما بينها.

فكان ذلك باعثا لتعظيم المياه ومواردها، وإليها عزوّا روحا تمتلك قوة خارقة للمعتـــاد، تعيد الحياة لكل ما أوشك على الهلاك، فكان العرب إذا حفروا بئرا أو إذا ظهرت لهم مياه عذبة غزيرة، يقدمون إلى آلهتهم الحمد والشكر والنذور. [2]

وذكر القزويني أن بئر عروة في عقيق المدينة كان الناس إذا مروا بها حملوا بعضا من مائها تبركا، وإهداء للأحباب.[3]

فلا بد أن تكون هذه النظرة التقديسية هي التي حملت الجـــاهليين علـــى تقـــديس بئـــر زمزم،وتفضيلها على سواها، فقد قيل: " ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تريد به شفاء شفاك الله، وإن شربته لظمأ أرواك الله، وإن شربته لجوع أشبعك الله " [4]

---

[1] الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، مطبعة السعادة، مصر، 1923م، ص 95.

[2] علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج8، ص 312.

[3] القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص 238.

[4] النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب، القاهرة، 1997م، ج1، ص 318.

بالإضافة إلى أن موقع زمزم ومجاورتها للكعبة، أضفى عليها قداسة أخرى، كامنة في هذه البئر. [1]

وحيك حول حافر البئر الأساطير، التي تصب جميعها في بوتقة واحدة، فحافر البئر هو واهب الحياة لمن حوله، فنرى البئر واقعة تحت سلطان شخصيات روحانية فائقة القدرة، فجبريل يهمز لإسماعيل في عقبه، فينفجر الماء، والهاتف هو الذي يخاطب عبد المطلب، ويأمره بحفر زمزم. [2]

وموروس في حضرة كل بئر حاملة الحياة – الماء – شعائر تطفح بالمعاني والدلالات القدسية.

فبمائها وثقوا أحلافهم، وعندما تحالف المكيون على حلف الفضول، " عمدوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت، فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه.[3] ففاضت قداستها لتشمل أجسادهم، وتشهد على حلفهم وتعظمه لعظمة البئر.

والبئر من الأماكن التي تشع منها الرهبة، فهي المكان الأمثل لتنصيب الصنم عليها، (فهبل) نصب على بئر في جوف الكعبة، و(إساف ونائلة) في موضع بئر زمزم، وكانوا ينحرون عندهما. [4]

وقد وضح إحسان الديك، أن هذا الطقس يعود إلى موروث جمعي، يقوم فيه البشر بالمشاركة مع الآلهة في محكاة عملية الخلق، وإعادة الحياة من لجة الماء، هذا وأضاف إلى أن (هبل) هو إله الخصب والماء، فكأنه (ربٌ) يحمي البئر، وربط بين البئر \ البير و(هبير) المياه الأولى، إذا عدنا إلى أصول اللغات واللهجات السامية. [5]

---

[1] علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 8، ص 318.

[2] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص 261.

[3] الأصفهاني، **الأغاني**، ج 17، ص 290؛ وينظر: الديك، **الماء في الشعر الجاهلي**، ص 69.

[4] النعيمي، **الأسطورة فيالشعر العربي قبل الإسلام**، ص 169.

[5] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 47.

ويتأصل طقس تقديم القرابين والعقر على باب البئر، لحماية الماء إذا وجد في البئر [1].

أو أنهم ظنوا أن هناك قوة خارقة تحل في البئر، فسعوا إلى رضاها، واسترحامها.

فكانوا إذا استعجم عليهم أمر غائب، ذهبوا إلى بئر نضبت ماؤها، ونادوا فيها ثلاث مرات فإذا لم يسمعوا صوتاً تأكدوا بأنه لا رجعة لغائبهم، وإذا سمعوا صدى لأصواتهم رجعوا وفي أنفسهم الآمال والمسرات [2].

وجعل للبئر التي لا يعلم لها رب يحميها، حمى على بعد خمسين ذراعا، ومن حقوق الحمى، أن لا يظلم الناس فيه، ولا يصطاد فيه طير ولا حيوان، لأن أرضه مقدسة فتضفى القداسة والحياة على كل من يدخله. [3]

وصاحب ورودهم الآبار مجموعة من الأغاني، ونرى أن هذه الأغاني ما هي إلا تراتيل سحرية غيبية تليت في هذا المكان المقدس، لنيل الرضا وكف الأذى. [4]

وتوطدت العلاقة بين البئر والقبر، إذا ما نضبت البئر من الماء، فتصبح بوابة العالم السفلي، من خلالها تعبر الأرواح إلى العالم الآخر. [5]

وتجسد ذلك في بئر (برهوت) قرب حضرموت، ماؤها أسود، وقد اتصلت البئر ذات الماء غير الصافي بالسحر، ولهذا السبب علق الملكان في قصة هاروت وماروت فوق بئر[6].

وقد ورد عن علي بن أبي طالب، أن هذه البئر أبغض البقاع على وجه الأرض، وذكِر إنها مقبرة لأرواح الكافرين والمنافقين، فكانوا يقدمون لها شعائر سحرية وغيبية، اتقاء لشر الأرواح التي تكمن فيها. [7]

---

[1] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 48.

[2] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج 3، ص 2.

[3] خان، **الأساطير والخرافات عند العرب**، ص 116.

[4] النعيمي، **الأسطورة في شعر ما قبل الإسلام**، ص 169.

[5] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 43.

[6] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ج 1، ص 261.

[7] القزويني، **عجائب المخلوقات**، ص 236.

وهناك الأخسف، مستودع الهدايا والنذور والعطايا، وهذه البئر حظيت بالقداسة، لأنها تقع داخل البيت العتيق، ولوجود إساف ونائلة بالقرب منها. [1]

ومن العطايا التي كانت تقدم للبئر، إلقاء القرون فيها، وهذا يدل على مدى قداستها، فالقرن مقدس في الفكر، يعود إلى جذور عبادة الإله الأب (القمر) ومما يبرهن ذلك أن عبد المطلب عندما حفر بئر زمزم، وجد قرني غزال، وعلقهما على باب الكعبة تأكيداً على قداستهما. [2]

أما إذا عدنا إلى سبب تسمية هذه البئر بالأخسف، فإنه يرجع إلى حرمتها، حيث يروى أن رجلا من بني جرهم، نزل إلى هذه البئر لسرقة ما فيها من ذهب وفضة، فخسفها الله به، وأنزل حجرا فحبسه بها، وكان على باب الأخسف ثعبان كبير حماها مدة طويلة، بعثه الله حارسا أمينا. [3]

فهذه الشارات القدسية التي تحملها البئر في اعتقادهم، هي التي دفعتهم لاحترامها وتبجيلها.

وخلاصة القول: إن هذه الأماكن المقدسة هي حدود محجوزة للشعائر والعبادات، وعلاقة الإنسان بها تسمو على كل علاقة أخرى.

فالجاهلي يسمو بهذه الأماكن من خلال ربطها بقوة غيبية، وعالم سماوي متسامٍ تقام له الطقوس والشعائر.

---

[1] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص 259.

[2] الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 53.

[3] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص 261.

الفصل الثاني

المكان المقدس في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الأطلال

المبحث الثاني: مكة المكرمة (البيت الحرام)

المبحث الثالث: آلهة الأماكن

المبحث الرابع: الأسواق

المبحث الخامس: الجبال

المبحث السادس: القبور

المبحث السابع: الآبار

المبحث الثامن: الوديان

المبحث الأول

الأطلال

احتلت الأطلال موقعا متميزا في معظم القصائد الجاهلية؛ إذ تقف شامخة في مطالع القصائد، وكأنها السمة التي يعرف بها الشعر الجيد، وكأن القصيدة الخالية من الطلل قصيدة مبتورة؛ فالطلل هو البسملة التي يبدأ بها الشاعر قصيدته.

واتخذ الوقوف على الأطلال شكل الصلاة الواحدة التي يشارك فيها الشعراء الجاهليون المجتمع الجاهلي، معبرين عن تعلقهم بذلك المكان الذي ما إن وقفوا فيه إلا وذرفوا الدموع؛ لما تحمله نفوسهم من تقدير وتعظيم لهذا المكان، وكأنه المتنفس لهمومهم وقلقهم.

فوقوفهم على الأطلال باكين مستبكين وشاكين، إيمان حقيقي بالمقدس؛ إذ إنهم يبكون (الفردوس المفقود) كما في اعتقادهم، فبكاؤهم يعكس شعورهم بالاغتراب والحنين إلى الوطن. [1]

وكان الفكر السامي رحما لولادة هذه الطقوس التي مارسها الشاعر الجاهلي في حضرة الطلل، وهذا ما نلمحه حين كان الكالو/ النّداب، يبكي أسوار مدينة أوروك التي رحل أهلها، وفنيَ مجدها. [2] يقول: [3]

" بنى أسوار أوروك المحصنة

وحرم (أي – انا) المقدس والمعبد الطاهر

فانظر إلى سوره الخارجي تجد أفاريزه تتألق كالنحاس

وانعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء

واستلم (أمسك) اسكفّته الحجرية الموجودة منذ القدم

---

[1] القيسي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 261.

[2] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 144.

[3] باقر، طه: **ملحمة كلكامش وقصص أخرى**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980 م، ص 74.

أعل فوق أسوار أوروك

وامش عليها متأملا

تفحص أسس قواعدها وآجر بنائها ".

فالطلل لب المكان لدى الشاعر الجاهلي، لا يفنى ولا يزول وإن غادره الأهل والأحباب، وإنما يبقى نابضا بالحياة في نفس الشاعر؛ فهو يمثل نموذجا عقديّاً في العصر الجاهلي، فرضته البيئة الصحراوية. [1]

ومن أهم الشارات التي تبين لنا مدى قداسة هذا المكان أنسنته؛ فالشاعر يضفي عليه صفات إنسانية، فيخاطبه ويتحدث إليه، وفي ذلك حقيقة وعيه بهذا المكان وتقديسه له، وإحساسه به؛ فهو منحه الحياة رغم اندثاره وخرابه، محاربا قلقه وخوفه من الموت والفناء. [2]

وفي ذلك يقول عنترة بن شداد: [3]

(الكامل)

هلْ غادرَ الشُّعراءُ منْ مُتَرَدَّمِ أم هل عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوهُّمِ

ويقول امرؤ القيس: [4]

(السريع)

يا دارَ ماويَّةَ بالحَائِلِ فالسَّهْبِ فالخَبتينِ من عاقِلِ

وتوحي مخاطبة الإنسان للطلل إلى العلاقة العميقة بينهما، وهذا ما يعطي الطلل أهمية خاصة.

---

[1] عسكر، **أساطير العرب قبل الإسلام**، ص 109.

[2] ربابعة، موسى: ***نماذج من الخطاب المجازي في الشعر الجاهلي***، **مجلة جذور**، مج 2 / ج4، سبتمبر / 2000م.

[3] عنترة بن شداد، **ديوانه**، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، 2004، ص11.

[4] امرؤ القيس، **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 148.

يقول زهير بن أبي سلمى: [1]

(الكامل)

لمَـــنِ الـــديّارُ، بقُنَّـــةِ الحِجْـــرِ؟ أقـــوَينَ، مـــن حِجَـــجٍ، ومـــن شَـــهْرِ

فسؤاله ومخاطبته للأطلال، يجسم أعمق تجليات القداسة؛ إذ إنه يمنحها الديمومة والخلود ويعيد إليها التوهج الإنساني، وفي ذلك يقول دريد بن الصمة: [2]

(الوافر)

لمَـــنْ طَلَـــلٌ بـــذاتِ الخَمْـــسِ أمْســـى عفـــا بـــين العَقيـــق فَـــبَطْنِ ضِـــرْسِ

وفي مخاطبة الشاعر للأطلال وحديثه معها، ينتظر الإجابة ويجزع إذا لم تجبه، ويطالعنا امرؤ القيس ذلك بقوله: [3]

(الطويل)

ألمَّـــا علـــى الرَّبْـــع القـــديمِ بِعَسْعَســـا كـــأني أنَـــادي أن أكَلَّـــمَ أخرْسَـــا

ويقول عنترة العبسي: [4]

(الكامل)

أعْيِـــاكَ رَسْـــمُ الـــدَّارِ، لَـــم يَـــتَكلّمَ حتَّـــى تكلَّـــمَ كالأصـــم الأعْجَـــمِ

فالشاعر يخاطب الديار ويتوسل ويتضرع لها بأن تجيبه، فإجابتها شفاء وراحة له، وهذا التوسل والتضرع، يكشف قداسة هذه الأطلال وأثرها في نفس الشاعر.

ولإضفاء الروح والحياة على الأطلال، فإن بعض الشعراء جعلها تجيبه وتنطق بصوت خافت؛ وكأنه أراد من ذلك انتصار الحياة على الموت، يقول عوف بن عطية: [5]

---

[1] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، 2005، ص 31.

[2] دريد بن الصمة، **ديوانه**، تحقيق: عمر بن عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ص115.

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 117.

[4] عنترة العبسي: **ديوانه**، ص 11.

[5] الضبي، المفضل: **المفضليات**، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1942م، ص 413.

(المتقارب)

وقَفْــتُ بهـــا أُصُــلاً مـــا تُبِـــينُ لســـــائِلها القـــــولَ إلاّ سِـــــرارَا

ونرى الشاعر في حديثه مع الأطلال، يطلب منها البوح له عن ســر الوجــود، وكأنــه (جلجامش) الباحث عن اكسير الحياة. [1]

يقول امرؤ القيس: [2]

(الطويل)

ألا انْعِمْ صَــباحاً أيُّهــا الرَّبْــعُ وانْطِــق وحدِّث حديثَ الرَّكبِ إنْ شِــئْتَ وأصــدق

فالشاعر يجد في الأطلال ألفته الروحية، فيتعلق بها ويندمج في عناصرها.

ويلقي التحية والسلام عليها، وفيها تتجسد المعاني والدلالات التي يسعى الشاعر للبحث عنها؛ فهي تفيض بالحياة والسعادة والأبدية والخلود التي تتنافى مع الفناء والدمار. [3]

ويقول امرؤ القيس: [4]

(الطويل)

ألا عِــمْ صــباحاً أيُّهــا الطلــلُ البــالي وهَل يَعِمنْ منْ كانَ في العُصُــرِ الخــالي
وهـــل يَعِمـــن إلا سَـــعيدٌ مُخلَّـــدٌ قليــلُ الهمــومِ مــا يَبيــتُ بِأوجــالِ

ويقول عنترة: [5]

(الكامل)

حُيِّيــتَ مـــنْ طلَـــلٍ تقـــادَم عهْـــدُه أقْـــوى وأقْفـــرَ بعـــد أمِّ الهيـــثم

---

[1] الطالب، عمر محمد: **صراع الحياة والموت في شعر امرئ القيس**، ع9، آداب الرافدين.

[2] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 133.

[3] ربابعة، موسى: **تشكيل الخطاب الشعري**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد، 2000م، ص 17.

[4] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 139.

[5] عنترة العبسي، **ديوانه**، ص 11.

فالشاعر يلقي التحية على الطلل، ويقف على آثاره الدارسة خاشعا، بعد رحيل الإلهة (أم الهيثم)، والهيثم من أسماء النسر، والنسر معبود عند العرب، وذلك يقارب بين الطلل والمعبد، فالمعبد بيت الإله (الهيثم / النسر)، والطلل كان مستقر أم الهيثم.

واكتنزت تحيتهم للطلل بهالات من القداسة، مما يدل على قداسة هذا المكان، فلفظة (عم) هي إحدى أسماء الإله (ود) عند القتبانيين أو العمونيين، وهو إله الخصب والثور حيوانه المقدس.[1]

واختياره وقتَ الصباح يحمل لنا، مدى قدرة الشاعر على إصباغ صورة الطلل بالخصب والحياة، ف (عم) الإله ونجمة الصباح الزهرة كلاهما يشع بالقداسة والخصب.

يقول زهير بن أبي سلمى: [2]

(الطويل)

فلمَّا عرفتُ الدَّارَ قلتُ لربْعِها ألا أنْعمْ صباحاً أيُّها الرَّبْعُ وأسلمِ

ويبدو أن موتيفة تحية المكان أصبحت أمرا أساسيا في شعر الشعراء؛ فالتحية ترتبط بالشيء المقدس العظيم، ولقد خصوها بكلمة (أنعم) التي كانت متبادلة بين الجاهليين وخاطبوا بها ملوكهم وآلهتهم، وما زالت تحية المكان موجودة إلى يومنا هذا، وإن اختلفت الصيغة، فللمسجد تحية إسلامية خاصة لقداسته. [3]

وهكذا يدنو الطلل من المعبد في القداسة؛ فلكل منهما تحية مقدسة.

واقترنت التحية بالنداء تبجيلا وتقديرا للطلل؛ وفي هذا محكاة ذاتية لما ينعكس على صفحة روح الشاعر، وما يرتسم في عقله وقلبه من خواطر وأحاسيس. [4]

---

[1] عبد الحكيم، **موسوعة الفلكلور**، ص 71.

[2] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 65.

[3] ربابعة، **تشكيل الخطاب الشعري**، ص 18.

[4] نفسه، ص 18.

يقول عنترة: [1]

(الكامل)

يـــا دارَ عبْلـــةَ بـــالجواءِ تكلَّمـــي وعِمـــي صـــباحاً دار عبْلـــةَ واسْـــلَمي

ويكتسب الطلل قداسته من خلال الإيغال في الـذات، ليقـف الشـاعر باكيـا وشـاكيا ومتضرعا ومتوسلا، فينخرط ويتحد مع الطلل ليشبه الصوفي في عزلته. [2]

فامرؤ القيس يقف ويبكي الديار، ويناجي الأصدقاء للبكاء معه، فيقول: [3]

(الطويل)

قِفا نَبْـكِ مِـنْ ذِكْـرى حَبيـبٍ ومَنْـزِلِ بسـقط اللَّـوَى بـيْنَ الـدَّخول فَحوْمَـلِ

ويقول في موضع آخر: [4]

(الطويل)

ديـارٌ بهـا الظّلْمـانُ والعِـينُ تَعْكِـفُ وقفْـتَ بهـا تَبكـي وَدَمْعُـكَ يَـذْرفُ

ويقول الأعشى: [5]

(الخفيف)

مـــا بُكـــاءُ الكَبيـــر بـــالأطلالِ وســـؤالي فَهَـــلْ تَـــرُدّ سُـــؤَالي

ويقول عبيد بن الأبرص: [6]

---

[1] عنترة العبسي، **ديوانه**، ص11.

[2] عبد المطلب، محمد: **قراءة ثانية في شعر امرئ القيس**، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، 1996م، ص 12.

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 29.

[4] **نفسه**، ص 323.

[5] الأعشى، **ديوانه**، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندرية، 1950م، ص 3.

[6] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ص 87.

(الطويل)

وقَفْــتُ بــــهِ أبْكـــي بُكـــاءَ حمامَـــةٍ أراكِيَّـــةٍ تـــدعُو الحَمـــامَ الأوَارِكـــا

ويرى امرؤ القيس أن البكاء شفاء له، فيقول: [1]

(الطويل)

وإنَّ شـــــفائي عبـــــرةٌ مِهراقـــــةٌ فهـــل عنـــد رســـمٍ دارسٍ مـــن مُعَـــوَّلِ

ويحتطب الحطيئة بحبل متقدميه، فيقف باكياً على الأطلال مستنزفا دموعـــه فـــي هـــذا البكاء، فيقول: [2]

(الطويل)

وقفـــت بهـــا فاســـتنزفت مـــاء عبرتـــي بها العَـيْنُ إلا مـــا كَفَفْـتُ بـــه طرفـــي

ولكن لماذا يعذب الشاعر نفسه ويبكي كل هذا البكاء؟؟

أليس من الحق أن يشدَّ من عزمه، ويلحق بالأهل والأحباب الذين رحلوا عن الديار؟

هذا صحيح إذا كان الشاعر يبكي محبوبته وأهله، لكنه يتصور الأطـــلال عالمـــا مـــن الأرواح، يجهل غاياتها، فيعمل على استرضائها بكل ما يستطيع عمله، يقول امرؤ القيس: [3]

(الطويل)

كـــأنّي غَـــدَاةَ البَـــيْنِ يَـــوْمَ تَحَمّلُـــوا لَـــدى سَـــمُراتِ الحـــيّ نـــاقفُ حَنْظَـــلِ
وُقُوفـــا بهـــا صَـــحْبي علـــيّ مَطِـــيَّهم يقولـــون لا تَهْلِـــكْ أســـىً وتجمَّـــلِ
ففاضتْ دمـــوعُ العـــينِ منـــي صـــبابةً على النَّحر حتـــى بـــلَّ دمعـــي مِحْمَلـــي

---

[1] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 31.

[2] الحطيئة، **ديوانه**، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص 131.

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 9.

فبكاء امرئ القيس مبالغ فيه، ودموعه تبل حمائل سيفه،وهذه الدموع تتصف بالقوى السحرية التي تحمل وراءها التوسل والاستعطاف في استدعاء المطر في نفس الشاعر، وخاصة في بيئة صحراوية. [1]

وهذا يعكس فعل السحرة في الجاهلية، فكانوا إذا أرادوا استدرار المطر بعد انحباسه، رشوا الماء، أو حاكوا مجامع الغيوم. [2]

ويربط الشاعر المرأة بالطلل برباط مقدس فهي إلهة، بحلولها في المكان تتدفق أشكال الحياة، وبرحيلها ينعدم كل شيء.

يقول قيس بن الخطيم: [3]

(الطويل)

أتعْرِفُ رَسْما كاطِّرادِ المذاهبِ ... لعَمْرَة وَحْشا غيرَ مَوْقِفِ راكبِ
ديارٌ التي كادتْ ونحنُ على مِنى ... تَحُلّ بنا، لولا نجاءُ الرَّكائبِ
تبدَّتْ لنا كالشّمْسِ تحتَ غمامةٍ ... بَدا حاجبٌ منها، وضَنّتْ بحاجبِ
ولم أرها إلا ثلاثا على منى ... وعهدي بها عذراء ذاتَ ذوائبِ

ويقول المرقش الأكبر في ذلك أيضا: [4]

(الخفيف)

أينما كنتِ أو حَلَلتِ بأرضٍ ... أو بلادٍ أحْيَيْتِ تلكَ البلادا
إن تَكُوني تَرَكْتِ ربْعَكِ بالشَّأ ... م وجاوَزْتِ حِمْيرا وَمُرادا
فأرْتَجِي أن أكونَ منكِ قريباً ... فاسْألي الصَّادِرين والوُرادا

---

[1] الحسين، قصي: **انثروبولوجية الأدب**، دار البحار، بيروت، 2009م، ص 321.

[2] **نفسه**، ص 321.

[3] قيس بن الخطيم، **ديوانه**، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1967م، ص 76 – 80.

[4] الضبي، **المفضليات**، ص 431.

توفرت في هذه الأبيات ملامح أسطورية رسمت المكان، فلا يذكر الطلل إلا والمرأة قرينه؛ فهي من الأسس المهمة في هذا المكان، فرحيلها يحيل المكان إلى خراب مقفر، وبحلولها يبتهج المكان، فأي قدرة تمتاز بها المحبوبة، فلا بدَّ أن لها قوة خارقة للعادة، تفوق قدرة البشر مجتمعين؛ فهذه الصفات التي أسقطها الشاعر على محبوبته، هي نفسها صفات الإله. [1] فقداستها تفيض على مكان تواجدها (الطلل /المعبد).

ويقول النابغة مرجحا سبب قحط الديار وخرابها إلى رحيل محبوبته: [2]

(البسيط)

أمسَتْ خَلاء وأمسى أهلُها ارتحلوا أخْنَى عليها الذي أخْنَى على لُبَدِ

تتحول المرأة إلى الذاكرة الأعمق للمكان؛ إذ هي الأكثر تجذرا في الوعي الجاهلي، بما تحمله من رموز الأمل والخصب والحياة، في مواجهة الموت والنفي الكوني.

يقول الأخنس بن شهاب التغلبي: [3]

(الطويل)

لإبْنَةِ حِطَّانَ بنِ عَوْفٍ منازِلٌ كما رقَّشَ العُنْوانَ في الرَّق كاتِبُ
ظَلِلْتُ بها أُعْرى وَأَشْعَرُ سُخنَةٌ كما اعتادَ محموماً بِخَيْبَرَ صالبُ
تظَلُّ بها رُبْدُ النّعامِ كأنَّها إماءٌ تُزَجَّى بالعَشِيِّ حَواطِبُ

فرحيل المرأة \ الإلهة، أحال المنازل طللا مهجورا خاليا من الوجود الإنساني. يقول بشر بن أبي خازم: [4]

(الوافر)

وما أشْجاكَ مِنْ أطلالِ هنْدٍ وقَدْ شَطَّتْ لطيّتِها نَوَاها

---

[1] الشورى، **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص93.

[2] النابغة، **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1996م، ص 16.

[3] الضبي، **المفضليات**، ص 204.

[4] بشر بن أبي خازم، **ديوانه**، تحقيق: عزة حسن، مديرية إحياء التراث، دمشق، 1960م، ص 220.

ويقول في موضع آخر: [1]

(البسيط)

وقَــدْ غَشِــيتَ لهــا أطــلالَ مَنْزِلَــةٍ قصْــراً برامَــةَ والــوادي ولــمْ تَقِــفِ
كــأنَّ سَــلْمى غَــداةَ البَــيْنِ إذ رحَلَــتْ لــم تَشْــتُ جاذِلــةً فيهــا ولــم تَصِــفِ

فربط الشاعر المرأة بالطلل لم يأت عشوائيا، وإنما جمع بينهمــا ليرمــز إلــى الحيــاة والموت، فالمرأة \ الشمس سيدة الطلل وآلهة الجاهليين وربتهم. [2]

وامرؤ القيس يُعَرِف المكان بنسبته إلى (سلمى) محبوبته، فالمكان لا يساوي في دلالتــه شيئا بعد رحيل سلمى، فقد تغيرت ملامح الديار، وأصبحت مرتعا لقطعان الأبقار والظباء وفــي ذلك يقول: [3]

(الطويل)

ديــارٌ لســلمى عافيــات بــذي خــالٍ ألــحٌ عليهــا كــل أســحم هطــالِ

ويقول أيضا: [4]

(الرمل)

لِمَــنِ الــدَّارُ تعفَّــتْ مُــذْ حِقَــبْ فجنــوبُ الفــرد أقْــوَتْ فــالخَرِبْ
دار حــيٍّ بُــدّلتْ مــن بَعْــدهم ســاكِنَ الــوَحْشِ ولِلــدّهر عُقَّــبْ

فهذه المحبوبة التي غادرت الأطلال، تتراسل أسطوريا مع (عشتار) في ملامحها التــي تجمع بين الميلاد والموت.[5] فمغادرة عشتار تحيل المكان إلى قحط وقحل، وبحضورها يبــتهج المكان بالخصب والحياة، وكذلك المحبوبة.

---

[1] بشر بن أبي خازم، **ديوانه**، ص158.

[2] عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الأقصى،عمان، 1976م، ص 126.

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 139.

[4] **نفسه**، ص 293.

[5] الديك، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص8.

ويُحَمّل الشاعر اسم محبوبته شحنات قدسية، فاسم (أم معبد) و(أم أوفى) هي رموز لسيدة الحكمة، واسم (ليلى) مأخوذ من اسم صنم معهود عند الجاهليين، أما (سلمى) فهي مَثل الحب العذري والعفة، و(أميمة) صورة للأم الحانية، وتجسد (خولة) سيدة الزرع، ونهاية ما ذكر (هرة) التي ترمز إلى اللهو. [1]

وكل منها بحاجة إلى معبد ليقدم فيه شعائر العبادة، تعظيما له ولآلهته، فوصل الطلل حد القداسة عندما كان معبدا لهذه الآلهة.

ويقول (امرؤ القيس) في قصيدته التي كانت فاتحة لكثير من المعاني والصور التي نسجها معظم الشعراء من بعده:[2]

(الطويل)

قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ بسِقْطِ اللّوَى بين الدَّخولِ وحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمقْراةِ لم يَعْفُ رسمُها لِمَا نسجتْها من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأرْآم في عَرصَاتِها وقيعانِها كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

فهي تمثل طقس البعد والرحيل، وأسطورة الإلهة الشمس الغائبة بلا عودة، فطقس الشمس \ الإلهة الراحلة عن معبدها (الطلل)، تاركة خلفها دمارا وخرابا يحيل الأرض النابضة إلى أرض فقدت كل مظاهر الحياة، وندلل على هذا الطقس بلفظتي (نبك، ذكرى) إذ إن كل ذلك أصبح في مجال الذكريات التي تدفعنا إلى البكاء، وفي تعارض ريح الشمال مع الجنوب وتصارعهما ما يؤكد العبور من الفناء إلى الحياة، فهذا المكان (الطلل) الذي خلت منه المرأة \ الإلهة الشمس، والذي يمثل رحيل الحياة والنور والخصب، فهو مرحلة عبور من الاستقرار إلى الفراق والرحيل. [3]

---

[1] عبد الرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 126، 127.

[2] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 8، 9.

[3] قادرة، غيثاء: ***المنهج الأسطوري في قراءة الشعر الجاهلي***، **مجلة دراسات في اللغة العربية**، ع (7)، خريف /2011م.

فربما كانت المحبوبة التي يبكونها، ويقفون على أطلالها، هي الشمس التي عبدها الجاهليون، وقدسوا معبدها (الطلل)؛ لاعتقادهم بقوتها؛ إذ نالت من القداسة والتبجيل ما جعل الجاهليين يعبدونها، ولاعتقادهم بقدرتها على إسباغ الحياة على مكان تواجدها، وبغيابها وغياب اشراقتها وضوئها يحل الظلام الدامس الذي ينبئ بالخراب والموت. يقول قيس بن الخطيم: [1]

(المنسرح)

ردَّ الخَليطُ الجِمَالَ فانْصَرَفوا ... ماذا علَيْهِمْ لو أنّهمْ وَقَفُوا؟
لوْ وقَفُوا ساعةً نُسائِلُهُمْ ... ريْثَ يُضَحِّي جِمالَهُ السَّلفُ
فيهمْ لَعُوبُ العِشاءِ آنِسَةُ الـ ... ـدّلِّ عروبٌ يَسوءُها الخُلُفُ

فهي امرأة جميلة، لا تخلف مواعيدها، وقد رحلت مع قومها بلا توقف، وكانت النتيجة:[2]

(المنسرح)

قَضى لها اللهُ حين يَخْلُقُها ... خالِقُ ألا يكنَّها سَدَفُ
تنام عن كُبْر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تَنْغرِفُ

ويقول امرؤ القيس: [3]

(الطويل)

قفا نَبْكِ منْ ذِكْرى حَبيبٍ وعِرْفانِ ... ورَسْمٍ عفَتْ آياتُه منذ أزْمَانِ
أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحتْ ... كخطِّ زَبُورٍ في مصاحفِ رُهْبانِ

ويُحيك لنا الشاعر في قوله، اندثار صور الحياة محاكاة لمأساة الإنسان، عندما ألقي أول مرة إلى هذا العالم، على الرغم من مرافقة صاحب أو صاحبين، فهو غريب عنهم.[4]

---

[1] الأصمعي، **الأصمعيات**، ص 196.

[2] **نفسه**، ص 197.

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 89.

[4] عبد الرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 162.

فاستثمر الشعراء الطلل، ليسقطوا عليه إرهاصات الحياة وهمومها، لتعلقهم بـــه جســداً وروحاً واعتقاداً، وأملا، وعبودية، وتحررا فهو يحمل بعدا عقديًّا، وشعائر تعبديـــة لاســتعطاف الآلهة في مواسم القحط والإقفار، ففي الغزل تذلل واستعطاف ومناجاة.

ألا نلتمس فيما ذكرناه سابقا عن الطلل التشابه بين الطلل والمعبد إلـــى حـــد المقاربـــة، فالوقوف على الأطلال وسؤالها واستعطافها والبكاء والرجاء، يشبه استعطاف المتعبد في المعبد، وخصَّ هذا المعبد بآلهة الخصب والجمال، والتي رمز إليها الشاعر بالحبيبة، بالإضافة إلـــى أن الشاعر كان بمنزلة الكاهن، والكاهن لا يكون إلا في المعبد، وكان شعره بمثابة ترتيلـــة دينيـــة خاصة بالطلل المعبد عندما "اقترن الشعر بالتراتيل الدينية " [1].

وأمام هذه الآيات، آيات الأطلال لم يجد الشاعر مناصا من أن يذكر بعض الحيوانـــات التي ترتع وتجري هنا وهناك، وكأنه يريد أن يشير إلى استمرار الحياة ومظاهرها، على الرغم من رحيل محبوبته التي برحيلها ترحل الحياة كما يعتقد، ولكن بتأمله لهذه المظاهر يتأكد أن الإله لا يغيب، وإن غاب عن الأعين، فإن آثاره تؤكد وجوده وقوته وفضله، ولا بد لنا من الإشـــارة إلى أن هذه الحيوانات ما هي إلا رمزٌللعبادة الطوطمية عند العرب. [2]

وفيها يقول زهير بن أبي سلمى مؤكدا على أنها مظهر من مظاهر قوة الإله: [3]

(الطويل)

بهـــا العِـــيْنُ والأرآم يمشِـــينَ خِلْفـــةً وأطْلاؤهـــا ينهَضْـــنَ مـــن كـــلّ مجْـــثَمِ

ويقول عبيد بن الأبرص: [4]

(الطويل)

أمِن منزلٍ عـــافٍ وَمـــن رَسْـــمِ أطـــلالِ بَكَيْت؟ وهَل يَبكي مـــن الشّـــوْقَ أمثـــالي

---

[1] البياتي، عادل: ***مقدمة القصيدة الجاهلية***، **مجلة آفاق عربية**، آب، 1977 م.

[2] الشورى، **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 97، 98.

[3] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 65.

[4] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، ص 105.

دِيـــارُهُمُ إذْ هُـــمْ جميـــعٌ فأصْـــبَحَتْ بسابسَ، إلا الوحشَ دِمنَها البَلدِ الخـــالي

ويقول أوس بن حجر في المعنى نفسه: [1]

(الطويل)

بهـــا العِـــيْنُ والأرآمُ ترْعـــى سِـــخالُهَا فطِـــــيمٌ ودانٍ للفِطـــــامِ وناصِـــــفُ

ويقول عبيد بن الأبرص: [2]

(الكامل)

دارٌ بهـــا عِـــيْنُ النِّعـــاجِ رَوَاتِعـــا تَعْـــــدُو مَسَـــــارِبَها مـــــعَ الأرآمِ

وفي وقوف الشاعر أمام الرِّماد، والأثافي المحترقة، مظهرا الضعف وباكيا وشاكيا، مما صبغ الطلل بصبغة طقوسية، تتعلق بتقديسهم للنار، فهي تضرم في مناسبات جليلة، فهم يبكـــون النار التي أطفئت وأطفئ معها الحب، ولم يبق منها إلا الرماد والذكريات، فكان تقديسهم للطلـــل يرتبط بتقديسهم للنار. [3]

وحفلت الأطلال بطاقات وإمكانات قدسية، رصدت قدرة الشاعر على تصـــوير الحيـــاة الجاهلية، فوصفها الشاعر بالوشم الباقي، أو الوشم المتجدد، إذ إن الوشم تميمـــة تقـــي المكـــان وتحرسه من الأرواح الشريرة، وتعيذه من الدَّمار والخراب. [4]

وفي ذلك يقول عنترة: [5]

(الوافر)

ألا يـــــا دار عبلـــــةَ بـــــالطَويَّ كرجْـــعِ الوشْـــمِ فـــي رُسْـــغِ الهَـــديّ

---

[1] أوس بن حجر، **ديوانه**، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1998م، ص63.

[2] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، ص 113.

[3] أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص 63.

[4] أحمد، عبد الفتاح محمد: **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**، دار المناهل، بيروت، 1987م، ص133.

[5] الأصفهاني: **الأغاني**، ج8 / ص 251. لم أجده في الديوان.

ويقول طرفة بن العبد: [1]

(الطويل)

لخولَـــةَ أطْـــلالٌ ببرقَـــةِ ثَهْمَـــدِ تلوحُ كباقي الوَشْـمِ فـــي ظـــاهرِ اليَـدِ

وذلك يكشف لنا خوف الإنسان الجاهلي من الموت، وبحثه الدائم عن الخلود، فخوفهم من الموت تجسد في خوفهم من الفناء والجدب والقحط، فعمل الشاعر على تحصين الطلل وتعويـذه من الخراب والجدب بالوشم.

وتشبيه الطلل بالوشم يبين عمق العلاقة الأسطورية القائمة على النسك والتقديس، فالبداية الدينيّة عند القدماء كانت عبادة طوطمية،حيث يُرسم لكل قبيلة طوطمها الخاص، وهـذه بدايـة الوشم، الذي بقيت آثاره إلى أن أصبح تعويذة من الشر. [2]

وفي ربْطِ الشاعر الطلل بالوشم، استنبات للطلل، ونَسج الحياة والخصب فيـه، وتعيننـا اللغة في ذلك، فنقول: أوشمت الأرض، إذا نبت فيها شيئا من النبات، وأوشمت السماء، إذا بـدأ البرق وجاء المطر، والنبات والمطر من أهم صور الخصب والحياة. [3]

وفي ذلك يقول زهير: [4]

(الطويل)

ديـــارٌ لهـــا بـــالرّقْمتينِ كأنّهَـــا مَراجيـــعُ وشْـــمٍ فـــي نوَاشِـــرِ مِعصَـــمِ

ويقول المخبل السعدي: [5]

(الكامل)

فكـــأنَّ مـــا أبقَـــى البـــوارِحُ والـــ أمطـــارُ مـــن عَرَصـــاتها الوشْـــمُ

---

[1] طرفة بن العبد، **ديوانه**، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م، ص32.

[2] سرحان، سمير: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، دائرة الثقافة، عمان، 1989م، ج 3، ص 767.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وشم).

[4] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 65.

[5] المخبل السعدي، **ديوانه**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، 2007م، ص75.

فتشبيه الشعراء للأطلال بالوشم، يؤكد تشبثهم بالحياة، وسعيهم إلى الخلود، فالوشم متصل بالعقلية والعقيدة الجاهلية، ولهذا ارتبطت به دلالات سحرية ودينية. [1]

وفي تقديسهم للأطلال فقد شبهوها بالكتب المقدسة، يقول امرؤ القيس: [2]

(الطويل)

لمن طَلَلٌ أبصرتُه فشجاني كخطّ زَبورٍ في عسيبٍ يمانِ

ويقول في قصيدة أخرى: [3]

(الطويل)

أتَتْ حِجَجٌ بَعدي عليها فأصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رُهْبانِ

ويقول الحارث بن حلزة ذاكرا المهارق الفارسية: [4]

(الكامل)

لمَنِ الدِّيارُ عَفَوْنَ بالحَبْسِ آياتُها كَمَهارق الفُرْسِ

ويقول الشماخ بن ضرار الذبياني: [5]

(الطويل)

أتعْرفُ رسْماً دارسا قد تغيَّرا بِذَرْوة أقوى بعْدَ ليلى وأقفرا
كما خطَّ عبرانيةً بيمينهِ بتيماءَ حَبْرٌ، ثم عرضَ أسطرا

فتشبيه الطلل بالكتاب المقدس، يضفي عليه هالة من القداسة، فمكانة الطلل الروحية والنفسية، في فكر الشاعر منعته من مقاربة الطلل من شيء عادي.

---

[1] الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى**، ص 47.

[2] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 85.

[3] **نفسه**، ص 89.

[4] الضبي، **المفضليات**، ص 132.

[5] الشماخ بن ضرار، **ديوانه**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ص 26.

وتستمد الأطلال الحياة والقداسة، من دعاء الشعراء لها، بالسقيا والغيث؛ لأن في ذلك حياة لهم، يقول المثقب العبدي: [1]

(الطويل)

سَقى تلكَ مِنْ دارٍ ومَنْ حلَّ ربْعَها ذِهابُ الغوادي وَبْلُها ومُديمُها

ويقول عنترة داعيا للديار: [2]

(الكامل)

فسَقَتْكِ يا أرضَ الشَّربَّةِ مُزْنَةٌ مُنْهلّةٌ يَرْوي ثراكِ هُموعُها

ومثله قول عمرو بن قميئة: [3]

(الكامل)

فسقى منازلها وحِلّتها قردُ الرَّباب لصوته زَجَلُ

يتمثل جوهر قداسة الطلل، في التنوع بالدعاء له، يقول عنترة داعيا أن يكسوه الربيع، وأن تتلون بأزهاره ورائحته العبقة: [4]

(الكامل)

وكَسا الرَّبيعُ رُباكِ في أزهاره حُلَلاً إذا ما الأرضُ فاحَ ربيعُها

ودعا زهير لدياره بالسلامة، فيقول: [5]

(الطويل)

فلمّا عرفتُ الدّارَ قلتُ لرَبْعِها ألا أنْعمْ صباحاً أيّها الرَّبعُ وأسلمِ

---

[1] المثقب العبدي، **ديوانه**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات، 1971م، ص 234.

[2] عنترة بن شداد، **ديوانه**، ص 134.

[3] عمرو بن قميئة، **ديوانه**، تحقيق: خليل إبراهيم المطية، دار صادر، بيروت، 1994م، ص 51.

[4] عنترة بن شداد، **ديوانه**، ص 134.

[5] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 65.

ويقول عنترة: [1]

(الكامل)

يـــا دارَ عبْلـــةَ بـــالجواءِ تكلَّمـــي وعِمـــي صـــباحاً دار عبْلـــةَ واسْـــلمي

ونخلص من دراستنا للمقدمة الطللية، أنها لا تصور أسلوب الحياة الجاهلية، بقـدر مـا تجسّم بعدا كونيا من أبعادها، فكريا وعقائديا وروحيا، وتتجسد إشكالية الطلل في تحوله من مكان جغرافي جاثم، إلى رموز تتعدى الفكر الواعي إلى اللاوعي، عبر العلاقات التـي تنشـأ بـين الشاعر والمكان/ الطلل، والتي تؤلف فيه العمومية قاعدة للخصوصية الفكرية المشحونة، بمعنى أنها تمثل شرطا من شروط (يونغ – JUNQ) للنموذج الأعلى. [2]

فالطلل يمثل بمظاهره المختلفة، قناع الشاعر للولوج إلى عالمه الباطني والوصول إلـى فكرة الأشياء وجوهرها؛ إذ يصبح التجسيد الرمزي الأعمق دلالة للعقائدية.

---

[1] عنترة بن شداد، **ديوانه**، ص 11.

[2] الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط2، مكتبة الكتاني، إربد، 1995م، ص 155.

المبحث الثّاني

مكة المكرمة (البيت الحرام)

احتفظت مكة المكرمة بمكانتها المقدسة، فلم تكن وطنا مملوكا لساكنيها فحسب، فهي مهوى الأفئدة، منذ أقدم العصور، وهي مكان موحٍ معجز، يشعل قريحة الشعراء.

فهي من الأمكنة التي تلامس قوى الإحساس في النفس البشرية، ففيها يستشعر الإنسان معاني عدة، كاللذة والسعادة والأمن.

فلمكة في الشعر تاريخ عريق، يزيد من رونقه، ويعزز من قوته، إذ ترددت بأسماء مختلفة، كالبيت، والعتيق، والمحرم، واللوى، وكلها أسماء موحية تحتوي على شحنة قدسية كبيرة تعطي للشعر طلاوة، وتثير حوله جوا روحانيا، وعبقا دينيا.

يقول زهير بن أبي سلمى: [1]

(الطويل)

وبـــاللات والعـــزّى التـــي يعبـــدونها بمكـــة والبيـــت العتيـــق المُكْـــرَمِ

إذ إن نعته بالعتيق، يجسد صورة من صور القداسة، فالعتيق بمعنى المعتوق أي الحر، فالله تعالى أعتقه من يد الجبابرة، أو سمي بذلك لأنه لا يستطيع أحد أن يملكه فهو ملك لجميع البشر، وتحمل لفظة العتيق معنى القديم فهو أول بيت وضع للناس على وجه الأرض، ولأن الله حفظه من الغرق والطوفان. [2]

والمحرم من الحرام فاختزلت هذه اللفظة النهي عن فعل السوء والأفعال المشينة في هذا المكان، وقوله البيت؛ اعتقادا من مثول روح الآلهة فيه، فهو مسكن لها في الأرض.

ويعد البيت الحرام أول الأماكن التي زادت من أهمية مكة وعظمتها، وفي الحج إليه أسمى معاني القداسة والإجلال.

---

[1] **حاشية التبريزي**، ص 174.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عتق).

وللحج أركان معينة إذ ينتقل الحاج من مكان إلى آخر، وفي كل مكان من هذه الأمكنة يمارس طقوسا خاصة، تبرز عمق الإحساس بقيمة المكان وعبقريته، ويظهر فيها الترابط بين الحس الديني والحس المكاني، وفي كل مكان يكون الحاج حاضرا جسدا وروحا، فعلا وقولا، لأداء طقوس الحج، التي تتجلى فيها مظاهر التقديس غذاء روحيا يجلو الهم ويريح القلب، ولم يكن ذلك يقتصر على العرب فقط، بل نجد أن الأمم الأخرى قد عظمت وقدست البيت الحرام، فالفُرس كانوا يحجون إليه منذ زمن قديم، ويعود سبب تقديسهم له، إلى اعتقادهم بأن روح إلههم (هرمز) قد حلت به، لهذا حجوا إليه، وقرَّبوا القرابين، وقدَّموا الهدايا. [1]

ومن طقوس تعظيمهم للبيت الحرام (الطواف)، يقول مضاض الجرهمي واصفا ذلك:[2]

(الطويل)

ونحنُ وليّنا البيت مِنْ بعدِ ثابتِ نطوفُ بذاك البيت والخير حاضر

فهذا الطواف يحمل طقس العبادة والخضوع، وبه يفيض الخير عليهم، ويقول زهير بن أبي سلمى في طقس الطواف: [3]

(الطويل)

فأقْسَمتُ بالبَيتِ الذي طافَ حولَهُ رِجالٌ بَنَوْهُ من قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ

وفي طوافهم يقول كَرْب بن جَبْلَة العدواني: [4]

(الطويل)

فطوَّفْن بالبيتش الحرَام، وقُضيَّت مناسكها ولَمْ تَحُلَّ عقالها

ويبين شاعر جاهلي أن طوافهم بالبيت كان سبعا: [5]

---

[1] محجوب، سعاد: **وصف البيت الحرام في الأدب العربي**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (د.ت)، ص 127.

[2] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 54.

[3] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 66.

[4] الزبيدي: **تاج العروس**، ج 7، ص 154.

[5] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 54.

(الخفيف)

ثُـــمَّ طُفنـــا بالبيْـــتِ ســـبعاً وســـبعا وســـجدنا عنـــد المقـــامِ ســـجودا

ولعل طوافهم سبعة أشواط، لما يحمله هذا العدد من قدسية، فيه قوة سحرية تجلب لهـم الخير، وتدفع عنهم الشر. [1] وقوله سجدنا أسمى معاني التعظيم والعبادة.

وكان طوافهم شكلا من أشكال الصلاة، فابن الأثير يذكر " أن الصـلاة هـي العبـادة المخصوصة، وأصلها في اللغة الـدعاء، فسـميت بـبعض أجزائهـا " [2]، وطـوافهم مكـاء وتصدية،(والمكاء)[3]: صوت يخرج على هيئة صفير، و(التصدية): التصـفيق باليـدين، يقـول الطبري:" كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفِّرون (بأفواههم) ويصفقون(بأيديهم) "[4]

ندل على ذلك بقوله تعالى:{ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً }[5]، }[5]، وأنشد أبو الهيثم لحسان: [6]

"**صلاتهم التصدي والمكاء** "

ويقول عمرو بن الإطانة:[7]

وظلّـــوا جميعـــاً لهـــم ضـــجَّةٌ مُكـــاء لـــدى البَيْـــتِ بالتَّصـــدِيه

فالجاهلي عرف الصلاة بمعنى الدعاء والتضرع، وفي صلاتهم أسمى درجات الخشـوع والعبودية للبيت الحرام.

---

[1] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ج2، ص 197.

[2] ابن الأثير، مجد الدين، المبارك محمد بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج3، ص 50.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مكا).

[4] الطبري، **تفسيره** ، ج 13، ص 522 – 527.

[5] **سورة الأنفال**، آية 35.

[6] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مكا).

[7] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)**، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، ج 7، ص 401.

ولم يكن طوافهم حول البيت الحرام في موسم الحج فقط، فقد كان المرء إذا قصد غرضا ما، طاف بالبيت مكشوف السوأة، وفي ذلك يقول أبو جندب عندما طاف بالبيت، وكان يضمر الشر لزهير اللحياني والثأر لجاره خاطم وامرأته: [1]

(الرجز)

إنـــي امـــرؤ ابكـــي علـــى جاريَّـــهْ أبكـــي علـــى الكعبـــيِّ والكعبيَّـــه
ولـــــو هَلكْـــتُ باكيـــا عليَّـــه كانـــا مكـــان الثـــوب مـــن حَقْويَّـــه

ومن طقوس تعظيمهم للبيت الحرام أنهم كانوا يحلفون به يمينا مغلظا تأكيدا لأقوالهم، وقسمهم يدل على أن البيت الحرام، وصل إلى رتبة القداسة في نفوسهم، يقول العوف بن الأحوص: [2]

(الوافر)

وإنّـــي والـــذي حَجَّـــتْ قـــريْشٌ مَحَارِمَـــهُ ومـــا جَمعَـــتْ حِـــراءُ

وفي القسم بالبيت الحرام يقول العامري: [3]

(الوافر)

فأقســـمُ بالـــذي حَجْـــتْ قُـــريش وموقـــف ذي الحجـــيج إلـــى الالِ

وتقول الخنساء في رثاء أخيها: [4]

(الوافر)

حَلَفْـــتُ بـــرب صُـــهْبٍ مُعْمَـــلاتٍ إلـــى البيـــت المحَـــرمِ مُنْتهاهـــا

ويقسم عنترة بن شداد بالبيت الحرام، من باب التعظيم والإجلال، بتعلقه بمحبوبته:[5]

---

[1] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 56.

[2] الضبي، **المفضليات**، ص 174.

[3] ابن حبيب، **المحبر**، ص 319.

[4] الخنساء، **ديوانها**، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، 1988م، ص 279.

[5] عنترة بن شداد، **ديوانه**، ص 12.

(الكامل)

عُلِّقْتُهـــا، عرَضـــاً وأقْتـــلُ قوْمهـــا زعْمـــاً، ورب البيـــت، لـــيس بمَـــزعَمِ

ففي هذه القداسة الطقسية – الحلف بالبيت الحرام – ما يؤكد عظمة هذا المكان ومنزلته في جميع مفاصل حياتهم، أوصلته إلى حد المقدس المنزه.

ويتميز البيت الحرام من حيث أهميته الدينية، أنه مفدَّاة من نفوس الجـاهليين (يفدونـه بنفوسهم)، لِما يحظى به من اهتمام، وما يتلقاه من عناية، إذ كانوا يؤمنون ببركته، وأن فيه قوة خارقة للعادة تحقق لهم الخير، وتدفع عنهم الشر.

فكانوا إذا نزلت بهم فادحة، أو نابتهم نائبة، أو حلَّ بهم القحط، ساروا إلى البيت الحرام طامعين أن يستجاب لهم، مؤدين فيه طقوس الاستسقاء. [1]

ويروى: أن المطر انحبس عن قوم (عاد) وابتلاهم الله بالقحط ثلاث ســنين، اســتجابة لدعوة (هود) – عليه السلام – فاتفق القوم على المسير إلى البت الحرام يستقون الغيــث، فلمَّــا عزموا على المسير إلى (مكة) ليستسقوا، انتقوا النخبة من عُظَمائهم، وأشرافهم، وذوي أحسابهم سبعين رجلا، فساروا حتى وصلوا (مكة) فنزلوا على (بكر بن معاوية) زعيم العماليق، يأكلون الخبز واللَّحم، ويشربون الخمر، ونسوا أمرهم، فنبههم (بكر بن معاوية) لما جاءوا مــن أجلــه، فلاذوا بالكعبة، يدْعون ويتوسلون ويتضرعون، يتقدمهم زعيمهم (قيل بن عنز) قــائلا: جئــت أطلب القطر، الذي ينبت الشجر، ويكثر الثمر، ويحيي البشر، ويصلح به قومي وبلادي. [2]

وفي ذلك يقول الشاعر: [3]

(الوافر)

فيستســـــقوا الملـيـــــكَ البرغيثـــــا بـــــه تحيـــــا البريَّـــــةُ والعبـــــادُ

---

[1] ابن منبه، وهب: **كتاب التيجان في ملوك حمير**، مطبعة دار المعارف العثمانية، الهند، 1928م، ص 331.

[2] **نفسه**، ص 325.

[3] **نفسه**، ص 331.

وبهذا يكون البيت الحرام قريبا من الروح والعقل والتفكير والمشاعر.

وتتجلى عبقرية المكان وقداسته، بدخوله في روحانية تنأى بهم في هذا المكان المقدس عن زخف الحياة ومشاكلها، فله حرم من دخله فهو آمن، لا يمسه مكروه، ولا يتعرض له أحد بالأذى، والظلم فيه مكروه، تقول امرأة تنهى ابنها عن الظلم:[1]

أبنَـــيَّ! لا تظلِـــم بمكَّـــة لا الصـــغيرَ ولا الكبيـــرْ
أبنَـــيَّ! مـــن يظلـــم بمكَّـــة يلقـــى أطْـــرافَ الشُّـــرورْ
أبنَـــيَّ! قـــد جَرَّبتهـــا فوجـــدتُ ظالمهـــا يبـــورْ

ويقول رجلٌ مخاطبا عمرو بن لحي محذرا إياه: [2]

يـــا عَمْـــرُو لا تَظْلِـــمْ بمكَّـــةَ إنَّهـــا بَلَـــدٌ حَـــرامْ

وكما أن الإنسان آمن في الحرم، فإن كل الحيوانات آمنة فيه، سواء أكانت أليفة أم وحشية، فهي تتمتع بالأمن والأمان. يقول الجرهمي: [3]

وادٍ حـــرامٌ طيـــره ووحشـــه نحـــن ولاتـــه فـــلا نغشـــه

ويقول رجل من بني عجل: [4]

حَـــرَمٌ حـــرامٌ أرعضُـــها وصُـــيودُها والصَّـــيْدُ فـــي كُـــلِّ الـــبلادِ مُحلَّـــلُ

ويقول عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي في ذلك: [5]

فَسَـــحّتْ دمـــوع العـــين تبكـــي لبلـــدة بهـــا حـــرمٌ أَمْـــنٌ وفيهـــا المشـــاعر
وتبكـــي لبيـــتٍ لـــيس يـــؤذي حمامُـــهُ يظـــل بهـــا أمِنـــاً وفيـــه العصـــافر
وفيـــه وحـــوش لا تـــزالُ أنيســـة إذا خرجـــت منـــه فلـــيس تغـــادر

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج2 / ص 202.

[2] المسعودي،علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج1 / ص 192.

[3] الحنبلي، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيريّ: **الدرر الفرائد في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج1، ص 162.

[4] الفاكهي، أبو عبد الله بن إسحاق: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، مكة المكرمة، 1986م، ج 1، 298.

[5] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص17.

ويتخذ النابغة الذبياني من قسمه تأكيدا على حرمة الحرم، فيقول: [1]

(البسيط)

والمــؤمن العائــذات الطيــر تمســحها ركبــان مكــة بــين الغيــل والسَّــعدِ

وكان الحرم في نظر العربي الدرع الواقية من الأخطار والشرور، والحرز الذي يتحرز به، مما يلحق به من أذى مع كر الدهور، فحرموا غزو الحرم والقتال فيه، وفي ذلك يقول حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه إلى حلفه ونزول مكة: [2]

أبــا مطــر هلُــمّ إلــى صــلاح فتكنــف كالنــدامى مــن قــريشِ [3]
فتــأمن وســطهم وتعــيش فــيهم أبــا مطــر هــديت لخيــر عــيش
وتســكن بلــدة عــزت قــديما وتــأمن أن يــزورك ربّ جــيشِ

ويقول خداش بن زهير في يوم من أيام الفجار، لما اقتتلوا ففرت قريش إلى الحرم، وقد دخل الليل:[4]

(البسيط)

يــا شَــدَّةَ مــا شَــددنا غيــرَ كاذِبَــةٍ علــى سَــخينَةَ لــولا الليــلُ والحَــرَمُ[5]

فكانت قداسة الحرم ملهمة الشعراء، ومدار اهتمامهم في رسم صورهم، ومعبــرة عــن أشجانهم أفراحهم.

ومن مظاهر تقديسهم للحرم،أنه لا يجوز لهم البناء حوله، واحتراما لهذا المكان المقدس، ولا يبيتون فيه بالليل، بل يقضون فيه أوقات النهار فقط. [6]

---

[1] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 25.

[2] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 19.

[3] صلاح: اسم من أسماء مكة. تكنف: أي تصير في حرز.

[4] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 19.

[5] سخينة: لقب تعير به قريش لاتخاذها إياها، وهي طعام رقيق يتخذ من دقيق.

[6] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 22.

تقول في ذلك سبيعة بنت الأجب: [1]

"**والله أمنها وما بنيت بعرصتها القصور**"

وتلونت طقوس تقديسهم للبيت الحرام بالتهليل والتلبية، يقول شاعر في ذلك: [2]

إنني والذي تحجُ له شمطٌ إياد وهللوا تهليلاَ
ومبيتاً بذي المجازِ ثلاثاً ومتى كان حَجُنّا تَحْليلاَ

ويقول أبو كبير الهذلي في وصف أصوات حجاج البيت الحرام: [3]

تعوي الذّئاب من المَجَاعَةِ حَوْلَهُ إهلال رَكْب اليامن المُتطَوِّفِ

ويقول مالك بن نويرة في يوم مخطط له في الجاهلية: [4]

يُهِلُّون عُمَّارا إذا ما تغَوَّروا ولاقوا قريشاً خبَّروها فأنجدوا

وكان لكل قبيلة تلبية خاصة تزيد من عظمة البيت الحرام، (فعك ومذحج) كانتا تلبيان فتقولان: [5]

يا مكَّةُ، الفاجر مُكّي مَكَّا ولا تمكي مَذحِجا وَعَكَّا
فنتْرُكَ البيتَ الحَرام دَكَّا جِئْنا إلى ربِّكَ لا نَشُكَّا

وأما (كنانة) فكانت تلبيتها، تضرعا للآلهة بالدعاء والرجاء، ذلك ما يشير إلى قداسة البيت الحرام، فتقول: [6]

"**لبيك اللهم لبيك**

---

[1] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص22.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**، ج7/ ص 286.

[3] السكري، **شرح أشعار الهذليين**، تح:عبد الستار أحمد فراج، ومحمود محمد شاكر، دار العروبة، القاهرة، 1956م، ج3، ص 1086.

[4] **الأصمعيات**، ص 223. يهلون: يرفعون أصواتهم في التلبية. تغوروا: دخلوا غور تهامة. أنجدوا: دخل نجد

[5] قطرب، محمد بن المستنير: **كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص 42.

[6] **نفسه**، ص 40.

اليوم يوم التعريف

يوم الدعاء والوقوف

وذي صباح الدِّماءُ

من شجها والنزيف"

وانعكست قداسة البيت الحرام، على أهله وساكنيه، فيحل لهم ما لا يحل لغيرهم، وبذلك انفردوا بالتقديس على من حولهم.

وأشار الشعراء في شعرهم إلى الحمس، واختصاصهم بالكعبة، يقول مضاض بن عمر الجرهمي: [1]

نحنُ عَمَرْنَا البيْتَ كُنَّا وُلاتَهُ نُضارب عنْهُ مَنْ أتانَا ونَدْفَعُ
وما كانَ يَبْغي ذاك في الناس غَيْرنا ولمْ يَكُ حيٌّ قبلنا ثمَّ يمْنَعُ

ومن ذلك أيضا أنهم كانوا يؤمنون ساكن الحرم سواء أكان مسيئا أم محسنا، وفي ذلك قال الزبيدي في العاص بن وائل لما اغتصب ماله يستحث الناس على أخذ حقه منه وإن كان مقيما في الحرم: [2]

(البسيط)

إنَّ الحرام لمَنْ تمت كرامته ولا حرام لثوبِ الفاجر الغدر

ومن عاداتهم في إظهار معاني الإجلال والتقديس للكعبة، الاحتفال بيوم عاشوراء، وهو من الأيام المحببة عند الجاهليين، ويتمثل بالاحتفال بكسوة الكعبة المشرفة، وفعل ذلك بنو هاشم، إذ علقوا عليها الأزرار في عاشوراء تعظيما لها. [3]

---

[1] الأصفهاني، **الأغاني**، ج 15، ص 13.

[2] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 18.

[3] محجوب، **وصف البيت الحرام**، ص 166.

وقيل في كسوة الكعبة تعظيما لها: [1]

وكسَـــوْنَا البيْـــتَ الـــذي حَـــرَّمَ الله مُـــــلاءً ومعضَـــــدا وبُـــــرُودَا
فأقَمْنَـــا بـــهِ مـــن الشَّـــهْرِ عَشْـــرا وجَعَلنَـــــا لِبابِـــــه إقْليـــــدَا
ونَحَرْنَـــا بالشـــعب ســـتة الاف تـــرى النـــاس نَحْـــوهن وَرْوُدا
ثـــم ســـرنا عنـــه نَـــؤُم سُـــهَيْلا فرَفَعْنَـــا لوَاءنَـــا مَعْقُـــودا

ويقول شاعر آخر مفتخرا بكسوة الكعبة: [2]

ولقـــــد عزاهـــــا تُبْـــــع فكســـــا بُنْيتهـــــا الحبيـــــرِ
وأذل ربـــــــي مُلْكَـــــــهُ فيهـــــا فـــــأوفي بالنـــــذورِ

فكان طقس الكسوة، كل عام بكسى مختلفة، تعظيما لها، وكانوا يسوقون الهـدي إليهـا، ينحرون عندها ويهدونها، ويصف أبو طالب هذا الطقس في لاميته قائلا: [3]

(الطويل)

وأحْضَرتُ عندَ البيتِ رَهْطـي وأخـوتي وأمســكتُ مــن أثوابــهِ بالوَصــائلِ

فكسيت الكعبة بالوصائل، وسميت بذلك لأنها كانت توصل بعضها ببعض، ولونها أحمر، تتخلله بعض الخطوط، إضافة إلى طقس تطييبها بالعود والبخور، وأجمل أنواع العطور، من باب تعظيمها وتقديسها. [4]

ومن الأمكنة التي نالت نوعا من القداسة مقام إبراهيم، فأقسم أبو طالب به، تقديسا له في قوله: [5]

(الطويل)

ومَـــوطئِ إبـــراهيمَ بالصّـــخرِ رَطْبـــةَ علـــى قَدميـــهِ حافيـــاً غيـــرَ ناعـــلِ

---

[1] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 29.
[2] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1، ص22. ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص560.
[3] أبو طالب، **ديوانه**، جمعه وشرحه: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ص 63.
[4] محجوب، **وصف البيت الحرام**، ص 349.
[5] أبو طالب، **ديوانه**، ص65.

ويطالعنا أبو قيس بن الأسلت، أن الجاهليين، توجهوا في صلاتهم للبيت الحـــرام التـــي كانت موسومة بالتمسح بأركانه، وبذلك ينالون الخير والبركة ولا ترد لهم دعوة، فيقول: [1]

فقومـــوا فصـــلّوا لـــربِّكمْ وتمسَّـــحوا بأركـــان هـــذا البيْـــت بـــين الأخاشـــبِ

كما تمسحوا بالحجر الأسود، الذي كان منبعا للقداسة، وفي ذلك يقول أبو طالب: [2]

(الطويل)

وبـــالحَجَر االمسْـــودِّ إذ يَمْسَـــحونَهُ إذا اكْتَنَفـــوهُ بالضُّـــحى والأصـــائلِ

أما الصفا والمروة، فمن المواضع المقدسة، التي تركت بصامتها تأثيرا في نفس العربي، فعلى الصفا نصب اساف، وعلى المروة نصبت نائلة، ومن مظاهر تقديسهما الســعي بينهمــا، والتمسّحُ بهما، والتبرّك عندهما، وفي ذلك يقول أبو طالب: [3]

(الطويل)

وأشواطِ بَـينَ المَـرْوتَينِ إلـى الصَّـفا ومـا فيهمـا مـن صـورةٍ وتَماثـلِ

و(منى) من الأمكنة التي اشتهرت بالقداسة والاهتمام، فكان الجـاهليون يـؤدون فيهـا الشعائر التي تدل على قداستها، فهي أحد أهم الأركان لإتمام مناسك الحج، وفيهـا يـتم رمـي الجمرات، وذبح الهدي، وحلق الشعر أو تقصيره.

وتكمن قداسة (منى) في ذبح القرابين والذبائح فيها، تقربا للآلهة، يقول شأس أخو علقمة الفحل: [4]

حلفت بمـا ضـم الحجـيج إلـى منـى ومـا شـج مـن نحـرِ الهـدي المقلـدِ

ويقول أبو قيس بن الأسلت: [5]

---

[1] صيفي بن الأسلت، **ديوانه**، تحقيق: حسن محمد باجودة، دار التراث، القاهرة، 1973م، ص 69. الأخاشب: جبلا مكة.

[2] أبو طالب، **ديوانه**، ص 64.

[3] **نفسه**، ص 65.

[4] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 63.

[5] صيفي بن الأسلت، **ديوانه**، ص 68، 69.

تــرى طالــب الحاجــات عنــدَ بيــوتِكمْ عصــائب هَلْكَــى تهتــدى بعصــائبِ
لقــــد علــــم الأقــــوام أن ســــراتكم على كــلِّ حــالٍ خيــرُ أهــل الجباجــبِ

فالشاعر استدعى الجباجب، وهي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا ليدل على عظمة منى وقداستها التي تتمثل بكثرة ما يقدم من ذبائح فيها.

وتظل علاقة الشاعر بالمكان علاقة سامية، نظمها الشاعر في شعره، فحلقوا رؤوسهم بمنى تقديسا لها، فحلق شعر الرأس بين يدي هذا المكان يدل على العبودية والخضوع، يقول الشاعر:[1]

فــإن تمنعــوا منــا الســلاح فعنــدنا ســلاحٌ لنــا لا يشــترى بالــدراهمِ
جنــادل أمــلاء الأكــف كأنهــا رؤوس رجــال حلقــت بالمواســمِ

وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى: [2]

فأقســمت جهــداً بالمنــازلِ مــن منًــى ومــا سُــحقت فيــهِ المقــادمُ والقمْــلُ
لأرْتَحلَّــنْ بــالفجْرِ ثــمّ لأدأبَــنْ إلــى اللَّيْــل إلا أنْ يُعرّجَنــي طِفْــلُ

ويقول شاعر جاهلي: [3]

أَلَــمْ تَــرَ جَرْمــاً أبجــدَتْ وأبــوكُمُ مع الشــعر فــي قــصِ الملبّــد شــارعُ
إذا قُــرَّةُ جــاءت يقــول أصِــبْ بهــا سوى القَمْل أنِّي مــن هَــوزِان ضــارعُ

فكان من سننهم إذا حلقوا رؤوسهم وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق، فيسقط الشعر مع ذلك الدقيق، ويكون هذا الدقيق صدقةً، فيأتي أناس من أسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينتفعون بالدقيق. [4]

وفي منى تُرمى الجمرات، وهي من الطقوس التعبّدية في ذلك المكان، وفي ذلك يقول أبو طالب: [5]

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 49.
[2] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 16، 17.
[3] جارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 65.
[4] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (قرر).
[5] أبو طالب، **ديوانه**، ص 65.

(الطويل)

وبـــالجَمْرَةِ الكُبـــرى إذا صَـــمدوا لهـــا يَؤمُّـــونَ قَـــذْفاً رأسَـــها بالجنـــادِلِ

وقال الهذلي: [1]

لأَدْرِكُهُـــم شُـــعْثَ النَّواصـــي كـــأنَّهُمْ سَـــوابِقُ حُجَّـــاجٍ تُـــوافى المُجَمَّـــرا

وكانوا يفعلون ذلك استعطافا وإرضاء للآلهة، لتقف في صفهم وتلبّي حاجاتهم ومطالبهم.

ويروى أن رجلا من صوفة كان يرمي للناس، لا يرمـــون حتـــى يرمـــي، فكـــان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك، فيقول لا حتى تميل الشـــمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك، ويقولون له ويلك قم فارم، فيأبى عليهم حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه. [2]

ومن الأماكن التي تجللها القداسة (المزدلفة) إذ إنها من الأماكن المعظمة، التي لا ينتهي الحج إلا بالمبيت بها، يقول أبو طالب في ذلك: [3]

(الطويل)

وليلـــةِ جَمـــعٍ والمنـــازلُ مِـــنْ مِنًـــى وهـــل فوقَهـــا مـــن حُرمـــةٍ ومنـــازلِ

ويقول أيضا: [4]

(الطويل)

وبالمَشْـــعَرِ الأقصـــى إذا عمـــدوا لـــهُ إلالِ إلـــى مَفْضَـــى الشِّـــراج القوابـــلِ

والمشعر جبل بآخر المزدلفة؛ سمي بذلك لأنَّ الجاهلية تشعر هداياها فيه، والمشعر مـــن أسماء المزدلفة [5]، واسمه قزح؛ وربما سمي هذا الجبل باسم قزح لأنه نصب عليه الصنم (قزح)،

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جمر).

[2] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 66.

[3] أبو طالب، **ديوانه**، ص 65.

[4] **نفسه**، ص 65.

[5] الطبري، **تفسيره**، ج 2، ص 289.

(قزح)، الذي تصور الجاهلي بأنه يتحكم بالرعد والعواصف، وربما لقولنا (قوس قــزح) الــذي يظهر بعد سقوط المطر وانقشاع الغيوم صلة بهذا الإله. [1]

وكان العرب يتفاخرون بخدمة البيت الحرام؛ فهم بذلك ينالون رضى الآلهة، وفي طقس السدانة، يقول حسان بن ثابت، مادحا قريش بأنهم سدنة الكعبة: [2]

(الكامل)

كانَــــتْ قُـــريشٌ بَيْضـــةً فَتفلَّقَـــت فـــالمُحُّ خالِصُـــهُ لعبْـــدِ الـــدَّارِ
ومنـــاةُ ربـــي خصـــهم بكرامـــةٍ حُجَّـــاب بيـــت الله ذي الأســـتارِ

فهذه المهنة كرامة ومجد لصاحبها، لما للبيت الحرام من قداسة وعظمة.

وتعامل الجاهلي مع هذه الأمكنة بتوق روحاني، وقدَّمها بوصــفها مقدســة، إذ أثــارت مشاعره، وحركت عواطفه لما لها من أهمية دينية وروحية، حفظت في العقول والأذهان، ومن ثم انعكست واقعا على حياته، فرأيناها في شعره وقصائده، بما حفظت وخلدت به مــن قداســة وعظمة.

[1] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6/ ص 287.

[2] حسان بن ثابت، **ديوانه**، تحقيق: سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1974م، ص121.

المبحث الثّالث

آلهة الأماكن

لم تكن مكة هي القبلة الوحيدة في الجزيرة العربية، ولم تكن الكعبة وحدها مقصدا، وإنما كانت للعرب كعبات أخرى تحج إليها في مواسم معينة، تعتر عندها، وتقدم النـــذور والهـــدايا، وتطوف بها، ثم ترحل عنها بعد أن قامت بالمناسك الدينية المطلوبة جميعها. [1]

وقد اتخذت كُلُّ قبيلة في بيت صنمها، أعيادا مكانية تحتفل بها، فكانوا يلبســون أجمــل الثياب، ويتزينون بالحلي، وكان الصبيان يلعبون ويضربون بالدفوف، ويذبحون عنها، ويعكفون عليها، وكان كل هذا يتم في جَوّ يغمره الفرح والسرور والاحتفال، وفي ذلك يقول عــامر بــن الطفيل:[2]

ألا يـــــا لَيْـــتَ أخـــوالِي غَنِيـــاً علـــــيهم كُلَّمـــــا أمْسَـــــوْا دَوَارُ

ويقول امرؤ القيس: [3]

(الطويل)

فعَـــنَّ لنـــا سِـــرْبٌ كـــأنَّ نِعاجَـــهُ عَـــذارَى دَوارٍ فـــي المُـــلاءِ المُـــذَيَّلِ

والفلسفة كامنة وراء المظاهر الاحتفالية التي تحظى بها هذه المعابد، فلها كهنة يمارسون عندها طقوس العبادة، وينظّمون رحلات الحج إليها. [4]

وخصّ كل معبد بتلبية خاصة، تعظيما له، ففي الحج إلى بيت اللات يقول الحاج إليه:[5]

"لبيك اللهم لبيك، لبيك كفى بيتاً بنيته

ليس بمهجور ولا بلية

---

[1] الحوت، **في طريق الميثولوجيا**، ص 124.

[2] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص42.

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 22.

[4] البطل، **الصورة في الشعر العربي**، ص45.

[5] ابن حبيب، **المحبر**، ص 318.

لكنه من تربة زكية

أربابه من صالح البرية "

وفي بيت مناة كان الحاج يلبِّي فيقول: [1]

"لبيك اللهم لبيك

لولا أن بكرا دونك

يَبرّك الناس ويهجرونك

وما زال حج عثج يأتونك

إنا عدوائهم من دونك"

ففي هذه المعابد وعند الأنصاب، كانوا يعتكفون لأداء الفرائض الدينية من صلاة وعبادة.

ويصف الأعشى في شعره صورة المتعبدين الذين اختصوا بالانكباب علـــى المعبـــود، عبادة وتزلفا، وخدمة مباشرة لهذا المعبد، فقد وهبوا أنفسهم عبيدا وخدما لهذه المعابد، فيقول:[2]

وَرَدَت علـــى سَـــعْدٍ بـــن قيْـــ سِ نـــاقتي، ولمـــا بِهَـــا
فـــإذا عبيـــدٌ عُكْـــفٌ، مُسَـــكٌ علـــى أنصـــابِها
وجميـــع ثَعلَبـــةَ بـــن سعْـــ د، بعـــدُ، حـــول قبابِهـــا
وعلمـــتُ أن الله عَمْـــ دا، حسَّـــها وأرى بهـــا

فقوله عكفٌ فيها طاقة من العبودية والقدسية التي يحملها هذا المكان.

ويقول زهير بن جناب: [3]

---

[1] ابن حبيب، **المحبر**، ص 313.

[2] الأعشى، **ديوانه**، ص 19.

[3] الحموي: **معجم البلدان**، مادة (صحار).

بِكُـــلّ مناجـــد جلْـــد ٍ قُـــواه وأهيـــب عـــاكِفونَ علـــى الـــدَّوار

ويقول الشاعر، واصفا عكوف المتعبدين في المعبد: [1]

تَـــراهمْ حـــول قَـــيْلِهمُ عُكُوفـــا كمـــا عَكَفَـــتْ هُـــذَيـــلُ علـــى سُـــواع

فالشاعر شبه اجتماعهم حول زعيمهم وعكوفهم حوله، بعكوف قبيلة هذيل على الصـــنم سواع في معبده.

ويقول عنترة: [2]

(البسيط)

تَجلّلَتْنـــيَ إذْ أهـــوى العصـــا قِبَلـــي كأنهـــا صـــنمٌ يُعْتـــادُ مَعكـــوفُ

ولنا أن نتبين الحالة التي يكون فيها المتعبدون، في معابد آلهتهم، يقول الشاعر: [3]

فبـــاتَ يَجْتـــابُ شـــقارى كمـــا بيقـــر مـــن يمشـــي إلـــى الجلســـد

فالشاعر يصور حال المتعبد القادم لزيارة المعبود، فهو مطأطأ الرأس، ولكـــن دونمـــا استبطاء يلهج بصوت مسموع أدعية وتهليلات.

وفي مشهد آخر يصور الشاعر صورة المتعبد في المعبد، وما يلقاه من المشقة والتعب، لإرضاء الآلهة، يقول كعب بن زهير يصف الثور الوحشي حينما احتمى بشجرة ارطاه: [4]

(الخفيف)

غسَـــلَتْهُ حتـــى تَخـــالَ فَريـــداً وجُمانـــا عـــن متنـــهِ مَخـــدُورا
فـــي أصُـــول الأرْطَـــى وَيبْـــدي عُروقـــاً ثَنِـــدات مِثـــلَ الأعِنّـــةِ خـــورَا
واشـــجاتٍ حُمْـــراً كـــأنّ بـــأظْلا فـــي يديـــهِ مـــنْ مـــائهنَّ عبيـــرا
كمطيـــفِ الـــدّوار حتـــى إذا مـــا ســـاطِعُ الفجْـــرِ نبَّـــهَ العُصـــفورا

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 57. قيلهم: الملك.

[2] عنترة، **ديوانه**، ص 53.

[3] الحموي، **معجم البلدان**، مادة (جلسد).

[4] كعب بن زهير، **ديوانه**، ص 164، 165.

فالشاعر يشبه الثور الذي يدور بالطاحون، بالمتعبد الذي يدور حول المعبود في معبده، والعرق يتصبب منه، ولأن الطواف يكون طول اليوم، وليس لوقت قصير، كما الثور يستغرق ليلته كلها، فإنه من شدة التعب تبدو عروق ساقيه، وأما قدماه فهما مغبرتان من أثر الحركة والدوران، غير أن هذا الغبار كالعبير لدى الثور ولدى المتعبد، لأنه بذلك ينال رضا الآلهة وحمايتها.

وفي هذا المشهد يقول عامر بن الطفيل: [1]

(الطويل)

وقدْ علموا أنّي أكُرُّ عليْهِمُ عَشِيّةَ فيفِ الرّيحِ كرَّ المُدَوَّرِ

فالطائف يمضي مسرعا مثيرا للغبار، محاولا تحقيق أكبر قدر من الطواف.

ووقف المتعبدون في معبد اللات، واهبين ربتهم المال، طالبين الرجاء، وتمثل ذلك في دعائهم، إذ يقولون: [2]

"لبيك اللهم لبيك

إن ثقيف قد أتوك، وخلفوا المال وقد رجوك"

وفي هذا ما يدل على علو مكانته في نظرهم. وكانت معابدهم منازل ضيافة، وأماكن استراحة للمسافرين، إذ يقدم فيها العشاءُ الرَّبانيُّ المقدّس، ويقوم سدنتها على خدمة النزلاء، فيطعمونهم، ويقدمون لهم الخمر شراب الإله، ونرى ذلك في قول أبي خراش، مادحا (دُبَيَّة بن حرمي السلمي) سادن بيت العزى: [3]

فَنِعْمَ مُعَرَّس الأضياف تَذْحى رحالهُم شامِيَةٌ بليلُ

يقاتل جُوعَهُمْ بِمُكلَّلاتٍ من الفُرنِي يَرْعبُها الجميلُ

---

[1] عامر بن الطفيل، **ديوانه**، تحقيق: هدى جنهويتشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص 99.

[2] **تاريخ اليعقوبي**، ج1، ص 254.

[3] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 23. الفرني: الخبز.

فطقس السدانة مقدس، وشرف وعبادة لصاحبه، يرثي أبو خراش الهذلي سادن العــزى، فيقول: [1]

ضَــخْمُ الرَّمَــاد عَظــيمُ القِــدْرِ جَفْنَتُــهُ حين الشــتاءِ كحــوض المُنْهِــلِ اللَّقِــفِ

وتوجّه العرب توجهوا إلى بيوت أصنامهم، قبل خروجهم للمعركة، طالبين من الآلهة أن تمنحهم الحماية، وتساعدهم في النصر على أعدائهم، ولهذا أشار شاعر قــريش عبــد الله بــن الزبعرى السهمي، عندما خرجت قريش لمحاربة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في غــزوة الخندق، يقول: [2]

واذكــر بــلاء معاشــرٍ واشْــكُرُهمُ ســاروا بــأجمعِهِمْ مــن الأنصــابِ
أَنصــابِ مكَّــة عامــدين ليثــرِبٍ فــي ذي غياطــل جَحفّــلٍ جَبْجَــابِ

فكفار قريش لم يستعدوا للحرب، إلا بعد أن قدموا الولاء لمعابد أصنامهم.

وكذلك إذا هزموا وفشلوا في حربهم، ينقلبون إلى معابد آلهتهم خاسرين شاكين حــالهم، يقول ضرار بن الخطاب الفهري: [3]

وفــرَتْ ثقيــفُ إلــى لاتهــا بمنقلــبِ الخائــب الخاســرِ

ويقول طرفة بن العبد: [4]

(الطويل)

فأقسَــمْتُ عنــد النُّصْــبِ إنــي لهالِــكٌ بِملتَفّــةٍ ليســت بغَــبْطٍ ولا خَفــضِ

ففي تصرفه ما يدل على قداسة هذا المكان، الذي يتواجد فيه النصب، حيث كان يــذهب إلى هذا المعبد راجيا من الآلهة إنقاذه مما هو في من بلاء.

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 24.

[2] عبد الله الزبعرى، **ديوانه**، ص 29.

[3] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ص 32.

[4] طرفة بن العبد، **ديوانه**، ص 53. المتلفة: القفر. الغرب: الوهدة المنخفضة.

وأجلّوا هذه المعابد فطافوا حول الأنصاب فيها، يقول المثقب العبدي في ذلك: [1]

يُطيـــفُ بنُصْـــبهم حُجْـــنٌ صـــغارٌ فقـــد كانـــت حـــواجبهم تشـــيبُ

ويقول الأعشى: [2]

(المتقارب)

يَطُـــــوفُ العُفَـــــاةُ بأبْوابِـــــهِ كطَـــوْفِ النَّصَـــارَى بِبيْـــتِ الـــوَثَنْ

فقوله (يطوف العفاة بأبوابه) أي يأتون أفواجا وجماعات من المتعبدين إلى هذا المكـــان، كحج النصارى وتعبدهم إلى بيت المسيح.

وفي طوافهم حول المعبود في المعبد، في جماعات، يقول عنترة في وصف فرسه:[3]

(الوافر)

تركـــتُ بنـــي الهُجَـــيْم لَهُـــم دوَار إذا تمْضِـــي جمـــاعَتُهم تعـــودُ

ووهب العرب للمعبد العذارى، وهذا دلالة على عظمته وقداسته، فنهن اللواتي يقمن على خدمته، ومنهن اللواتي تصوَّفن للعبادة والطواف فيه، وفي ذلك

يقول امرؤ القيس: [4]

(الطويل)

وبَيْـــتَ عَـــذَارى يَـــوْمَ دَجْـــنٍ ولَجْتُـــهُ يُطِفْـــنَ بِجَمَّـــاءِ المَرَافِـــق مِكْسَـــالِ

والعذارى في قوله هنَّ المتعبدات الطائفات حول الإله المعبود في المعبد.

---

[1] المثقب العبدي، **ديوانه**، ص 261. حُجْنٌ: صبيان.

[2] الأعشى، **ديوانه**، ص 21.

[3] عنترة، **ديوانه**، ص 30.

[4] **نفسه**، ص 34؛ وينظر: علي البطل، **الصورة في الشعر العربي**، ص 87.

ومن أهم طقوس التعبد في هذه المعابد، تلطيخ خارطة المكان بدماء القربان من أجل تكثيف الاستعطاف والاسترضاء، يقول أمية بن الأسكر: [1]

إذا لَقِيتَ راعيَيْن في غَنَم أُسَيَّدِيْنِ يَحْلفانِ بنُهُمْ
بينهما أشْلاءُ لحمٍ مُقْتَسَمْ فامْضِ، ولا يأْخُذْك باللَّحْم القَرَمْ

ويصور النابغة الذبياني في معرض اعتذاره للنعمان بن المنذر، دماء العتائر التي تسيل على المعبود في المعبد، فيقول: [2]

(البسيط)

فلا لَعمْرُ الذي مَسَّحتُ كَعْبَتَه وما هُريقَ على الأَنصابِ من جَسَدِ

فالشاعر يقسم بالذبائح التي تراق دماؤها على الأنصاب في معابدها، تيمنا وتبركا.

وإظهارا للوقار والهيبة التي حفل بها بيت العزى، عترت فيه الذبائح وأريقت فيه الدماء، وفي ذلك يقول زهير بن عمير: [3]

(الرجز)

أقسم بالله بما حجَّت بليّ وما على العُزّى تُعِزّه غنيُّ

وفي ذات المعنى يقول ابن عبد الجن: [4]

أما ودماء مائرات تخالها على قنة العزّى وبالنسر عَنْدَما

فالشاعر يصور مشهد تقديم القرابين، التي تذبح فتسيل دماؤها وتمور، ومن شدة طراوتها فإنها تشبه لون العندم.

ويقول طرفة: [5]

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص40.

[2] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 25.

[3] يعقوب، عبد الكريم ابراهيم: **أشعار العامريين**، دار الحوار، اللاذقية، 1982م، ص 81.

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قنن)

[5] طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 74.

(الوافر)

إنـــي وجـــدّكَ مـــا هَجَوتُـــكَ وال أنصـــــابُ يُسْـــــفَحْ بيـــــنهن دمُ

فالشاعر يصور دقة المنظر وواقعيته، باستخدام الفعل (يسفح) فلكثرة الذبائح التي تقـدم في المعابد، أصبح بينها دماء كثيرة وهذا يدل على قداستها.

وكانوا أحيانا ينذرون ناقة أو شاة، وعندما يوفون نذورهم يصطادون ظبيا [1]، هـذا مـا ذكره الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته: [2]

(الخفيف)

عَنَنـــاً بَـــاطِلاً وظُلمـــاً كمـــا تُعْـــ تَـــرُ عـــن حُجْـــرَةِ الـــرَّبيضِ الظِّبَـــاءُ

فلم يقتصر تقديم العتائر في المعابد على الشياه، وإنما قُدّمت الظباء بدلا عنها.

وكان لبيت العزى، مكان يقال له (الغبغب) وهو المنحر، أو حجر يوضـع بـين يـدي الصنم، وسمي بذلك لأنه يمثل حركة دماء القرابين، وتدفقها وتضاربها. [3]

ولفظة الغبغب تحمل أبعادا عميقة (دينية واجتماعية ونفسية)، تجمع أنه مكان له قداسـة خاصة إذ فيه توفى النذور وتنحر فيه القرابين التي تقدم في المعبد للآلهة. [4]

وفيه يقول قيس بن الحدادية الخزاعي: [5]

تَلَيْنـــا ببيـــت الله أوْلَ حَلْفَـــةٍ وإلا فأنصـــاب يَسُـــرْنَ بغبغـــبِ

ويقول نهيكة الفزاري لعامر بن الطفيل، وهو يذكر الغبغب:[6]

---

[1] الحوت، **في طريق الميثولوجيا**، ص 252.

[2] الحارث بن حلزة، **ديوانه**، ص 71.

[3] الحموي، **معجم البلدان**، مادة (غبب)؛ وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غبب).

[4] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 19.

[5] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج 1، ص 87؛ وينظر: الحموي، **معجم البلدان**، مادة (غبب).

[6] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 21.

يـــا عـــامِ! لـــو قَـــدَرَتْ عليـــك رِماحُنـــا والراقصـــات إلـــى منًـــى فالغَبْغَـــبِ

وذكر أبو خراش الهذلي، الغبغب في هجائه لرجل تزوج امرأة جميلة اسمها أسماء:[1]

لقـــد أنْكحَـــتْ أســـماء لحـــي بُقيْـــرة من الأدم أهداها امرؤٌ مـــن بنـــي غَـــنْمِ
رأى قـــذعا فـــي عينهـــا إذ يَســـوقُها إلى غبغب العزى، فوضَّـــع فـــي القسْـــمِ

فكانوا يقسمون لحوم قرابينهم وهداياهم، لمن يحضرها.

وفي طاعتهم وإخلاصهم لمعبد الأقيصر، يقول الشاعر: [2]

وأنصـــاب الأقيصـــر حـــين أضـــحت تســـيل علـــى مناكبهـــا، الـــدّماء

ويقسم عارق الطائي بالقرابين التي تعتر في المعبد، فيقول: [3]

فأقســـم بالعتـــائر حيـــثُ فلـــس ومـــن نَسَـــك الأقيصـــر مِلْعِبـــادِ

فالشاعر يبين أن قيمة الجليل والمقدس، تَبْرز في تقديم القرابين وذبح الذبائح.

وفي معبد اللات، قدموا الهدايا والعطايا، فقلدوا ربته (ربة المعبد) بالقلائـــد والســـيوف، ويؤكد هذه الرواية قول الشاعر الإسلامي كعب بن مالك: [4]

وننســـــى الـــــلات والعـــــزى وودا ونســـــلبها القلائـــــد والســـــيوفا

ووجد في معبد ذي الخلصة الهدايا (كالشعير والحنطة) والقرابين، لقداسته وتأثيره فـــي حياة الجاهليين. [5]

ومن صور تعظيمهم لأماكن آلهتهم، أن جعلوا لها حرما يتلون بحرمة كل حرم، فســـقام حمى بيت العزى، وصل إلى حرمة حرم مكة، لا يأتيه خائف إلا أمن، ولا يطرد حيوان إليه إلا ترك.[6]

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 20.
[2] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج/ 6، ص 276.
[3] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج3 / ص 302.
[4] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج 1/ ص 63.
[5] الأزرقي: **أخبار مكة**، ص 124.
[6] الحوت، **في طريق الميثولوجيا**، ص 140.

وفيه يقول أبو جندب الهذلي: [1]

(الطويل)

لقـــد حَلَفـــتْ جَهْـــداً يمينـــاً غليظـــةً بفَـــرْعِ التـــي أحْمَـــتْ فُـــروعَ سُـــقامِ

وسقام وادٍ بالحجاز، وفيه يقول أبو خراش الهذلي: [2]

(البسيط)

أمْسَـــى سَـــقامٌ خَـــلاءَ لا أنِـــيسَ بـــه إلا السِّـــباعُ ومَـــرُّ الـــرِّيحِ بـــالعزَفِ

وفي حرم ذي الخلصة، يقول أعشى باهلة: [3]

(البسيط)

أصَـــبْتَ فـــي حَـــرَمٍ منَّـــا أخـــا ثِقَـــةٍ هنْدَ بنَ أسْـماءَ لا يَهْنَـــئْ لـــك الظَّفَـــرُ

ففي قوله حرم، والذي قصد به حرم معبد ذي الخلصة، إشعاعات من القداسة والإجلال.

وفي القسم فيض من القداسة، فقد أقسموا بآلهتهم ومعابدها، أيمانـــا مغلظـــة، تعظيمـــا وإجلالا، مما يدلل مدى سيطرتها على عقولهم وأمور حياتهم، يقول أوس بن حجر: [4]

(الطويل)

وبِـــاللاّتِ والعُـــزّى ومـــن دانَ دينَهـــا وبـــــالله، إنّ اللهَ مِـــــنْهُنَّ أكْبَـــــرُ

ويقول أيضا: [5]

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 19.

[2] السكري، **أشعار الهذليين**،ج3 / ص 1228. وأعشى باهلة: هو عامر بن الحارث بن رباح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل. وقال هذه القصيدة يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب.

[3] القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: علي محمـــد البجـــاوى، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص 575.

[4] أوس بن حجر، **ديوانه**، ص36.

[5] الجاحظ، **البيان والتبين**، ج3 / ص7.

(الطويل)

حلفــتُ لهــم بــالمِلح والقَــومُ شُــهَّدٌ وبالنــار والــلاتِ التــي هــي أعظــمُ

ويقول المتلمس في هجائه عمرو بن المنذر: [1]

(الكامل)

أطرَدتَنــــي حَــــذَرَ الهجــــاءِ ولا وَالــــلاتِ والأنصــــابِ لا تَئِــــلُ

وفي مثل ذلك يقول الحارث بن هشام بن مغيرة:[2]

جميعــا وحــاموا آل كعــب وذببــوا بخالصــة الألــوان محدثــة الصــقل
على أنني والــلات يــا قــوم فــاعلموا بكــم واثــق أن لا تقيمــوا علــى تبــل

وأقسموا بالعزى وبيتها، يقول درهم بن زيد الأوسي:[3]

إنِّــي وَرَبِّ العُــزّى الســعيدةِ والله الــذي دُونَ بيتْــه سَــرِفُ!

وفي قسمهم ببيت ذي الخلصة، يقول الشاعر:[4]

وبــالمَرْوَةِ البيضــاءِ يَــوم تَبَالَــةٍ ومَحْبَسَــهِ النُّعمــانِ حيْــثُ تنصّــرا

وقصد الشاعر بالمروة البيضاء، ذا الخلصة.

ويتخذ زهير بن أبي سلمى من القسم، ما يكشف عن عظمة بيت الأقيصر، يقول: [5]

(الطويل)

حلفــت بأنصــاب الأقيصــر جاهــدا ومــا سُــحِقَتْ فيــهِ المَقــادِيمُ والقَمْــلُ

ويقول عبد العزى بن وديعة المزني: [6]

---

[1] المتلمس الضبعي، **ديوانه**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، 1970 م، ص 42.

[2] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج2 \ ص 263.

[3] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 19.

[4] **نفسه**، ص 35.

[5] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 48.

[6] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 14.

إنّـــي حَلَفـــت يمـــينَ صِـــدقٍ بَـــرّة بِمَنـــــاةَ عنـــــد محـــــلِّ آل الخَـــــزْرَجِ

والعلاقة بين الجاهلي وربته علاقة حميمة، قوية الوشائج، ولذلك كان ملازما لمعبـدها، يقول عمرو بن الجعيد: [1]

وإنِّـــي وترْكِـــي وَصْـــلَ كـــأسٍ لكَالَّـــذي تبـــــرأَ مـــــن لاتٍ وكـــــان يَـــــدينُها

ويجلس الجاهلي من معبد مناة، جلســة المتأمــل الخاشــع، يقلــب بطرفــه، ويجــول بمشاعره، فإذا بصره لا يرى إلا ما يشاكل النفس الخاشعة المتعبدة، يقول الكميت بن زيـد بـن مدركة: [2]

وقـــــد آلـــــت قبائـــــل لا تـــــولي، منـــــــاة ظهورهـــــا متحرّفينَـــــا

فقبائل الأوس والخزرج، لا تدير ظهورها لمعبد مناة فهو قبلتهم التي يحجون إليها.

ومن المزارات المقدسة، معبد ذو الشرى يقيم فيه المتعبدون أياما معدودة، راجيين الخير والرحمة، وتميز هذا المعبد بإضفاء الخصوبة والحياة والإخضرار على ما حوله، وفيه يقول أحد الغضاريف: [3]

إذن لحَلَلْنَا حَـوْلَ مـا دونَ ذِي الشِّـرَى وشَـجَّ العِـدى مِنَّـا خمـيسُ عَرَمْـرَمُ

وفي مكانه يقول الهذلي: [4]

ومن دون ذكراهـا التـي خطـرت لنـا بشـــرقيّ نعمـــان الشّـــرى فـــالمعرّفِ

وبيت الأقيصر من البيوت المعظمة التي توهم الجاهليين بقدرات روحية حلـت فيـه، فقدسوه لتحصيل الخير والبركة، واتقاء المكروه.

وفيه يقول معاوية بن عبد العزى الجرمي: [5]

---

[1] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص16.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص 85.

[3] **نفسه**، ص 38.

[4] الحموي: **معجم البلدان**، ص49، مادة (شرى).

[5] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قرر).

ألـــمْ تـــرَ جَرْمـــاً أنجـــدَتْ وأبـــوكُمُ مع الشـــعر فـــي قـــصِّ الملبَّـــد شـــارِعُ
إذا قُـــرّة جـــاءت يقـــول: أصـــب بهـــا سوى القمل؛ إني مـــن هـــوازِنَ ضـــارِعُ

فالشاعر يذكر طقوس حجهم إلى معبد الأقيصر، وما لهذا المكـــان مـــن قداســـة عنـــد الجاهليين، فكانوا يحلقون رؤوسهم فيه تعظيما وتعبدا.

وفي طقوس معبد الأقيصر، يقول ربيع بن ضبع الفزاري: [1]

فـــإنّني والـــذي نَغـــم الأنـــام لـــهُ حـــوْلَ الأقيْصـــرِ تســـبيحُ وتهليـــلُ!

وما قوله إلا اضاءات لمراسيم دينية، يمارسها حجاج الأقيصر، فطوافهم ممزوج بالتهليل والتسبيح اللذين يبرزان عمق الإحساس بقداسته.

ومن باب إجلالهم واحترامهم لبيت الأقيصر، أن كان له كسوة في كل عـــام، مضـــاهاة لكسوة الكعبة، وفي ذلك يقسم الشنفرى بأثواب الأقيصر قائلا: [2]

(الطويل)

وإن امـــرأً أجـــار عَمْـــراً ورهطَـــهُ علـــيَّ، وأثـــواب الأقيصـــرِ، يَعْنُـــفُ

ومن محجات العرب التي انمازت بالقداسة كعبة نجران، وكانت لبني حارث يعظمونها، ويقدمون لها طقوس التقديس والاحترام، لعلهم يحظون برضا الآلهة وخيرها. [3]

وفي ذلك يقول الأعشى: [4]

(المتقارب)

وكعبَـــةُ نَجْـــرَان حَـــتْمٌ علـــيْ كِ حَتَّـــى تُنَـــاخِي بأبْوابِهَـــا
نَـــزُورُ يزيـــدَ وعبْـــدُ المسِـــيحْ وقَيْســـاً هُـــمُ خيْـــرُ أربابِهَـــا

---

[1] ابن الكلبي: **الأصنام**، ص 39.
[2] الشنفرى، **ديوانه**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996 م، ص 55.
[3] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج2، ص 263.
[4] الأعشى، **ديوانه**، ص 173.

فكان الجاهلي يفد عليها، ويكثر من زيارتها، عند نزول النوائب عليه، وحلول المصائب به، اعتقادا منه أن روح الآلهة التي تحل فيها، سترضى عنه وتجيره، وتلبّي مطلبه، فإذا خاف أتاها آمِناً، وإذا أستجير أجير، وإذا كان جائعا شبع، وقداسة لهذه الكعبة أصبحت فيما بعد، كنيسة أو شبه كنيسة... تنصّر أصحابها. [1]

وخلاصة القول، نرى أن هذه البنايات المقدسة أمثال كعبة نجران، وبيت اللات والعزى ومناة وغيرها، طالما حاول أصحابها أن يضاهوا بها الكعبة وحرمها، وربّما يرجع السبب في نشأة هذه البيوت المقدّسة، إلى مذهب قريش الأحمس، الذي لون البيت الحرام بلون قرشي، ممَّا دفع القبائل المجاورة إلى أن تنهج نهجهم، وأن تبني لكل قبيلة بيتا مقدسا، وكان لهذه البيوت خدام وحجاب، وكذلك سدنة وكهنة، مثلها مثل الكعبة، فكانت سجلا للحياة الدينية والفكرية، بما وثّق الطقوس التي مورست تعظيما لها، فهي الرحم الديني الأكثر تأثيرا في حياة الجاهلي.

[1] الحوت، **في طريق الميثولوجيا**، ص 177.

المبحث الرّابع

الأسواق

كانت الأسواق مسارح الخيال، وملء السمع والبصر والفؤاد؛ فهي تثير إحساس الجاهلي وحسه، وإليها يلجأ عابدا خاضعا؛ إذ إنها مواقيت مكانية تبدأ منها مناسك الحج إلى البيت الحرام، فيأتيها الحاج محرما، ويكفي تقديسا لها ارتباطها بالإحرام والحج، يقول الحارث بن حلزة اليشكري في ذلك: [1]

(المتقارب)

كفى شاهداً بِمُباح الصَّفا إلى مُلْتَقى الحجِّ بالمَوْسِمِ

فشعيرة الحج تنطلق من الموسم أي من السوق، حيث يحرمون ويطوفون، بأحجار عكاظ المقدسة.

ويقول بلعاء بن قيس: [2]

إن عكاظ مأوانا فَخَلُّوهُ وذا المجاز بعد أن تَحُلُّوه

فتعد الأسواق الخطوة الأولى في شعيرة الحج، ومن غير المكوث فيها والإحرام منها لا يبدأ الحاج مناسكه.

وكان في سوق عكاظ صنم (جهار) لهوازن، وله سدنة، يأتيه المتعبدون مؤدين الطقوس التعبدية في هذه السوق، ويطوفون بحجارتها،ويذبحون العتائر فيها، وكان لهذه السوق تلبية خاصة إذ يلبون فيقولون:

"لبيك اللهم لبيك، اجعل ذنوبنا جبار،

واهدنا لأوضح المنار، ومتعنا وملّنا بجهار".[3]

---

[1] الحارث بن حلزة، **ديوانه**، ص 133.

[2] الأصفهاني، **الأغاني**، ج 22/ ص 74. وبلعاء بن قيس: هو بلعاء بن قيس الليثي الكناني سيد بن عبد مناة من قبيلة كنانة في الجاهلية، وحفيد سيد قبيلة كنانة الشداخ، وأحد أشراف العرب وساداتهم وفرسانهم وشعرائهم وحكمائهم.

[3] ابن حبيب، **المحبر**، ص 312 – 315.

فالأسواق أماكن مقدسة لها أصنامها وحرمتها يقصدها الناس، ويتقرَّبون منها في مواسم حجِّهم، وأصبحت بعد ذلك أوسع مجالا في الأمور الحياتية وابتعدت عن الحياة الدينية، عندما طغت قداسة مكة على سواها.

وصبغت الأسواق بحرمة الأشهر الحرم، فقد كان العرب يأمنون فيها على أموالهم وأنفسهم ودمائهم،ما داموا في حرمتها، وذلك لأنها أماكن مقدسة. [1]

يقول النابغة الذبياني في ذلك: [2]

(الكامل)

أرأيت يومَ عُكاظَ حين لَقِيتَني تحت العَجاجِ، فما شَقَقْتَ غُبارِيَ

فقوله (ما شققت غباري) توضح قداسة هذه السوق، إذ تنسيه الذي بينه وبين غيره من عداوة.

ومن مظاهر تقديسهم واحترامهم الأسواق، أن الكلمة فيها رباطٌ مقدَّسٌ، لقداسةِ هذا المكان، فلا أحد يستطيع أن يُخلّ بقوانينها، يقول الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته: [3]

(الخفيف)

واذكروا حِلْفَ ذي المَجازِ وما قُدِّمَ فيهِ العُهُود والكُفَلاءُ
حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعدِّي ولَنْ ينْـ قُضَ ما في المَهَارِق الأهْوَاءُ

فحلف ذي المجاز، رباط على أطراف الحلف لا يجوز الطعن فيه، لأنَّه عقد في مكان مقدس مثل ذي المجاز، الذي جاء من إجازة الحاج فيه. [4]

---

[1] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج7/ ص 369.

[2] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 54.

[3] الحارث بن حلزة اليشكري، **ديوانه**، ص 70.

[4] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج7 / ص380.

المبحث الخامس

الجبال

الجبال من المظاهر الطبيعية (الصامتة)، التي جلبت نظر الشاعر وفكره، فأخذ يصف عظمتها، ويتأمل شموخها، ورمز لها في شعره برموز دلَّت على أبعاد مختلفة، فكانت من أكثر الأمكنة الصامتة، إيحاء للحس الشعوري عند الشاعر الجاهلي، وتمثيلا لتجربته الدينية التي عاشها في واقعه؛ فقدسية الجبل هي المحور البارز الذي بنى عليها الشاعر فكرة نصه، وهي التي استدعت مجموعة من الطقوس.

فما عرف عن الجبل بوصفه مكانا طبيعيا من قوة وصلابة وشموخ، كانت معانيَ ظاهرةً، أما المعاني الخفية، فهي تتمثل بصورة أعمق ممَّا هي عليه المعاني الظاهرة، فهو يأتي بالمقدّس الذي صُعِدَ إليه للاستسقاء، في حالات الجدب والجفاف، كجبلِ أبي قُبَيس، إذ صعد عبد المطلب مرارا إليه، داعيا، متوسلا، بأن تنزل عليهم السماء الغيث، الذي به تحيا الأرض ويحيون[1]

فجبل أبي قبيس إلى جانب ثبير، من الجبال المقدّسة، التي صعد العرب إليها للاستمطار، وينبع ذلك من كونهما يتسمان بقدسية خاصة.

يرسم أمية بن أبي الصلت، ما كان من مُمارسة العرب لطقوس سحرية ممثلة بالاستسقاء على قمم الجبال، فإذا حلَّ القحط، واحتبس عنهم المطر، جمعوا البقر، وعقدوا في أذنابها وعراقيبها أنواعاً من النبات، وصعدوا إلى الجبل، مشعلين فيها النار، معتقدين أن ذلك، سينزل عليهم المطر، ويغيثهم ممّا هم فيه من جدب وقحط[2] فالنار إشارة للبرق، والبرق مجلبة المطر.[3]

يقول في ذلك: [4]

---

[1] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6/ ص 221.

[2] الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج 2، ص 492.

[3] الشورى، **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 74.

[4] أمية بن أبي الصلت، **ديوانه**، ص 73 – 75.

(الخفيف)

سَـــــنَةٌ أزمـــــةٌ تُخيِّـــــلُ بالنّـــــا سِ تـــرى للعِضـــاهِ فيهـــا صَـــريرا
ويَسُـــوقون بـــاقر السّـــهل للطّـــو د مهازيـــلَ خِشْـــيَةً أن تُبـــورا
عاقـــدين النيـــران فـــي شـــكرِ الأذْ نـــابِ عَمْـــداً كيمـــا تهـــيجَ البحُـــورا
سَـــلَعٌ مـــا ومثلـــه عُشَـــرٌ مـــا عائـــلٌ مـــا وعالَـــتْ البيقـــورا

إذ ليس من شك أن الجبل شُكّل في الشعر الجاهلي تشكيلا رمزيا، وأشار إلـى طقـوس الاستسقاء التي مارسها العرب باستخدام البقر والنار.[1]

وتجسَّدت طقوسُ الاستسقاء، في قول الورل الطائي، بالصعود إلى الجبل، وذلـك يـدل على قداسة الجبل وعظمته، يقول: [2]

لا درَّ درُّ رجـــالٍ خـــاب ســـعيُهُمُ يســـتمطرون لـــدى الأزمـــات بالعُشَـــرِ
أجاعـــلٌ أنـــت بيقـــوراً مســـلّعةً ذريعـــةً لـــك بـــين الله والمطـــرِ

وارتبطت الجبال بالعظماء، فمن وجودهم ودفنهم على قممها، اكتسبت القداسة، فلم يمر هذا الحدث دون تسجيل يذكر عظمة الجبال وقداستها، التي استمدتها من هؤلاء العظماء.

و (الحجون) جبل بأعلى مكة، فيه مدافن أهلها، وعلى قمته دفن (قصـي) سـيد قومـه وعظيمهم، فأصبح مزارا للناس يعظمونه ويتقربون إليه، وفيه يقـول مضـاض بـن عمـرو الجرهمي: [3]

كأن لم يكن بين الحَجُـونِ إلـى الصـفا أنـيسٌ ولـم يَسْـمُر بمكّـةَ سـامِرُ
بلـى! نحـنُ كنّـا أهلهـا فأبادنـا صُـروفُ الليـالي والجُـدودُ العـواثرُ

---

[1] الصائغ، عبد الإله: **الخطاب الإبداعي الجاهلي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997م، ص 208.

[2] الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج 4، ص 468.

[3] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1، ص 95.

ومن الجبال التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي، والتي امتزجت فيها الدلالات التي تحمل خلفها رواسب أسطورية، جبلا (أجأ وسلمى)، إذ ارتبط الجبلان بشخصيات أكسبتها الشهرة.[1]

يقول الشاعر في ذلك: [2]

إذا أجأٌ تَلفعَتْ بشِعافِها علَيَّ وأمستْ بالعماءِ مُكلّلة
وأصْبَحتِ العَوْجاءُ يَهْتَزُ جِيدُها كجِيدِ عروسٍ أصبحت مُتَبذَّلة

ويقول امرؤ القيس:[3]

(الطويل)

أبت أجأٌ أنْ تُسلم العامَ جارِها فمن شاءَ فلينهضْ لها من مقاتلِ

فهذه الأبيات الشعرية تشع اضاءات أسطورية، ربطت جبلي (أجأ وسلمى) بشخصيات أسطورية، فاشتهرا وكثرت القصص حولهما.

توجه الإنسان إلى الجبال معترفا بعجزه أمامها، ساعيا إلى استعطاف أو استمالة القوى المتفوقة التي تحل فيها، بالتضرُّع والصلواتِ والقرابين، فكانت رمزا مكانيا لكل ما هو مقدس،كجبل (نوذ) وقداسته التي اكتسبها من نزول سيدنا آدم عليه، وجبل (الجودي) الذي كان مقرا ومستقرا لسفينة نوح عليه السلام، وجبل عرفة الذي كان مكانا جامعا لآدم وحواء،فارتبطت معانيها الجليلة في مخيّلة الإنسان، وقد طالعنا الشعراء في أشعارهم بعضا من هذه القداسة.

يقول ورقة بن نوفل: [4]

سبحانه ثم سبحانه نعوذُ به وقبلنا سبَّح الجوديُّ والجُمُدُ

---

[1] ذكرت أسطورة هذين الجبلين في المبحث الثاني من الفصل الأول، ص46.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أجأ).

[3] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 95.

[4] البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب ولب لباب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349 ه، ج3، ص 356.

ويقول أمية بن أبي الصلت: [1]

(البسيط)

حتّــى تســوّت علــى الجــوديّ راســية بكــل مــا اســتودعَتْ كأنَّهــا أطــمُ

ويقول في موضع آخر: [2]

(الطويل)

وكــان لهــا الجــوديُّ نَهْيــاً وغايَــةً وأصْــبَحَ عَنْــهُ مَوجُــه مُتَراخِيــا

وتتبع قدسية هذا الجبل (الجودي) من استقرار سفينة نوح على قمته، يــوم عاشــوراء المحرم. إضافة إلى أنه أحد الجبال التي شيدت منه الكعبة المشرفة.[3]

وكان الجبل مشبعا بمعاني المقدس، فهو على صلة وثيقة بالحج في المعتقد الجاهلي، لأنه مكان لتنصيب الآلهة، أو لأن الوقوف عليه من متممات الحج، فكان حرما توجَّب تقديم شــعائر العبادة والاحترام عنده.

وجسد طفيل الغنوي ذلك قي قوله: [4]

(البسيط)

يــــزرنَّ إلالاً لا يُنَحِّــــبْن غيــــره بكــلِّ ملَــبٍّ أشــعث الــرأس مُحــرمِ

وفي قسمهم بالجبال، إشارات دينية، تدل على تعظيمهم وإكبارهم لها، يقول أوس ابــن حجر: [5]

---

[1] أمية بن أبي الصلت، **ديوانه**، ص 117.

[2] **نفسه**، ص 152.

[3] البغدادي، **خزانة الأدب**، ص 356.

[4] طفيل الغنوي، **ديوانه**، ص 101.

[5] أوس بن حجر، **ديوانه**، ص 7. اللبين: جبل قريب من جبل الكبكب. الكبكب: الجبل الأحمر الذي يجعله الواقــف علــى عرفات إلى ظهره.

(الطويل)

حَلَفْــتُ بــرَبِّ الــدّامياتِ نحُورُهــا ومــا ضَــمَّ أجمــادُ اللّبَــيْنِ وكَبْكَــبُ

وكذلك أقسم عنترة بجبل أبي قبيس قائلا: [1]

(الكامل)

قــولا لقَــيْسِ والرَّبيــعِ بــأَنني خطُّ المَشــيبِ علــى شــبابي مــا عَــلا
بل لو صَــدَمْتُ بهمّتــي جَبَلَــيْ حَــرى قَسَــماً وحــق أبــي قُبَــيْسَ تَزَلْــزَلا

وأقسم النابغة بجبل إلال (عرفة) قائلا:[2]

(الوافر)

فــلا عَمْــرُ الــذي أُثْنــي عليــهِ ومــا رَفَــعَ الحجِــيجُ إلــى إلالِ

وفيه يقول شاعر جاهلي: [3]

فأقســم بــالوقوف علــى إلال ومــن شــهد الجمــار ومــن رماهــا

ويقول النابغة: [4]

(البسيط)

بمصــطحباتٍ مــن لصــافٍ وثبــرةٍ يــزرن إلالا ســيرُهُنَّ التَّــدافعُ

ومن خلال ما تقدم يتبيّن لنا أن للجبال مكانا بارزا في الموروث الديني عند الشــعراء، فجبل (إلال) هو جبل عرفة الذي ارتبط بالبيت الحرام، أو هو جبل في عرفة، وكلا الاتجــاهين يجسدان قداسة هذا الجبل الذي كان مقصد كل حاج؛ والذي ربما كان يحمل في ثنايــا حروفــه،

---

[1] عنترة بن شداد، **ديوانه**، ص162.

[2] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 151.

[3] الحموي، **معجم البلدان**،ج1، ص 243.

[4] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 36.

معنى ألوا أي اهتدوا إليه واجتهدوا ليدركوا الموقف، [1]ولذلك سمي(إلالا) أو أن له صلة (بأوال) صنم بكر وتغلب ابني وائل، أو أنه له علاقة (بإل) أي الله. [2]

والجبال من المظاهر الطبيعية التي استفزت مشاعر الشاعر، وحركت وجدانه، فأسبغ عليها هالة من القداسة، فكانت المكان الأمثل لكل زاهد متأمل، ولكل متحنثٍ في العبادة، كجبل ثبير، وكذلك جبل حراء الذي صعد إليه عبد المطلب للدعاء على أبرهة الحبشي عندما حاول هدم الكعبة، وفي غار في هذا الجبل اعتزل النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل نزول الوحي، وفيه نزل الوحي.[3]

وفي ذلك يقول عوف بن الأحوص: [4]

(الوافر)

فإنّي والذي حَجَّتْ قُريْشٌ مَحَارمَهُ، وما جَمَعتْ حِرَاءُ

ويقول أبو طالب: [5]

(الطويل)

وثَوْرٍ ومَن أرسى ثَبيراً مكانه وعَيْر وراق في حِراءٍ ونازلِ

وكان الجاهلي يلون الجبال بوشاح من الخوف، ويظللها بظلال الرهبة، وخيوط القداسة تجذبه من قلبه وبصره، فهي مسكن للجن، تلك الكائنات الخارقة التي رفعها إلى منزلة الإله، فإجلالهم لها، جعلهم يقدسون مأواها.

فالجن تسكن على الجبل؛ لأنه مكان قريب من السماء، وذلك يتيح لها أن تسترق السمع من العالم العلوي (السماء) مسكن الآلهة، فاعتمد عليها الكاهن في إدِّعاء معرفة الغيب.

---

[1] الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 243.

[2] خان، **الأساطير والخرافات عن العرب**، ص 115.

[3] الحموي، **معجم البلدان**، ج 3، ص 233.

[4] **المفضليات**، ص 174.

[5] أبو طالب، **ديوانه**، 64.

وقد ذكر كعب بن زهير هذه العلاقة، بقوله: [1]

(البسيط)

حتَّى سقى الليل سقْي الجِـنِّ فانغمسـتْ فـي جَـوْزِه إذا دَجَـا الآكـامُ والقـورُ
غطَّـى النَّشـازَ مـع الآكـامِ فاشـتّبها كلاهُمـا فـي سَـوادِ اللَّيْـلِ معمـورُ

وإلى عبقري نسبوا الجن جميعا، ونسبوا إليه كل شيء خارق للعادة.[2]

وممّا تقدم نستنتج أن نظرة العرب إلى الجبال كانت ممزوجة بالخوف والخشية؛ لأنها موطن الجن التي طالما حاول العربي اتقاء شرها، فتقربوا إليها خوفا من غضبها وسخطها.

وتعدُّ (النار) من أهم الموجودات التي ارتبطت بالجبال، فقد عرفها الإنسان في الزمن القديم، واعتقد فيها روحا وقوة خارقة للطبيعة، ففيها الحياة والموت.[3]

ووصل به الأمر إلى حدِّ تقديسها، فالزرادشتيون اتخذوها رمزا " لقوة الإله " وحرصوا على إبقائها مشتعلة في معابدهم، يقدمون لها وقودا من خشب الصندل، وأخشاب عطرية أخرى، فتعبق هياكلهم بروح قدسيّة فيها النشوة والطهر والخلود. [4]

وتسرَّب ذلك إلى العرب فهابوا النار وقدّروها، وأطلقوا عليها أسماء مختلفة، وكل اسم يلبّي حاجة ومطلبا معينا، فعرفوا نار الحرب، ونار القرى، ونار الاستسقاء، ونار التحالف وغيرها من النيران المتتعدة.

ومعظم النيران يتم إشعالها على قمم الجبال، فنار القرى تتدرج تحت شعيرة الكرم، فأشعلت على الجبال ليهتدي إليها الضالون والمسافرون، وفيها يقول أبو زياد الأعرابي: [5]

---

[1] كعب بن زهير، **ديوانه**، ص 41.

[2] الحموي، **معجم البلدان**، ج7، ص 79، 80. جبل عبقر: موضع في الجزيرة، ولد عليه سعد بن إنمار وهو رجل خارق؛ ولذلك لقب بعبقر.

[3] أبو سويلم، أنور: **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، 1991م، ص 115.

[4] **نفسه**، ص 117.

[5] الجاحظ، **الحيوان**، ج5، 134.

(الوافر)

لـــــه نـــــارٌ تشـــــب بكـــــل ريـــــحٍ إذا الظلمـــــــاء جللـــــــت البقاعـــــا

ومـــــا إن كـــــان أكثـــــرهم ســـــواما ولكـــــن كـــــان أرحـــــبهم ذراعـــــا

وهناك نار الاستمطار، التي يتم اشعالها على الجبال استدرارا للمطر والخير وتقام إلـــى جانبها طقوس تعبُّدية، كتقديم الأبقار قرباناً للآلهة.[1] وقد وضح أمية بن أبي الصلت ذلـــك فـــي شعره فقال: [2]

(الخفيف)

سَـــــلَعٌ ومـــــا مثلـــــه عُشَـــــر مـــــا عائـــــلْ مـــــا وكالَـــــتْ البيقـــــورا

وهناك نار الحرب التي هي من النيران العظيمة عند العرب، والتي أشعلوها على قمـــة الجبل ليلا ليبلغ الخبر أصحابه. [3]

يقول سلامة بن جندل: [4]

(المتقارب)

وتغِلـــــــبُ إذ حَربُهـــــــا لاقـــــــحٌ تُشَـــــــبُ وتُسَـــــــعرُ نِيرانُهـــــــا

ومما تقدم، تظهر الجبال لدى الشعراء منبعا زاخرا يستقون منـــه، العلـــو والشـــموخ، والثبات، وتمتاز بمكانة مقدسة لعلها متأتية من ارتفاعها وقربها من السماء، فاســـتدعت أجـــواء طقسية، تجتمع فيها الرهبة وتدور حولها العظمة.

---

[1] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج 5، ص 341.

[2] أمية بن أبي الصلت، **ديوانه**، ص 75.

[3] **نفسه**، ص 474.

[4] سلامة بن جندل، **ديوانه**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ص 75.

المبحث السّادس

القبور

من الأمكنة المقدّسة التي استولت على مشاعر العربي في العصر الجاهلي القبور، فكان يقف أمامها، وقد تملكته الرهبة الممزوجة بالخوف والعبوديّة.

لذلك كان حذرا في تعامله مع هذا المكان،ونظر إليه على أنه عزلة مكانية،معادية في صورتها الساكنة، وكان يعرف في مكنون نفسه، أنه مجمع للأرواح، فحاول اتقاء شره، وحصاد خيره.

وتمثل ذلك في ممارسة طقوس وشعائر تعكس اعتقادهم بقداسة القبر، وجثومه على رؤاهم وتفكيرهم؛ ومن هذه الطقوس، بناء القبر وتشييده وجعله بارزا، إضافة إلى جعله في مكان مرتفع، أي نفس المكان الذي يوضع فيه الإله.

يقول بشر بن أبي خازم مدللاً على أن القبر كان ذا ارتفاع بارز، وأنهم جعلوا له بابا: [1]

[1]

فمَن يَكُ سائِلاً عن بَيْت بِشْرٍ فإن لَهُ بِجَنْبِ الردْهِ بَابا [2]

لقد تعامل الشاعر مع (القبر) بقدسية عالية من خلال بعض المفردات (الرده، بيت)؛ لما تحمل من حمولات دلالية تدل على مكانته السامية، إذ جعل قبره قرب الماء – الرده – وفي مكان مرتفع، إضافة إلى لفظة بيت التي تدل في معظم الأحيان على بيت للعبادة، يفد إليه الزائرون سائلين حوائجهم.

ومن قداسة القبر، أنهم كانوا يطوفون حوله كما يطوفون حول بيت المعبود، يقول الأعشى في وصف أثر الحرب: [1]

---

[1] بشر بن أبي خازم، **ديوانه**، ص 26.

[2] بيت: اسم من أسماء القبر. ينظر: البابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي، **معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة**،، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، ص 290.

(المتقارب)

تعـــــودُ علـــــيْهِم وتمِضـــــيهُمُ كمـــا طـــاف بالرَّجمـــةِ المـــرْتَجِم

وتعظيما للقبر فقد حلفوا به الأيمان الصادقة، وفي ذلك يقول بشـر بـن أبـي خـازم الأسدي:[2]

(الوافر)

جَعَلـــتُمْ قبْـــرَ حارثَـــةَ بـــن لأْمٍ إلهـــاً تحلفـــونَ بِـــهِ فُجُـــورا
فقولـــوا للـــذي آلـــى يمينـــا أفـــيّ نـــذرت يـــا أوسُ النـــذورا

وكانت قبور كبار القبيلة وسادتهم مزارات يقصدها المحتاجون فيلبـون، ويلجـأ إليهـا الخائفون فيأمنون، ومنها قبر تميم جد بني تميم، وقبر عامر بن الطفيل. [3]

ونظر الجاهلي إلى القبر نظرة قدسية شفعها بالشعائر والطقوس، فحلقوا رؤوسهم عنـد القبر تعظيما؛لأن في الشَّعر الحياة والقوة، وفي حلّقه معنى التضحية، فحلق شعر الرأس أو حلق الضفيرتين من العادات القديمة؛ إذ قاموا بذلك إكراما وتعظيما لأربابهم، وعند الحج إلى بيـوت الآلهة،وبفعلهم ذلك أمام القبر، يرفعونه إلى مستوى الإله.[4]

وأثقلت به المرأة فهو من تبعات الفناء والموت، فبكت وناحت وحلقت الرأس ولطمـت خدَّها وقرعت صدرها بالنعال، تقول الخنساء في رثاء أخيها: [5]

(الوافر)

فـــــلا واللهِ ماسَـــــلَّيتُ نَفْســـــي بِفاحِشَـــــةٍعلِمْتُ ولا عُقُـــــوق
ولكنّـــي رأيـــتُ الصَّـــبرَ خيـــرا مـــن النَعْلـــينِ والـــرَّأس الحليـــق

---

[1] الأعشى، **ديوانه**، ص 39.

[2] بشر بن خازم الأسدي، **ديوانه**، ص 122.

[3] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6 / ص 488.

[4] **نفسه**، ج 5، ص 165.

[5] الخنساء، **ديوانها**، ص 103.

ومن مظاهر تقديسهم وتعظيمهم للقبر، العقر عليه، مشابهةً لتقديم الذبائح للآلهة، وهـذا هو الأصل في عبادة الأرواح، فهم يعقرون عند القبر لإيمانهم بأنه مسكن الأرواح، يقول عـدي يمدح النعمان: [1]

عَـالِم بالـذي يكـونُ نَقِـيُّ الصَّـ در عـفَّ علـى جثـاه نَحُـور

وكانوا كلما مروا بقبر سيد منهم، أو عزيز عليهم عقروا إبلهم أو خيلهم عند قبره، فقـد عقر رجل غريب ناقته على قبر النجاشي وقال: [2]

عقـرت علـى قبـر النجاشـي نـاقتي بـأبيض عَضـب أخلصـتهُ صَـياقله
على قبـر مـن لـو أنـيّ مـتُّ قبلـه لهانـت عليـه عنـد قبـري رواحلـه

وعقر الهدم بن امرئ القيس وعتيك بن قيس وحاطب بن قيس، رواحلهم على قبر عمرو بن صمة الدوسي، فقال الهدم: [3]

لقـد ضـمَّتِ الأثـراء منـك مِـرْزّأً عظـيم رمـاد النـار مُشـترك القِـدرِ
سقى الأرض ذات الطول والعرض مُـثْجِمٌ أحم الرجا واهـى العُـرى دائـم القطـرِ
ومـا بـي سـقيا الأرض لكـنَّ تُربـةً أضـلك فـي أحشـائها مَلْحـدُ القبـرِ

وقام حاطب بن قيس، وقال: [4]

سلامٌ على القبـر الـذي ضـم أعظمـا تحـومُ المعـالي حولَـهُ فَتُسـلِّمُ
فلـو نطقـت أرض لقـال ترابهـا إلـى قبـر عمـرو الأزد حـل التَّكـرُّمُ
لعَمْـرُ الـذي حطـت إليـه الوَنَـا حـدابير عُـوجٍ نَيُّهـا مـتهممُ

وقال جريبة بن الأشيم يوصي ابنه بأن يعقر على قبره: [5]

إذا مِـتّ فـادفني بحـرّاء مـا بهـا سـوى الأصْـرخين أو يفـوز راكـبُ

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جثا).

[2] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**، مؤسسة العارف، بيروت، (د.ت)، ج2 \ ص 366.

[3] ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج2 / ص 143.

[4] **نفسه**، ص 144.

[5] ابن حبيب، **المحبّر**، ص 322.

فـــإن أنـــت لـــم تعقـــر علـــيَّ مطيتـــي فلا قام فـــي مـــال لـــك الـــدهر حالـــبُ

وبيَّن حسان بن ثابت وجوب فعل ذلك، فقال عندما مرَّ على قبر ربيعة بن مكدم: [1]

(الكامل)

نفـــرت قلوصـــي مـــن حجـــارة حَـــرَّةٍ بُنِيَـــتْ علـــى طلـــق اليـــدين وَهـــوبِ
لا تنفـــري يـــا نـــاق منـــه، فإنـــه شِـــرّيب خمـــرٍ ، مِسْـــعَرٌ لحـــروبِ!
لا تبعـــدنَّ ربيعـــةَ بـــن مُكَـــدّم وســـقى الغـــوادي قبـــره بـــذنوبِ
لـــولا الســـفار، وبُعـــدُ خَـــرْق مهْمَـــةٍ لتركتهـــا تحبـــو علـــى العرقـــوبِ

وكان من إجلالهم للقبر، يرشونه بالدم، وربما ذلك لأن الدم مقـدس وبـذلك يمنحونـه القداسة، فقد عقر المنذر الأكبر على قبر عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسـديين، الإبـل والخيل وطلاهما بالدماء، وبنى على قبرهما الغربان. [2]

أما شعيرة صبّ الخمر على القبر، فهي إعلان عن دلالته القدسية، إذ إن الخمـرة فـي موروثهم الديني مقدسة، وتقدّم قرابين للآلهة، وهي أيضا دم الإله، تشرب للفوز بصفات القداسة، فصبَّها على القبر يضعه في منزلة الإله.[3]

ومن منطلق أن القبر مسكن للأرواح، فإن طقس صب الخمر عليه كان إرضـاء لهـذه الأرواح وإرواء لها حتى لا تعطش، وورد ذلك في أسطورة موت جلجامش: [4]

"**جلجامش بن نينسونُ يرقد في قبره**

في مكان التقدمات قدَّم الخبز

وفي مكان القرابين سكبَ الخمر".

---

[1] حسان بن ثابت، **ديوانه**، ص 39.

[2] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 101.

[3] البطل، **الصورة في الشعر العربي**، ص 74.

[4] دالي، ستيفاني: **أساطير ما بين النهرين**، ترجمة: نجوى نصر، بيسان، بيروت، 1997م، ص 168.

ونلمس هذا الطقس في شعر الشعراء الجاهليين،يقول عمرو بن معد يكرب: [1]

(الطويل)

لصاحَتْ تُنــادي الهــامُ مــنهم بأرضــنا صــباحَ النَّــدامى حــول بيْــت تِجــارِ

وقال أوس بن حجر في رثاء فضالة بن كلدة الأسدي: [2]

(المنسرح)

لِيبْكِــــكَ الشَّـــــرْبُ والمُدامـــــةُ وال فِتيـــــانُ طُـــــرّاً وطـــــامِعٌ طمعـــــا

ويقول طرفة:[3]

(الطويل)

فــذرني أروِّي هــامتي فــي حياتهــا مخافــة شــرب فــي الممــاتِ مصــردّ
كــريمٌ يُــرَوَّي نفســه فــي حياتِــهِ سَــتعلمُ إنْ مُتنــا غــداً أيُّنــا الصّــدي

ويقول تأبط شرا في ذلك: [4]

(الطويل)

ولكنَّنِــي أرْوِي مِــنَ الخَمْــرِ هَــامَتِي وأنْضُــو المَــلا بالشَّــاحِبِ المُتَشَلْشِــلِ

فالشعراء في أبياتهم هذه يؤكدون أن إرواء الأرواح التي تسكن القبر هو السر في صب الخمرة عليه.

أما في تشبيه القبر بالصنم، ونضح الخمرة على جوانبه وتقديمها كشراب مقدس ومفضل عند الآلهة. فيقول حاتم الطائي: [5]

---

[1] عمرو بن معد يكرب، **ديوانه**، ص 106.

[2] أوس بن حجر، **ديوانه**، ص 55.

[3] طرفة بن العبد، **ديوانه**، ص 26.

[4] تأبط شرا، **ديوانه**، دار المعرفة، بيروت، 2003م، ص 66.

[5] حاتم الطائي، **ديوانه**، شرح: أبو صالح بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت،1994م، ص 93.

(الطويل)

أمـــاويُّ، إمـــا مُـــتُّ فاسْـــعَيْ بنُطفـــةٍ من الخمر ريَّـــا فانضَـــحِنَّ بهـــا قبـــري
فلو أنّ عين الخمـــرِ فـــي رأسِ شـــارفٍ من الأُسْد وَرْدٍ لاعتلجنـــا علـــى الخمْـــرِ

وفي الطقس نفسه، يقول قس بن ساعدة في رثاء نديميه: [1]

(الطويل)

أقـــيم علـــى قبريكمـــا لســـتُ بارحـــاً طـــوال الليـــالي أو يُجيـــبُ صـــداكما
أَصُـــبُّ علـــى قبرِيكمـــا مـــن مُدامـــةٍ فـــإن لـــمْ تـــذوقاها أبُـــلُّ ثراكمـــا

ويقول النابغة الذبياني في رثاء النعمان بن المنذر: [2]

(الطويل)

سقى الغيث قبرا بين بُصْـرى وجاسـمٍ بغيـث مـن الوسْـميّ قَطْـرٌ ووابـلُ
ولا زال ريحـــانٌ ومســـكٌ وعنبـــرٌ علـــى منتهـــاهُ ديمـــة ثـــم هاطـــلُ

فالنابغة يطلب المطر لقبر النعمان؛ لأن ذلك سبب في بعثه للحياة من جديد، كما حصـل مع (أدونيس) الذي عاد للحياة عبر الخضرة والنبات التي أحاطت القبر بالخصب والحياة.

ويقول لبيد بن ربيعة في المعنى نفسه: [3]

(الطويل)

فشـــيّعهمْ حَمْـــدٌ وزانـــتْ قبـــورهم ســـرارةُ رَيْحـــانٍ بقـــاع مُنَـــورِ

فالنبات الأخضر الذي زين القبر (الريحان) منح الميت روحه من جديد، لما يحمله مـن روح الحياة. ومن هذا المنطلق ما زلنا نزرع النباتات ونضع الزهور على القبور.

---

[1] **الحماسة البصرية**، ج1 / ص 215.
[2] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 90.
[3] لبيد بن ربيعة، **ديوانه**، ص 101.

المبحث السَّابع

الآبار

تعدُّ الآبار من الأماكن المقدسة التي وردت في الشعر الجاهلي، فهي منبع الحياة والخير، وتعظم أهميتها في حياة العربي، الذي نشأ في بيئة صحراوية يشح فيها المـــاء ويقـــل، فالبيئـــة تفرض على الشاعر أن يتناول هذه الأمكنة بنوع من القداسة والأهمية.

فالجاهلي نسب إلى الآبار سرا غامضا [1]، ممَّا جعلها على معرفة بأمر الغيب، فتوســـل لها، وتذلل عندها، لمعرفة القدر، فكانوا إذا طال انتظارهم لغائب ولم يعد، ذهبوا إلى بئر قديمـــة شديدة العمق، ونادوا باسم الغائب ثلاث مرات، فإن لم يسمعوا صوتا، فهو ميت في اعتقـــادهم، وفي ذلك يقول الشاعر: [2]

(الطويل)

دعوت أبا المغـــوار فـــي الحفـــر دعـــوةً فما آض صـــوتي بالـــذي كنـــت داعيـــاً

وقال شاعر آخر: [3]

(الوافر)

وكـــم ناديْتَـــهُ فـــي قعـــر ســـاجٍ بِعـــاديِّ البئـــار فمـــا أجابـــا

فالشاعر أسقط صفة القداسة على البئر، بعد أن أصبحت مجمعا للأرواح، يلجـــأ إليهـــا الأحياء لمناجاة تلك الأرواح، والتوسل إليها، يقول الشاعر: [4]

دعونـــاه مـــن عاديـــة نضـــب ماؤهـــا وهـــدم جاليهـــا اخـــتلاف عصـــور
فـــرَّد جوابـــاً مـــا شـــككت بأنّـــهُ قريـــبٌ إلينـــا بالإيـــاب بصـــيرُ

---

[1] النعيمي، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 169.

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، ج3، ص 3.

[3] **نفسه**، ص 3.

[4] **نفسه**، ص 3.

وكان خوفهم يدفعهم إلى استرضائها، فهي مسكن الجن، نسجت حولها كثير من القصص والخرافات، مما يؤكد العلاقة بين البئر والجن، وذلك ما حدث مع مالك بن حريم بن دالان الهمذاني وجماعته والشجاع، حين خرج للصيد، فدلَّهم على عين ماء غزيرة، فأخذوا حاجتهم وحاجة إبلهم، وبعد انقضاء حوائجهم لم يروا أثرا للماء والعين.[1]

ومن ذلك أيضا ما حدث مع عبد المطلب، إذ ناداه المنادي آمرا إياه بحفر بئر زمزم، ودله على موضعها، وفي ذلك يقول: [2]

(الرجز)

يا أيُّها المُدْلِج أحفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندمْ

وكانت بئر زمزم المختبر الحي لتجليات قيمة القداسة والجلال، فهي بقاع طيبة يحيطها الإجلال والتنزه، فهي في أرض مقدسة قريبة من البيت الحرام، وهي بئر إسماعيل – عليه السلام – كل ذلك منحها التميز والقداسة على سواها، يقول عبد المطلب: [3]

اللهُمَّ أنْتَ الملِكُ المحمود ربي أنت المبدئُ المعيد
وممسك الراسية الجلمود من عندك الطارف والتليد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد أني نذرت العاهد والمعهود
اجعله ربّ لي فلا أعود

وتقول صفية في بئر زمزم: [4]

(الرجز)

نحن حفرنا للحجيج زمزمْ سقيا نبي الله في المحرَّمْ

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، ج3، ص 3.

[2] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب ودلالتها**، ج1، ص 258.

[3] ابن الأثير: **البداية والنهاية**، ج2، ص 246.

[4] المقدسي، مطر بن صالح: **البدء والتاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج2، ص62.

رَكْضَـــةَ جبريـــل ولمـــا يفْطَـــمْ

ومن مظاهر قداسة البئر، أن جعل لكل بئر حرما،مضاهاةً لحرم الكعبة والأصنام، وامتدَّ ذلك إلى العصر الإسلامي، فكان حرم البئر خمسين ذراعا، تفاديا لحدوث المشاكل والحروب بين الناس وذلك لتثمينهم البئر والماء وأهميتها في حياتهم. [1]

ونصبوا عند الآبار أصنامهم تعظيما لها، فكانوا يقصدونها متعبدين، راجين كـف الأذى والمكروه، فكانت مركزا للعبادة، قدموا لها القرابين، وأكثروا عندها من الأدعية، وذلك أضـفى على البئر مزيدا من القداسة والأهمية، يقول أبو طالب: [2]

(الطويل)

وحيـــثُ يُنـــيحُ الأشـــعرونَ ركـــابَهُم بمَفْضَـــى السُّـــيولِ مـــن إســـافٍ ونائـــلِ

وتقربوا لموارد المياه والآبار، بدماء أعدائهم، حماية لها، بوصف الدم تعويـذة تحمـي الآبار من كل شر، فتبقى نابضة بالحياة. [3]

يقول الأعشى: [4]

(الطويل)

كأنَـــكَ لـــم تَشْـــهَدْ قَـــرَابينَ جَمَّـــةً تَعيـــثُ ضِـــباعٌ فـــيهمُ وعَوَاســـلُ
تَـــرَكْتهم صَـــرْعى لـــدى كُـــلِّ مَنْهَـــلٍ وأقْبَلْـــتَ تبغـــي الصُّـــلْحَ أمُّـــكَ هَابِـــلُ

وكان هناك صلة بين البئر والأفعى، فالبئر مسكن لها، وهي حارسة حامية لها، فأينمـا وجدت البئر وجدت الأفعى، ومن اعتقاد العرب أن البئر مسكونة بالجن،وقد تمثلت على هيئـة أفعى.[5] ويتحدث أبو كبير الهذلي عن ذلك، فيقول: [6]

---

[1] الخراج، **يحيى بن آدم القرشي**، ص 73؛ وينظر: الديك، **الماء في الشعر الجاهلي**، ص 70.

[2] أبو طالب، **ديوانه**، ص 63.

[3] علي، **اللون في شعر ما قبل الإسلام**، ص 75.

[4] الأعشى، **ديوانه**، ص 67.

[5] النوري، قيس،**الأساطير وعلم الأجناس**، دار الكتب، 1981م، ص 149.

[6] **ديوان الهذليين**، ج2، ص 105.

ولقـــد وَرَدْتَ المـــاءَ لـــمْ يَشْـــرَبْ بـــهِ بـــينَ الرَّبيـــعِ إلـــى شـــهورِ الصَّـــيفِ

إلا عواســـــلُ كـــــالمِراط مَعيـــــدةٌ بالليـــــل مـــــورد أيّـــــم متغضِّـــــفِ

وكانت الأفعى هي التي حرمت جلجامش الخلود بسرقة نبتته، وقد ورد فـــي الملحمـــة ذلك:[1]

"**رأى جلجامش بئراً ذات ماء بارد**

فنزل إليها واستحم بمائها

وشم الثعبان رائحة النبتةِ

وفي عودته نزع عنه قشرتَه

وفي ذلك اليوم جلس جلجامش يبكي".

فكان شعورهم تجاه البئر ممزوجا بالخوف والرهبة والعظمة.

[1] الأحمد، **ملحمة جلجامش**، ص 532.

المبحث الثّامن

الوديان

تُطْلَقُ هالات القداسة من الوادي، وتُشِعُّ جواً عبقا مثيرا للمشاعر والأحاسيس، فالوادي كل " مَفْرَجِ ما بين جبال أو تلال أو آكام، ونقول أودى الرجل إذا هلك " [1]، ونأخذ من هذا المعنى اللغوي معنى الهبوط، والتواجد في الأسفل، ونربط بين الوادي والعالم السفلي، عالم الأرواح، وهبوط (عشتار) في الأسطورة البابلية إلى العالم السفلي، وكذلك هبوط (إنانا) في الأسطورة السومرية. [2]

فخوفهم من العالم السفلي والسعي الدائم لنيل الخلود بتوفير كماليات الحياة ووضعها مع الميت، جعلتهم يبجلون كل ما له صلة بهذا العالم.

وحملت الوديان إحدى الرواسب الأسطورية، التي جعلت منها مسكنا ومستقرا للجن والأرواح الخفية، وبذلك اكتسبت قوة فوق الطبيعية، فتقرب الجاهلي لها تملقاً، عله يظفر برضاها،واستعاذ منها، ليأمن شرها وأذاها. [3]

يقول بعضهم وقد استعاذ بالجني عظيم الوادي وسيّده، فأكل السبع ولده: [4]

(الرجز)

قد استعذنا بعظيمِ الوادي من شرِ ما فيه من الأعادي

فلم يُجِرْنا من هِزَبْرٍ عادي

وروي أن الرجل كان إذا ركب مفازة، وحلَّ الليل وخاف على نفسه أوى إلى واد، وربط راحلته في قاع الوادي، وخطّ خطّاً عليها، ثم قال: أعوذ بسيد الوادي، أو عظيم الوادي، وقالوا إن العزاف: موضع يسمع فيه عزف الجن.[5]

---

[1] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ودي).

[2] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 59؛ وينظر: السواح، **لغز عشتار الألوهة المؤنثة**، ص 64.

[3] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج6 / ص 709.

[4] الجارم، **أديان العرب في الجاهلية**، ص 126.

[5] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**، ج6/ ص710

وكانت بعض الأودية محرمة، لا يجوز الدخول إليها أو السير فيها، أهمها " وادي برهوت، ويبرين وصهين، وهي أماكن تواجد عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق ".[1]

يقول الشنفرى في كثرة تواجد الجن في الوادي: [2]

(الطويل)

وواد بعيد العمق ضَنْكٍ جُماعُهْ بِواطِنُه للجنِّ والأسْدِ مِأْلَفُ

وفي المعنى نفسه يقول جذع بن سنان: [3]

(الوافر)

نَزِلْتُ بِشُعْبِ وادي الجنِّ لما رأيتُ الليّلَ منتشر الجَنَاحِ

ومنتهى القول، إن هذه الأماكن قوَّت في نفس الشاعر معنى المقدس والمنزه، عندما اقتضت أن يقدم لها كل معاني الإجلال والإكرام، فأتى إحساسه بها قويا لا يحجزه حاجز، فهذه الأماكن بالنسبة له، السبيل الوحيد لراحته النفسية والروحية، وملاذه الآمن، فقاسمته مشاق الحياة، وأعانته على تحقيق الآمال، فكان مُقَدِسا ومعظما لها إلى ابعد حدود التعظيم.

---

[1] عبد الحكيم، **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص 131.

[2] الشنفرى، **ديوانه**، ص52.

[3] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج 2، ص 336.

الفصل الثالث

فضاءات المكان المقدس

المبحث الأول: فضاء القفر والرفض

المبحث الثَّاني: فضاء الجذب والحلم

المبحث الثَّالث: فضاء القيم

الفصل الثالث

فضاءات المكان المقدس

مدخل

يشكل المكان في الشعر الجاهلي أرضية مترامية الأطراف، منها ما استوطن في الذاكرة ومنها ما كان عينيا، يتلمسه الشعر بمجساته ليحيلها إلى أطياف تسبح في فضائه الشعري.

إذ يمتلك كل مكان مذاقاً خاصا،وطعما متميزاً، يختلف تبعا للأحداث التي اختلطت به، أو التي وقعت فيه، فهذه الأماكن هي التي جمعته في يوم ما بمن أحب، أو هي التي شـــتَّتت شـــمل أحبته، فصلة الشاعر بهذه الأماكن هي صورة أخرى لصلته بمن أحب.

وفي صفحات المعاجم عرف الفضاء:أنه المكان الواسع وهـــو الأرض، والفعـــل فضـــا يفضو فضواً فهو فاض، والفضاء الخالي الواسع من الأرض، والفضاء ما استوى مـــن الأرض واتسع والصحراء فضاء.[1]

فالفضاء يشمل المكان وما يحيط به، فهو " المساحة وما اتسع من الأرض " [2].

وفي المنجد يذهب إلى المعاني نفسها من الاتساع والخلاء؛ " فضا فضاء المكان، اتسع، وفضوا الشجرة بالمكان: كثر، يقال مكان فضاء أي واسع ". [3]

وفي تاج العروس ينصرف المعنى إلى الاتساع أيضا، فالفضاء: " الساحة وما اتسع من الأرض، حيث يستشهدون في ذلك بقول الراغب: المكان الواسع، وقول شَمِرٌ: هو ما استوى من الأرض واتسع، وقول أبي علي القالي: الفضاء السعة، ومنه المفضاة، والمفضي: المتسع " [4]

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (فضا).

[2] الرازي: **مختار الصحاح**، باب الفاء، مادة (فضا).

[3] معلوف، لويس، **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق، بيروت، 2003 م، ص 29.

[4] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (فضو).

أما في الاصطلاح فهو " الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب".[1]

وهو " العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، وبقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء، ومعنى ذلك إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء أساسيا. " [2]

ومن هذا فإن قراءة الفضاء معناها أن نجد معاني الفضاء، ومعنى ذلك أن نسمي هذه المعاني، وبذلك علينا أن لا نغفل أن الفضاء ليس مصنوعا من أحجار أو طوب، بل هو تشييد لغوي، فقراءته مساهمة في بناء معناه. [3]

ويتمثل فضاء المكان المقدس بالاتجاه إلى حركة الأشياء والعلائق، والأصوات، والأفعال، والروائح، والألوان المتعلقة به، أي كل ما يغلِّف هذا المكان فهو يأخذ منها ويعطيها. [4]

وتتنوع دلالة الفضاء، بين كونه فضاء يكرس التلاشي والاندثار، ويسعى لأن يكون منغلقا يحمل معاني السلب، وبين كونه فضاء للمقاومة والتغلب على مظاهر الجفاف والتيه والموت.

ويثير المكان دون سواه إحساسا بالمواطنة، وإحساسا آخر بالمحلية، حتى لتظنه الكيان أو الهيكل الذي لا يحدث شيء بدونه، وكان لهذا المكان فضاءات تحمل في طياتها شعورا إنسانيا متجسدا فكان فضاء الجذب والحياة، وآخر مبنياً في الخيال، وفضاء مهجوراً أغرقته سديمات لا نهاية لها، وفضاء يصور ما يدور في رحم المجتمع وفي وعي الشاعر.

هذا يعني أن الفضاء يرتبط بحالة الإنسان وبكل ما يحتضنه المكان، فيتحول إلى رمز وقناع يخفي المباشرة ويسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله. [5]

---

[1] البوريمي، محمد منيب: ***الفضاء الروائي في الغربة***، آفاق عربية، بغداد، (د.ت)، ص 21.

[2] نجمي، حسن: **شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000م، ص32.

[3] **نفسه**، ص 87.

[4] **نفسه**، ص 41.

[5] باشلار، غاستون، **جماليات المكان**، ص23.

المبحث الأوّل

فضاء القفر والرفض

شكل القفر والقحط ظاهرة لافتة في الشعر الجاهلي، الذي تعززت فيه رؤيـــة الشـــاعر وكيفية انفعاله مع الوجود، فحياة الجاهلي تعتمد على الخصب والكلأ؛ لذا فالمكان المقفـــر كـــان يعني للشاعر الشيء الكثير؛ إذ إنه يكشف عن وعيه العميق وإحساسه به.

المطلب الأوّل: الأطلال

وتؤدي الأطلال دورا مهما في تكوين فضاء القفر والرفض، فكانـــت عـــدوا للشـــاعر الجاهلي؛ فالخراب أو الدَّمار لهذا المكان؛ أضفى عليه حسا مأساويا كشف عـــن فقـــد الإنســـان للاستقرار والوطن.

ويسود فضاء الطلل الحزن واليأس اللذان يجسدهما الشاعر في بكائـــه، يقـــول امـــرؤ القيس:[1]

(الطويل)

قِفا نَبْـكِ مـــن ذِكْـــرَى حبيـــبٍ ومنْـــزِلِ بســـقْطِ اللَّـــوى بـــين الـــدَّخولِ فحَوْمَـــلِ
فتوضـــح فـــالمقراة لـــم يعـــف رســـمها لمَـــا نســـجتْها مـــن جَنُـــوبٍ وشـــمْألِ
تَـــرَى بَعَـــر الأرآمِ فـــي عَرَصـــاتِها وقِيعانهـــا كأنَّـــهُ حَـــبُّ فُلْفُـــلِ

حيث يقف الشاعر في بقايا الديار، بصحبة أقرانه مستعينا بهم لمواجهة الغربة والفنـــاء، ومستعينا بدموعه لمواجهة الخواء.

فالفضاء الطللي مغلف بالحزن واليأس، لما آل إليه من موت وجدب وفناء بعد رحيـــل الإلهة (المرأة) التي كانت تضفي عليه الخصب والحياة، ولم يبق إلا الآثار وذكريـــات الشـــاعر تسبح في الفضاء وتزيده حزنا وأسى على فقدانه كل شيء.

[1] امرؤ القيس، **ديوانه**، ص 8، 9.

ويعكس فضاء القفر اليأس الذي يخيم عليه من قدرته على العودة إلى الخصب والحيـــاة على نفس الشاعر ويأسه، فلا يجد مواسيا ومعزيا له إلا البكاء.[1]

وفي فضاء القفر الطللي تتجلى القيم المأساوية من قلق وتشاؤم وخراب وتلاشٍ، فالشاعر يفتتح بها رؤيته للواقع والحياة، ويرسم النهاية المروعة، يقول النابغة الذبياني: [2]

(البسيط)

إلا الأواريَّ لأيـــــاً مـــــا أبيِّنُهـــــا والنـــؤيَ كـــالحوضِ بالمَظْلومـــةِ الجَلَـــدِ
رَدَّتْ عليـــــه أقاصِـــــيه ولَبَّـــــدَه ضَـــرْبُ الوَليـــدةِ بالمِســـحاةِ فـــي الثَّـــأدِ

فالشاعر يقف مذهولا متحيرا لما أحدثه رحيل آلهة المعبد (الطلل) بهـذه الـديار التـي أحالها إلى خراب، فلم يعد يعرفها إلا بعد جهد جهيد.

يقول عنترة ممثلا فضاء القفر الطللي: [3]

(الوافر)

لمَـــنْ طَلَـــلٌ بـــوَادي الرَّمْـــلِ بـــالي مَحـــــتْ آثـــــارَهُ ريـــــحُ الشـــــمالِ
وَقَفـــتُ بـــه وَدَمْعـــي مِـــنْ جُفُـــوني يَفـــيضُ علـــى مَغانيـــهِ الخَـــوالي
إذا صـــاحَ الغُـــرابُ بـــه شـــجاني وأحْـــرى أدْمُعـــي مِثـــلَ اللآلـــي
وأخبرنـــــي بأَصْـــــنافِ الرّزايـــــا وبـــالهِجْرانِ مـــنْ بعـــد الوِصَـــالِ

يشكل الفضاء المأساوي المتمثل في الطلل جزءاً من حياة الشاعر وسيرته التي ذهبـت وفنيت بفناء الديار.

وبحضور الغراب في هذا الفضاء تصور لقيمة المأساة والخراب، وذلك يعود إلى أصول دينية ثابتة في المعتقد فهو الذي أرشد قابيل إلى دفن أخيه هابيل [4]، وهو الذي أرسله سيدنا نوح

---

[1] حفنى، عبد الحليم: **مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1987م، ص82.

[2] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 15.

[3] عنترة العبسي، **ديوانه**، ص 148.

[4] ينظر: الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج8 / ص 341.

– عليه السلام – للبحث عن اليابسة فوقع على جيفة ولم يرجع [1]، وعكس فضاء القفر على الشاعر شخصية الكاهن، الذي جعل الغراب وسيلة للتّكهن بالغيب والمستقبل، وهذا راسخ في الفكر اليهودي القديم، " إذ إنهم إذا أرادوا معرفة المستقبل نظروا إلى جماعة الغربان وهي تطير معا ذهابا وإيابا، ومن تشكيلها يعرفون مستقبل الأحداث أو الأشخاص وخاصة عند الغروب وعند الشروق " [2]

وساهم لونه وصوته في تشكيل الفضاء المقفر، لاقترانه بالشؤم واتصافه بالخبث واللعنة التي تحل في كل مكان يتواجد فيه، ونعيقه ينبئ بفراق الأهل والأحبة، ولونه يصبغ الفضاء الطللي بالسوداوية والتشاؤمية. [3]

ويشارك الحمام في بكائه بتشكيل فضاء القفر، فلا يذكر الطلل ورحيل المرأة إلا وكانت دموع الحمام شاهدا على ذلك، فارتبط الحمام ارتبطا وثيقا بمعتقدات الجاهلي وفكره، وبذلك نال مكانة سامية، وحظا من التقديس.

يقول ضابي بن الحارث البرجمي: [4]

(الطويل)

بكيتُ وما يبكيك من رسمِ دمنةٍ مُبنّاً حمامٌ بينهما متظلّلا

بهذه الدموع الحزينة وثق ابن الحارث مأساته بخراب هذا المعبد \ الطلل، وأضاف عليه من مشاعره المتحسرة المفرطة في الحزن، حتى إن الحمام بكى ما حلّ بهذا المكان.

ويقول عبيد بن الأبرص: [5]

---

[1] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص 302.

[2] منصور، أنيس: ***لأسباب اختار نوح الغراب***، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، لندن، ع 11168، 2009 م.

[3] الرباعي، عبد القادر: **الطير في الشعر الجاهلي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط 1، 1998 م، ص 115.

[4] **الأصمعيات**، ص 236.

[5] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، ص 87.

(الطويل)

وقفــتُ بـــه أبكـــي بكـــاءَ حمامـــةٍ أراكيّـــةٍ تـــدعُو الحمـــامَ الأوارِكـــا
إذا ذَكَرتْ يومـــا مـــن الـــدَّهر شَـــجْوَها على فَـــرْع ســـاقٍ أذرَتِ الـــدمع ســـافِكا

فالشاعر أتى بالحمامة لإكمال بناء الفضاء المقفر، لارتباطها بـــالحزن والبكـــاء علـــى المفقود (آلهة الخصب)، ففي الأساطير القديمة بكت الحمامة على موت زوجها بكـــاء الثكلـــى[1]، وهي من أكثر الحيوانات حنينا وتعلقاً بالديار.[2]

فالشاعر أراد التدليل على حالته النفسية، وعنف تجربته، وواقعه المأساوي فجـــاء لكـــل ذلك بصور الحمام الأراكي، فوجود الحمام في هذا المكان يتشابه مع وجوده في حرم مكة، فهو آمن هنا مما يوصل الطلل إلى مرتبة القداسة، فالحمام يبكي مع الشاعر على تهدم هـــذا المعبـــد (الطلل).

وفي نفس المعنى يقول بشر: [3]

(المتقارب)

ذَكَـــرتُ بهـــا الحـــيُّ إذ هـــم بهـــا فأســـبلَتِ العـــين منّـــي سِـــحاما
أبكـــــي بكـــــاءَ أراكيـــــةٍ علـــى فـــرع ســـاق تنـــادي حَمامـــا

ففي بكائهم للطلل بكاء لصورته المادية المدمرة، ومنه يبكون خراب الألفة الدافئة.[4]

ويقول أمية بن أبي الصلت:[5]

(الوافر)

عرفْـــتُ الـــدارَ قـــد أقـــوتْ ســـنينا لزينـــبَ إذْ تَحُـــلّ بهـــا قطينـــا

---

[1] ينظر: الباش، حسن، والسهيلي، محمد: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، (د.ت)، ص 303.
[2] الدميري، كمال الدين: **حياة الحيوان الكبرى**، ج1/ ص 366.
[3] بشر بن أبي خازم، **ديوانه**، ص 178.
[4] باشلار، **جماليات المكان**، ص 69.
[5] أمية بن أبي الصلت، **ديوانه**، ص 137، 138.

وأذْرَتهـــــا جوافـــــلُ مُعْصـــــفاتٌ كمـــا تـــذري المُلمْلمَـــةُ الطحينـــا
وســـافرت الريـــاح بهـــا عُصْـــرا بأذيـــالٍ يـــــرحن ويغتـــــدينا
وأبْقـــــينَ الطلـــــول مُحَنّيـــــاتٍ ثلاثـــا كالحمـــائمِ قـــد صُـــلينا

فالرياح غيرت معالم هذا المكان، ولم يبق إلا الحمام الذي وقف صامتا خاشـعا يـؤدي الصلاة في المعبد (الطلل).

وفي وصف فضاء الطلل، يقول عمرو بن شأس الأسدي: [1]

(الطويل)

أتعـرف مـن ليلـى رسـوم معـرّس بَلَـينَ ومـا يقـدمْ بـه العَهْـدُ يـدرسَ
يظـــلُ يغنيـــه الحمـــام كأنـــه مـــآتم أنـــواح لـــدى جَنْـــب مَـــرْمسَ

فبعد غياب الآلهة (المرأة) عن معبدها (الطلل)، أصبح معبدها أقرب إلى القبـر، ومـن هول هذا المشهد خلط الشاعر بين غناء الحمام وبكائه حتى أصبح شبيها بالنواح في المآتم.

ويشحن الفضاء القفري شعور الشاعر بالاغتراب، فوصف الطلل بأنه لا يمكن أن يفهم أو يدرك لأنه خالٍ من معبوده، الذي كان يمدهم بالخير والحياة ويدرأ عنهم الشـر والأحـزان، فأسبغ عليه الخرس والصم والعجمة لأنه لا يستجيب لدعواتهم واستغاثاتهم، وهذه معانٍ تشـكل الفضاء المقفر المجدب، وما طرأ عليه من تحول وموت وخراب.

يقول زهير بن أبي سلمى: [2]

(البسيط)

لا الـــدَّارُ غيَّرَهـــا بعـــدي الأنـــيسَ ولا بالـــدَّارِ لـــو كَلّمَـــتْ ذا حاجَـــةٍ صَـــمَمُ

ويقول عدي بن زيد العبادي: [3]

---

[1] عمرو بن شأس الأسدي، **ديوانه**، ط2، دار القلم، الكويت، 1983 م، ص 25، 26.
[2] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 59.
[3] عدي بن زيد، **ديوانه**، ص 73.

أسْـــألُ الـــدَّارَ وقَـــدْ حيَّيتُهـــا عـــنْ حَبيـــبٍ فـــإذا بهـــا صَـــمَمْ

وقال سلامة بن جندل في ذلك: [1]

(الطويل)

وقَفْـــتُ بهـــا مـــا إن تُبـــينُ لســـائلٍ وهـــل تفقَـــهُ الصُـــمُّ الخوالِـــدُ مَنطِقِـــي

ونجد الأمر ذاته عند (بشر بن عليق) عندما خصّ الديار بالعجمة، وعـدم الـرد علـى سؤاله، يقول:[2]

(الطويل)

وقفـــتُ بهـــا صَـــدْرَ النهـــارِ مطيّتـــي أســـــائِلُها فاســـــتعجمتْ أن تكلَّمَـــا
أســـائِلها واســـتعجمَتْ أن تُجيبَنـــي وما ذِكْـــرُ مـــا أعْيـــي عليـــكَ وأعجمـــا

ويزداد شعور الشاعر بالغربة عندما ينظر إلى فضاء دياره فيجدها وقد كفنت بالـدمار والخراب، بعد أن كانت نابضة بالحياة والخصوبة، يقول المرقش الأكبر: [3]

(الكامل)

أمْسَـــتْ خَـــلاءَ بعـــدَ سُـــكَّانِها مُقْفِـــرَةٌ مـــا إنْ بهـــا مِـــنْ إرَمْ
إلا مـــن العِـــينِ ترعَّـــى بهـــا كالفارســـيّين مَشَـــوْا فـــي الكُمَـــمْ
بعـــدَ جَميـــعٍ قـــد أرَاهُـــمْ بهـــا لهُـــمْ قِبَـــابٌ وعلـــيهمْ نَعَـــمْ

فالإقفار والجدب في ملامح المكان، بعد رحيل الأحباب (الآلهة)، وفقـدان الاسـتقرار والحماية والأمن التي يوفرها المعبد للمتعبد، يزيد من معاناة الشاعر وغربته، فالغربـة معـادل للجدب والجفاف.[4]

---

[1] سلامة بن جندل، **ديوانه**، ص35.

[2] الجبوري، يحيى: **قصائد جاهلية نادرة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1982 م، ص 187.

[3] **المفضليات**، ص 229.

[4] زيدان، عبد القادر عبد الحميد: **التمرد والغربة في الشعر الجاهلي**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002م، ص 193.

وكان الطلل فضاء قفر، لأنه يجسم القمع الجنسي برحيل المرأة والاندثار الحضاري، وقحل الطبيعة، وتمثل ذلك باستخدام الشعراء ألفاظاً تدل على القحط والقحل مثل (أقفر، قفر، ومقفرة).[1]

ويخيم الموت على الفضاء الطللي الخالي من الآلهة مما يؤدي إلى علائق متوترة مهزوزة بين الشاعر والمكان (الطلل \ المعبد)، فالانمحاء والانطماس يجبران الشاعر على مغادرته وتركه، يقول لبيد بن ربيعة في ذلك: [2]

(الكامل)

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَمُقامها بمنًى تأبد غَولُها فَرِجامُها
فَمَدافِعُ الرَّيّان عُرِّي رَسْمُها خَلَقاً كما ضمِنَ الوحِيّ سِلامُها
دِمَنٌ تَجَرَّم بعدَ عَهدِ أنيسِها حِجَجٌ خلونَ حَلالُها وحَرامُها

فالشاعر يشير إلى الموت الشمولي للمكان، بقوله عفت الديار، ويؤكد على ذلك بالتوحش الذي ينتشر في فضاء المكان، بسبب مغادرة الآلهة.

وتغيب كل مقومات الحياة عن المكان، ويتأكد الموت والجدب بانقضاء الزمان ووقوفه ضد المكان فهذا الجو المتهدم للفضاء والمشحون بالانطفاء والخراب يهيمن على ذات الشاعر مما يجبره على ترك المكان.

فالشاعر ير ى أن غياب الآلهة عن المكان (الطلل \ المعبد) تحيله إلى فضاء ميت مقفر، يمضي فيه الزمان ولا يستطيع أن يعيد له الحياة.

المطلب الثّاني: القبر

يمثل القبر نتيجة حتمية يؤول إليها الإنسان بعد حياة مثقلة بالهموم والأعباء، ولعل القبر يحفل بمناخ مظلم يثير في النفس عواصف القلق والخوف.

---

[1] اليوسف، يوسف: **مقالات في الشعر الجاهلي**، دار الحقائق، بيروت، 1983 م، ص 101 وما بعدها.

[2] لبيد بن ربيعة، **ديوانه**، ص 199، 200.

ويكرس فضاء القبر الكفاح المأساوي، فمهما سعى الإنسان إلى الخلود وكافح من أجل الحياة، إلى أن نهايته في حفرة، وفي ذلك يقول الأفوه الأودي: [1]

(الرمل)

فصـــروفُ الـــدَّهرِ فـــي أطباقِـــهِ خلفَـــةٌ فيهـــا ارتفـــاعٌ وانْحـــدارُ
بينمـــا النـــاس علـــى عَلياتهـــا إذ هَـــوَوْا فـــي هُـــوّةٍ فيهـــا فَغَـــارُوا
إنَّمـــا نِعمَـــة قـــومٍ مُتْعَـــةٌ وحيـــاةُ المـــرءِ ثـــوبٌ مســـتعارُ

فمن البداية تكون النهاية، فكما أن التشكيل الأولي للكون يكون في الهاويـة أو الهـوة، كذلك عند الموت تعود الأرواح وتهوي وتغور إلى منشئها الأول، فالهوة هي العالم السفلي مسكن الأرواح.[2]

ويقارب الشاعر هذا الاعتقاد باستخدامه مفردة (علياتها) وهي الأرض عـالم الأحيـاء، فالأرواح فيها كالثوب المستعار الذي في النهاية لابد من إرجاعه إلى عالم الأرواح العالم السفلي (الهوة).

ففضاء القبر يشكل بالنسبة للشاعر فضاء فجائعيًّا، وقوة غاشمة لاحول ولا قوة للإنسان إزائها، فتكون نهايته في هوة الفناء والعدم.

وفي هذا الفضاء يقول عمرو بن شأس: [3]

(الوافر)

نُطَـــوِّفُ مـــا نُطَـــوِّفُ ثـــم يـــأوي ذوُو الأمـــــوال منـــــا والعـــــديمُ
إلـــى حفـــرٍ أســـافِلِهُنَّ جَـــوْف وأعلاهـــــنَّ صُـــــفْاحُ مقـــــيمُ

---

[1] الأفوه الأودي، **ديوانه**، ص 73.

[2] السواح، **لغز عشتار**، ص 78؛ وينظر: الديك، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص 147.

[3] الجبوري، **شعر عمرو بن شأس**، ص 50.

يثير هذا الفضاء في نفس الشاعر الحزن والألم والإحباط؛ إذ إنه انعكاس للعجز عن تحقيق الأحلام والآمال والرغبات فلا خلاص للإنسان منه، ولو فعل المستحيل لأن القبر فضاء كوني، فوجود الصفاح الحجر العريض هذا الثقل فوق الميت، يجمد ويأسر أحلام وآمال الإنسان فتبقى أسيرة هذا الجوف المظلم.

وفي نفس المعنى يقول زهير:[1]

لأي زمانٍ يَخْبأ المرء نَفْعَه غداً فغداً والدهر غادٍ ورائحِ
إذا المرء لمْ ينفعكَ حياً فَنَفْعُهُ قليلٌ إذا رُصّتْ عليه الصفائحِ

ففي حدود هذا الفضاء المغلق الذي أغلق برص الصفائح، لا أحد ينفع أحداً، ولا شيء أمام الإنسان ليفعله أو لينقذ نفسه، فمصيره حتمي واقعي كواقعية فضائه اللانهائي الضيق.

ويقول أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أخيه " نشيبة " واصفاً هذا الفضاء:[2]

(الطويل)

فإن تُمْسِ في رَمس بَرهوة ثاوياً أنيسُك أصداء القبور تصيحُ
على الكرهِ منيّ ما أكفكِفُ عَبْرةً ولكن أخلي سَرْبَها فتسيحُ
فمالك جيرانٌ ومالك ناصر ولالَطفٌ يبكي عليك نصيحُ

فالشاعر يرسم فضاء القبر الموحش الذي استلب منه كل شيء، وتركه عاجزاً محطما ضائعا في دوامة العدم أو اللامعنى، لا أنيس ولا نصير إلا صياح وصراخ الهامة فوقه.

وفي فضاء القبر يخضع المكان ويسوده الصمت والاستسلام، وفي كل ذلك انعكاس على صفحة إحساس الشاعر، وما دام الشعراء متمسكين بالحياة محبّين لها، نراهم نظروا إلى القبر نظرة معادية ومرفوضة، لأنه يغيب أجسادهم وأجساد أحبابهم ويقطع التواصل معهم.

---

[1] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 257.

[2] أبو ذؤيب الهذلي، **ديوانه**، ص 89، 90.

ولمّا استقر في فكر الجاهلي، بأن المقابر مأوى الأرواح، ومسكن للجن والشياطين فزوعوا منها وخافوها، وحاولوا اتقاء شرها، ونظروا إليها على أنها فضاء معادٍ ومرفوض، يقول أبو دؤاد الإيادي: [1]

(الخفيف)

سُلِّطَ الموتَ والمَنُونُ عَلَيهِمْ فلهم في صَدَى المقابر هَامُ

فالموت كأس يشرب منه الجميع، لكن الروح تبقى حيّة تحوم فوق المقابر تصيح هائمة لتجعل منها فضاء مخيفاً يملؤه الرعب.

وفي ذلك يقول لبيد: [2]

(الوافر)

فليس الناسُ بعدك في نقيرٍ ولا هُمْ غيرُ أصْداءٍ وهامِ

وفي هذا الفضاء المخيف تظهر الحيّة الأسطورية، إذ اعتبر القدماء الحية بنت الجن، ونوعا من أنواعه، التي قتلوها فتحولت إلى جنية، وطلبت منهم الثأر، ولم تهدأ حتى قُتِل (حرب بن أمية بن عبد شمس جد معاوية بن أبي سفيان). [3]

وقارب الشاعر بين شكل الهامة (الروح) وطائر البومة، ليرسم هذا الفضاء المعادي، يقول أحد الشعراء لابنه: [4]

ولا تَزْقُون لي هامةً فوق مَرْقَبٍ فإنَّ زُقاءَ الهامِ للمرء عائب

فتصدح أصوات البوم في فضاء القبر، لتشحنه بشحنة من الرهبة والنفور والعَداء، والبوم من الطيور التي تحمل التشاؤم والخوف والموت، فهي تسكن في الأماكن الخربة

---

[1] الأصمعي، **الأصمعيات**، ص 187.

[2] **شرح ديوان لبيد**، ص 208.

[3] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج5 / ص27.

[4] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج2 / ص 312.

المهجورة والمظلمة، كالمقابر، وكذلك الهامة (الروح)،والزقو صوت البومة الذي تداخل وتشابه بصوت الهامة (الروح)، فكلاهما صوت الهامة وصوت البومة، يصدحان في سماء المقابر وظلمتها. [1]

يقول عبيد بن الأبرص في بكاء قومه، واصفا صياح الهامة: [2]

(الكامل)

في كُلِّ وادٍ بينَ يَثْـ رِبَ فالقَصُورِ إلى اليمامَهْ
تطْرِيبَ غانٍ أو صيا حُ مُحَرَّقٍ أو صَوْتُ هامَهْ

وكان الضبع لونا من الألوان القاتمة، التي لون فضاء القبر، لتزيده نفوراً ورفضا، يقول دريد بن الصمة جامعا بين القبر والضباع والذئاب: [3]

(الطويل)

فليت قبورا بالمخاضَةِ أخبَرَتْ فتخبِرُ عنّا الخُضْرَ خُضْرَ مُحارِبِ
رَدَسْناهم بالخيلِ حتى تملأت عوافي الضّباع والذئابِ السواغبِ

فاقتران القبر بالضباع والذئاب، جعله فضاءً معاديا منفرا، فقد عرف عن الضباع اقترانها للموت ونبش القبور وأكل جثث الموتى. [4]

ويقول عروة بن الورد: [5]

(الطويل)

فأترُكُهُ في القاعِ رَهْناً ببَلْدةٍ تعاوَرُهُ فيها الضِّباعُ الخوامِعُ

---

[1] الديك، إحسان: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص 129 – 131.

[2] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، ص 109.

[3] دريد بن الصمة، **ديوانه**، ص 39، 40.

[4] ابن سيده، **المخصص**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م، باب الضباع، ج2، ص285.

[5] عروة بن الورد، **ديوانه**، دار الجيل، بيروت، 1996م، ص 183.

دلل الشاعر بلفظة القاع على القبر، وفيه تكون الجثة قاسما مشتركا بين القبر والضباع.

وقال ساعدة بن جؤية: [1]

ومـــا يُغنـــي امْـــرأً ولَـــدٌ أَحَمَّـــتْ مَنِيَّتُـــــهُ ولا مـــــالٌ أثيـــــلُ
إذا مـــــا زار مُجْنَـــــأَةً عليهـــــا ثقـــالُ الصَّـــخرِ والخشـــبِ العطيـــلُ
وغـــــودِرَ ثاويـــــا وتأوَّبَتـــــه مُذرّعـــــة أمَـــــيْمَ لهـــــا فليـــــلُ
لهـــــا خُفّـــــان قـــــد ثُلِبـــــا ورَأسٌ كـــــرأس العـــــودِ شَـــــهبَرةٌ نـــــؤولُ

ولأن القبر هو النهاية والمزار الحتمي لكل إنسان، نرى الشاعر يستخدم (مُجْنَأَةً) مرادفا للقبر، ويؤكد حقيقة مفادها أن الإنسان إذا أصبح ثاويا في قبره، فإن (المذرعة) الضبع تنتظـره، وقد وصفها الشاعر بأبشع الصفات مما زاد في بشاعة هذا الفضاء ونفور الإنسان منه.

المطلب الثّالث: الماء

ويتدخل اللون في تشكيل فضاء القفر والسلب، لأماكن المياه فيسبغها بشـحنات سـلبية تجعله منفراً لا يقربه أحد. [2]

يقول زهير بن أبي سلمى: [3]

(البسيط)

يخـــرجن مـــن شـــربات ماؤهـــا طحِـــلٌ علـــى الجـــذوع يَخَفْـــنَ الغـــمَّ والغَرقَـــا

فقول الشاعر (طحل) يحمل دلالة منفرة تنبع من خوف الضفادع من الغرق والغم، لأن الماء هنا كدرٌ بعيد عن النقاء والصفاء.

---

[1] **ديوان الهذليين**، ج1 / ص 214، 215.
[2] ربابعة، **تشكيل الخطاب الشعري**، ص 71.
[3] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 37.

وفي وصفه للون الماء بالصفرة، ما جعل فضاءه يجسد الكدر والغم وعدم الارتياح، فهو يحمل دلالات سلبية إذ عدَّه المصرين القدماء، لونا لإله الشر (ست)، كما أنه لون الجدب والصحراء والجفاف. [1]

ويقول في ذلك: [2]

(الطويل)

وخالي الجبا أوردتهُ القوم فاستَقَوا بسُفْرتهم من آجن الماءِ أصْفرَا
رأوا لَبَثاً منّا عليه استقاؤنا وريَّ مطايانا به أن تُغمَّرَا

فاللون الأصفر صبغ فضاء الماء بالقلق وعدم الارتياح والكدر، فتغير الماء لهجر الناس له.

ويقول الأعشى:[3]

(الطويل)

وأصْفر كالحنّاء طامٍ جماحُهُ إذا ذاقَهُ مُسْتعذِبُ الماء يَبْصُقُ

فلون الماء الأصفر يجعله غير صالح للشرب، وبذلك يتلون هذا الفضاء بالنفور والرفض.

المطلب الرّابع: البئر

وتتحول البئر إلى فضاء مصاحب للموت، عندما تخلو من الماء، وهي فضاء مفتوح على العالم السفلي، تغلفه مشاعر اليأس وآفاق الانتظار لمن غاب ولم يعد.

---

[1] علي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 119.

[2] ثعلب، أبو العباس: **شرح شعر زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، 2008م، ص187، الجبا: ما حول البئر، الآجن: المتغير.

[3] الأعشى، **ديوانه**، ص223.

يقول الشاعر: [1]

(الطويل)

وكـــم ناديتـــه فـــي قعـــر ســـاجٍ بعـــاديِّ البئـــار فمـــا أجابـــا

فقد نسبوا هذه البئر إلى قوم عاد، لتمثل القدم وطول الأمد، فيقولون: " عاديٌّ " عنـدما ينسبون شيئا إلى القدم، كالبيوت القديمة والآبار العظيمة. [2]

ويقول آخر: [3]

دَعَوْنـــاه مـــن عاديَّـــة نضْـــب ماؤهـــا وهـــدَّم جاليْهـــا اخـــتلافُ عُصُـــورِ

وبدت البئر مكانا معاديا، وداخلة في فضاء الرفض، ولعل النفـور منهـا يعـود إلـى اعتقادهم بان البئر الفارغة والمهجورة مسكن للجن والأرواح الشريرة، يقول الشاعر في ذلك: [4]

(الطويل)

أظـــن أبـــا المغـــوارِ فـــي قعـــرِ مُظلـــمٍ تَجُـــرُّ عَلَيـــهِ الـــذارياتُ السَّـــواقيا

فقصد الشاعر بقوله (قعر مظلم) البئر المهجورة الخالية من الماء، وهو المكان المناسب لسكن الجن.

المطلب الخامس: الآلهة والثأر

وساهمت آلهة الأماكن في هندسة فضاء الرفض، عندما تكون مخالفة لمقصد الإنســان وغايته، فكان امرؤ القيس رافضا ومعاديا لها عندما نهته عن الأخذ بثأر أبيـه، فكسـر الأزلام ورماها في وجه المعبود، ورفض أوامر الآلهة، لأنه عاش في بيئة أوجبت الأخذ بالثأر وقدسته ولفظت من تقاعس عنه، من باب أنه طقس تطهيري يرتبط بعقيدة دينية، توثقت جذوره بتقـديم

---

[1] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج3 / ص 3.

[2] **نفسه**، ج3 / ص3.

[3] **نفسه**، ج3 / ص3.

[4] **نفسه**، ص 3.

العرب دماء أعدائها قربنا للإلهة العزى، وأوجبت عليهم طقوساً خاصة عند القتل، فالدم إذا أريق لغيرها لا ترضى به، والقاتل الذي يتجرأ على منازعتها لسلب صفاتها يجب أن يقتل، وكانت تعتبر عبادها أناسا غير طاهرين إلى أن يقتلوا متحديها. [1]

وفي ذلك يقول: [2]

لو كُنْتَ يا ذا الخلصة المَوتُورا مِثْلي وكان شَيْخُكَ المقبورَا

لم تنه عن قتل العداة زُورَا

وبذلك أصبح الأخذ بالثأر مقدسا وتوفر له مجموعة من الطقوس، فمن عزم على أخذ ثأره، حرَّم على نفسه متاع الحياة ورغدها، فلا يقرب النساء ولا يعاقر الخمر حتى يأخذ بثأره، حتى إنه يحرم على نفسه أكل اللحم والضحك وليالي السمر، والراحة إلى أن يحقق مراده، ويغسل عاره، وذلك ما فعله امرؤ القيس حتى أخذ بثأر أبيه، فحلّ له كل ما حُرّم عليه. [3]

المطلب السَّادس: الأسواق والأيام

وتتمظهر الأسواق في كونها فضاء رفض وقفر، عندما تصير ساحة للحرب، وسفك الدماء، بعد أن كان الدخول إليها يرتهن بإلقاء الأسلحة خارجها لحين الانتهاء من مراسيمها الموسومة بالقداسة لأنها تقام في الأشهر الحرم، ولكن من العرب من انتهك هذه الحرمة وأشعل نار الحرب لسنين معدودة، ففجر بذلك، وأقام حروب الفجّار. [4]

وتخيم على فضاء الأسواق الرافض، وحشة الحرب ومعاناتها، فكان فيها من الأيام، (يوم نخلة ويوم شمطة ويوم العبلاء ويوم عكاظ)[5] التي حملت معها الدم والقتل والتهديد والوعيد،

---

[1] أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص 134.

[2] ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 13.

[3] ضيف، شوقي: **البطولة في الشعر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص 18.

[4] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج6 / ص101.

[5] ينظر: **نفسه**، ج6 / ص 101 وما بعدها؛ وينظر: جاد وآخرون، **أيام العرب في الجاهلية**، ص 322 وما بعدها.

ونظم فيها الشعراء من الأبيات ما يجسد قسوة الفضاء الذي غلف الأسواق، يقول خداش بن زهير في يوم نخلة: [1]

(البسيط)

يا شدّةً ما شَدَدْنا غيرَ كاذِبةٍ على سَخِينةَ لَوْلا اللَيْلُ والحُرَمُ
لما رأوْا خَيْلَنا تُزْجِي أوائِلها آساد غِيلٍ حَمَى أشْبالَها الأجَمُ

فتقاتلت قريش كلها وكنانة مع هوازن ومن معها من قيس عيلان، حتى إذا ما دخل الليل ودخلوا الحرم، تواعدوا للعام المقبل.

وكان في العام القادم في هذا المكان يوم شمطة الصورة المهولة لذلك الفضاء المعادي، وفيه يقول خداش بن زهير: [2]

بأنا يوم شَمْطَةَ قد أقَمْنَا عمود المجد إن له عمودا
جلبنا الخيل ساهمة إليهم عَوَابس يَدْرَعْن النقع قودا
فبتْنا نعقد السّيما وباتوا وقلنا صبحوا الأنَس الجديدا
فعارَكْنا الكُماة وعاركونا عراك النُمْر عاركت الأسودا
فولّوا نضرب الهامات منهم بما انتهكوا المحارم والحدودا

ويقول الشاعر:[3]

ألم يبلغْك العبلاء أنَّا ضربنا خندفا حتى استقادوا
نبنّى بالمنازل عزّ قيسٍ وودّوا لو تَسيخُ بنا البلاد

وفي يوم عكاظ يقول ضرار بن الخطاب الفهري: [4]

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يثبتِ الأمرَ كالخابر
غداة عكاظ إذ استكملت هوزان في كفّها الحاضر

---

[1] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج6 / ص106. سخينة: لقب أطلق على قريش لأنها كانت تحب الطعام ساخناً.
[2] المولى وآخرون، **أيام العرب في الجاهلية**، ص 332.
[3] **نفسه**، ص 333.
[4] **نفسه**، ص 335.

وجـــاءت ســـليم تهـــز القنـــا علـــى كـــل سَـــلْهبة ضـــامر
وجئنـــا إلـــيهم علـــى المضـــمرات بـــأرعن ذي لجـــب زَاخـــر
فلمـــا التقينـــا أذقنـــاهم طعانـــا بســـمر القنـــا العـــائر

فقيام الحرب في هذا المكان، جعله مكانا دمويا يثير الأحزان والمراثي.

وباقتران سوق عكاظ بالحرب وتعدد أيامها فإنها تصبح فضاء عداء خالٍ مـن الأمـن والاستقرار الذي من المفروض أن يحلّ عليها.

المطلب السّابع: الجبل

ويكرس الجبل في فضائه مشاعر القلق والخوف والترقب، عنـدما رأوْا فيـه الحـرب وأسلحته، فحياتهم قائمة على الكر والفر، فتأبط شرا رأى في قلة الجبل المدببة مرادفا لرمحـه المدبب الذي خاض به عدة حروب، فيقول: [1]

(البسيط)

وقلّـــةٍ كســـنان الـــرُّمح بـــارزةٍ ضحيانةٍ في شُـهُورِ الصـيّفِ مِحْـرَاق

وكذلك عنترة العبسي، رأى في جبل (رضوى) صورة لقوسه، فيقول: [2]

(الطويل)

بكـــلِّ هتـــوفٍ عُجسُـــها رضْـــويّةٍ وســـهمٍ كسَـــيْرِ الحميـــريّ المؤنَّـــفِ

وتلون فضاء الجبل باللون الأسود، ليشكل بؤرة غير مرغوب فيها، يقول حـاجز بـن عوف الأزدي:[3]

ولمـــا أن بـــدتْ أعـــلام تـــرجٍ وقـــال الرائبـــانِ بـــدت رتـــوم
وأعرضـــت الجبـــال الســـودُ خلفـــي وخينـــفُ عـــن شـــمالي والبهـــيم

---

[1] تأبط شرا، **ديوانه**، ص 42.

[2] عنترة العبسي، **ديوانه**، ص 39.

[3] الجبوري، **قصائد جاهلية نادرة**، ص 72.

ومرقبـــــةٍ نميـــــتُ إلـــــى ذراهـــــا يقصـــــر دونهـــــا السَّـــــبط الوســـــيم

علـــــوت قـــــذالها وهبطـــــت منهـــــا إلـــــى أخـــــرى لقلّتِهـــــا طمـــــيم

فربما هذا السواد الذي اصطبغت به الجبال، اكسبها القدرة على إنتاج اللعنـــة والمـــوت والعدمية.[1]

وعلى هذا فإن فضاء القفر بؤرة طرد، بعدما كان نقطة جذب ومحور دوران تلف حوله الكائنات.

[1] علي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 190.

المبحث الثّاني

فضاء الجذب والحلم

انطلاقا من قاعدة أن الإنسان" يزداد إحساسا بالمكان إذا حرم منه فحين ينقطع عن وطنه ويحرم منه سواء كان اختياراً أو إجباراً، فإن الوطن يتمدد في داخل هذا الإنسان ويصبح مصدراً للحلم والإبداع، وتنشيط المخيلة الخالقة، لتبدأ بتشكيل صورة خاصة لهذا المكان المفقود " [1]؛ لذا فالشاعر يقوم باستدعاء الأماكن المفقودة التي يرى فيها عوامل جذب عن طريق خياله وأحلامه، ويجسد فيها رغباته وأمنياته، فينشأ لديه ذلك المكان المرسوم على جغرافية ذاكرته، الذي يرفل بالسعادة والأمان والاستقرار.

المطلب الأول: الطلل

ومن الطلل تكمن قدرة الشاعر على إضفاء رموزه عليه، ليجعله فضاء سحريا، يسمع من صرير أضلعه ضحكات، وكركرات ماضيه السعيد.

فالطلل يمثل بالنسبة للشاعر المكان الأمثل، وموطن الأمل والسعادة والذكريات، وهو بالنسبة للشاعر قطعة من حياته لا تهرم.[2]

إذ يحاول الشاعر في هذا الفضاء إحياء المكان من جديد وبعثه من لجة الموت، وبأساليب شتى (كاستنبات الكلأ، واستنزال المطر، وإسكان الحيوان بالمكان.... وغيرها).

ونستدل من فضاء الطلل على أن رحيل الأهل والأحبة، يكون دائما للبحث الدائم عن سُبل الحياة، فالشاعر يبني معمار فضائه الطللي من الانهدام، إلى غد يأخذ ملامحه من الماضي المفعم بالحياة الهنيئة.

ونجد ذلك عند معظم الشعراء الجاهليين، فهم يشتاقون إلى أمكنتهم المفقودة (الحلم) لأن فيه الحياة والسعادة، يقول ربيعة بن مقروم في ذلك: [3]

---

[1] قطوس، بسام، ***الزمان والمكان في ديوان محمود درويش***، **مجلة أبحاث اليرموك**، مج 14، ع 1، 1996م.

[2] حسن، حسين: **أدب العرب في عصر الجاهلية**، ص 57.

[3] الضبي، **المفضليات**، ص 179.

(المتقارب)

أمـــن آل هنـــد عرفـــت الرســـوما بجمـــران قفـــرا أبـــتْ أن تريمـــا
تخـــــال معارفهـــــا بعـــــدما أتـــت ســـنتان عليهـــا الوشـــوما
وقفـــــتُ أســـــائلها نـــــاقتي ومـــا أنـــا أم مّـــا ســـؤالي الرســـوما
وذكرنـــــي العهـــــد أيامهـــــا فهـــــاج التـــــذكر قلبـــــا ســـــقيما

فالشاعر يجسد خلود هذا المكان، على الرغم من مرور السنين عليه، ويقف فيه متذكرا ماضيه الجميل ويحلم بالعودة إليه، فالطلل يدخل في فضاء الحلم الذي يشتاق إليه عنـدما كـان عامرا بأهله وأحبابه ونباته ومائه.

ويلون الشاعر الطلل بالبعث، عندما يجمع بين مشهد الخراب، وذكر المحبوبة (الإلهة)، لأن ذكره للمحبوبة مشهد الحياة هو مواجهة للخراب والسكون والفناء، فهو فضاء جذب ينشـده الشاعر في شعره. [1]

يقول لقيط بن يعمر الإيادي: [2]

(البسيط)

يـــا دارَ عَمْـــرة مـــن مُحتلّهـــا الجرعـــا هاجت لـــي الهـــمّ والأحـــزانَ والوجعـــا
تامت فـــؤادي بـــذات الجـــزع خَرْعبـــة مـــرّت تريـــد بـــذات العذبـــة البيعـــا

أما (النابغة الذبياني) فإنه يتخذ الطلل \ فضاء الحلم، رمزا إلى الحبيبة ومعبرا للحـب، فيذكر اسم محبوبته وموقع الديار، فنراه يتذكر هذه الأيام ويحلم بها عندما كانت عامرة، فيقول:[3]

(البسيط)

يـــا دار مَيَّـــةَ بالعلْيـــاءِ فالسَّـــند أقْـــوَتْ وطـــالَ علَيْهـــا ســـالفُ الأبَـــدِ
وقفـــتُ فيهـــا أصـــيْلاناً أســـائِلُها عَيَّتْ جَوابـــاً، ومـــا بـــالرَّبْعِ مِـــنْ أحـــدِ

[1] اسماعيل، عز الدين: **مجلة الشعر**، العدد الثاني، السنة الأولى، القاهرة، 1964م.
[2] لقيط بن يعمر الايادي، **ديوانه**، ص 74.
[3] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 14 – 16.

أمستْ خَـلاء وامسـى أهلهـا احتملـوا أخْنَى عليهـا الـذي أخْنَـى علـى لبـدِ

واشتياقه وحلمه بالعودة إلى الماضي، جعله يدعو للديار بالسقيا،، لأنه راى فيها سعادته وعاش فيها أجمل أيامه، وفي ذلك يقول مثقب العبدي: [1]

(الطويل)

ألا حَيِّيـا الـدَّارُ المُحيـلَ رُسُـومُها تَهِـيجُ علينـا مـا يهـيج قَـديمُها
سَقَى تِلك مِـنْ دارٍ ومَـن حـلَّ ربْعَهـا ذهـابُ الغـوادي وَبْلُهـا ومُـديمُها

يصمم الشاعر فضاء الحلم، على أطلال حياة كانت، والوقوف فيها يفتح في الزمن نافذة مشرعة على الماضي السعيد، يدخل الشاعر منها، فيرى ذاته في هذا المكان، ويرى محبوبتـه (الإلهة) وديارها (معبدها) والحياة الرغيدة التي عاشها، ويحاول أن يبث الحياة في هذا الفنـاء، ويبعث فيها حياة جديدة، ولكن حياة من نوع آخر، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى: [2]

(الطويل)

أمـنْ أم أوْفـى دِمْنَـةٌ لـمْ تكلَـمِ بِحومانَـةِ الـدّراجِ فـالمُتَثلمِ
ديـارٌ لهـا بـالرقمتينِ كأنَّهـا مراجيـعُ وشـمِ فـي نواشِـرِ معصَـمِ
بهـا العِـيْنُ والأرآم يمشـين خلفَـةٌ وأطلاؤهـا يَنْهضْـن مـن كـلّ مَجْـثمِ
وقفْتُ بهـا مِـنْ بعـد عشـرينَ حجـةً فلأيـاً عَرفْـتُ الـدَّارَ بعـد تَـوَهمِ
فلمـا عرفـت الـدّار قلـت لربعهـا ألا أنْعِـم صـباحاً أيّهـا الرّبْـع وأسْـلمِ

فالشاعر منح الطلل الحياة بحياة الحيوانات وعيشها في هذه الديار بعد فناء الإنسان، فهو يشيع البهجة والفرح في الطلل من خلال هدوء عيش الحيوان، ويدل ذلك على إصـراره علـى الحياة رغم كل الفناء والدمار.

فالطلل يحمل في داخله ثنائية (الجدب \ الجذب) إذ يحمل الجذب حينمـا يكـون مكانـا للخصب والوصل والقرب من الآلهة في معبدها (المرأة في ديارها)، ومن ثم يتحول إلى مكـان

[1] المثقب العبدي، **ديوانه**، ص 234.

[2] زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، ص 4.

مجدب مقفر حينما يكون هناك خراب ودمار وهجر، مما يجعل المكان يحمل المفارقة، وهذه المفارقة جسدتها النصوص، وفق تصور الشعراء من خلال العاطفة التي تتوزع بين شعور الجذب والجدب داخل وعاء الذات.

المطلب الثّاني: البئر والماء

ومن مظاهر هذا الفضاء في أشعار الجاهليين، ما طالعنا به الشعراء في حديثهم عن البئر التي شكلت تاريخا خاصا من العلائق الاجتماعية والقيم التي طافت حولها، ففضاؤها كان ممزوجا بالسعادة والخوف، فالسكن بالقرب منها يجلب لهم السعادة والاستقرار، لكن شعورهم بالخوف تجلى في خوفهم من إغارة القبائل طمعا فيها، فهي ثروة ثمينة، بالإضافة إلى خوفهم أن تجف ماؤها فتصبح مكانا للقفر والموت والاندثار.

ويُترجِم فضاء البئر مشاعر القوم وسعادتهم لامتلاكها، إذ يجدونها الحصن الحصين، والمستقر الأمين، يقول حميد بن ثور الهلالي: [1]

(الطويل)

وقلنا لعل الماء يَرْبُو فَنَقْتنى وعلَّ غلاماً ناشِئاً يترعرعُ

ويقول أبو دؤاد الإيادي: [2]

(الوافر)

إذا أكْدَى قليبٌ صِرْنَ منه إلى جَمَّاتِ أحواضٍ ملاء

فالشاعر ينقل لنا بشعره ما يحمله هذا الفضاء من معاني الأمن والاستقرار، فالبئر بمائها من أهم الأسس التي تقوم عليها حياة القبيلة.

ويقول السموْءل بن عاديا: [3]

---

[1] حميد بن ثور الهلالي، **ديوانه**، ص 110.

[2] أبو دواد الإيادي، **ديوانه**، ص30.

[3] **نفسه**، ص 40.

بنَـــى لـــي عاديـــاً حِصْـــناً حصـــيناً ومـــــاءً كلمَّـــا شـــئْتُ اسْـــتَقَيتُ

وتلون هذا الفضاء بالعزة والمنعة فالبئر مرادفة للحصن، والتي انعكست علـــى شـــعور مالكيها، ففي هذه البئر الثروة العظيمة، التي لا تقدر بثمن والتي تمنحهم القوة والأمان والحماية.

وفي فضاء هذا المكان نشبت الحروب، وتطاحنت القبائل لإهمية هذا المكان، فاتخـــذت البئر قيمة كبرى، وفرضت نفسها على أيام العرب، إذ يروى أن من أيام العرب المشهورة (يوم هراميث): إذ إن الجليل بن شديد الجعفري نزل في بئر بناحية هراميث ليحتفرها، فنـــزل عليـــه الأسود بن شقيق الضبابي فمنعه، فوقعا في البئر، فتضاربا، واجتمع الناس برأس البئر فـــانزلوا عليهم الرجال حتى خلصوا بينهم. واجتمع الجمعان، فقالت الضباب دونكم صاحبنا فاقتصـــوا... وقالت بنو جعفر لا نأخذ حقنا أبدا إلا عنوة... ثم التقوا على هراميث فاقتتلوا. [1]

وارتبط الغراب بالماء منذ زمن قديم ليشكل فضاء الجذب والألفة، فهو عنـــد الإغريـــق منبئ بالعواصف.[2] وهو مرشد عبد المطلب إلى مكان بئر زمزم، إذ سمع عبد المطلـــب هاتفـــا ينادي فيقول: [3]

يـــا أيهـــا المـــدلج احفـــر زمـــزم إنـــك إن حفرتهـــا لـــم تنـــدمْ
وهـــي تـــراث مـــن أبيـــك الأعظـــم تســـقي الحجـــيج حـــافلا لـــم يـــنقمْ

فالغراب تقمص دور الكاهن والمعلم، الذي حمل الرسالة لعبد المطلب يأمره بحفر بئـــر زمزم[4].

المطلب الثالث: الأسواق

وكانت الأسواق ريشة ترسم فضاء الجذب بألوان مختلفة، فكانت مجمعا تجاريا وقضائيا وأدبيا واجتماعيا ودينيا، فالتجار يحضرون إلى الأسواق بأنواع مختلفة مـــن البضـــائع، وكـــان

---

[1] المولى وآخرون، **أيام العرب في الجاهلية**، ص 304. (الهراميث: آبار مجتمعة ناحية الدهناء).

[2] العنتيل، **الفولكلور ما هو؟**، ص 115.

[3] عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ج1، ص 326.

[4] **نفسه**، ص 326.

النعمان بن النمذر يبعث لطيمة له لتباع، ويشاري بثمنها الأدم والحرير وغير ذلك [1]، وكان قيس بن زهير بن جذيمة العبسي، يستثمر وجوده في سوق عكاظ، ليأخذ من هوزان ما عليها من الأتاوة [2]، وتتم أحيانا في السوق خِطبة [3]، وفيها يكون افتداء بعض الأسرى [4]، ويحضر السوق الشعراء والخطباء والكهان والرهبان. [5]

المطلب الرّابع: الجبال

وتدخل الجبال في فضاء الجذب والحلم، فتفكير الإنسان العربي وسعيه الدؤوب لنيل الخلود جعله يحلم به، وكان يجسد هذا الحلم في فضاء الجبال التي رأى فيها الخلود والصمود والديمومة التي يفتقدها.

يقول عدي بن وادع ممثلا فضاء البقاء، والفضاء المقاوم للفناء: [6]

(الوافر)

أرى الأيام لا يبقى عليها سوى الأجيال والرَّمل الرَّقاق

وأشاد بذلك زهير بن أبي سلمى في قوله: [7]

(الطويل)

ألا لا أرى على الحَوَادث باقِياً ولا خَالِداً إلا الجِبالَ الرَّواسِيَا

فزهير يرى فضاء الجبال، فضاء يقهر الموت وينتصر عليه ببقاء الجبال راسخة راسية.

ويقول لبيد:[8]

---

[1] الأصفهاني، **الأغاني**، ج 22 / ص 26. لطيمة: العير التي تحمل الطيب وبَز التجارة؛ وينظر: **لسان العرب**، مادة (لطم).

[2] **نفسه**، ج 11 / ص 78.

[3] **نفسه**، ج 10 / ص 23.

[4] القلقشندي، **صبح العشى**، ج1/ ص 468.

[5] الأصفهاني، **الأغاني**، ج 22/ ص 26.

[6] الجبوري، **قصائد جاهلية نادرة**، ص 63.

[7] **شرح ديوان زهير**، تحقيق: أحمد طلعت، دار الفكر، بيروت، ط1، 1968م، ص117.

[8] **ديوانه**، ص 43.

(الخفيف)

إن يكن فـــي الحيـــاةِ خيْـــرٌ فقَـــدْ أنْـــ فعـــتُ لـــو كـــان يَنْفَـــعُ الإنظـــارُ
عشـــتُ دهـــراً ولا يـــدوم علـــى الأيَّـــ ام إلا يـــــــــــرمْمٌ وتِعَـــــــــارُ
وكُـــــلافٌ وصـــــلْفعٌ وبضـــــيع والـــــذي فـــــوق خبَّـــــة تِيمَـــــارُ

فالشاعر يستشعر حلمه الذي طالما تمناه في هذا الفضاء، ويدرك حقيقة فنائـــه وموتـــه، وأنه لم يبق خالدا في هذه الحياة إلا الجبال، فمنها يستمد القوة والصمود.

وكان للحيوان دور بارز في بناء معمارية هذا الفضاء، فاكتسبت الجبال قداســـة فـــوق قداستها، وتبادلت مع هذه الحيوانات سمة الخلود والبقاء نجد ذلك ماثلا في أقوال الشعراء، يقول عدي بن زيد العبادي: [1]

فَـــــوْقَ عَلْيـــــاء لا يُـــــرامُ ذُراهـــــا يَلْعَـــــبُ النَّسْـــــرُ فوقَهـــــا والأنُـــــوقُ

فالنسر قادر على الوصول إلى العالم العلوي عالم البقاء والخلود، وبذلك يبتعد عن العالم الأرضي عالم الفناء، ولهذا استقر على قمم الجبال لأنها قريبة من عالم الآلهة (السماء).[2]

هذا فضلا عن أن النسر كان معبودا، فجُسّم له صنم عبدته العرب، وقدمت لـــه شـــعائر الإجلال والعبادة، وربما دلّ كل ذلك أن عيش النسر على قمم الجبال، لأن الجبال مكان الآلهـــة، والنسر هو إله معبود، فكان الجبل معبده.

يقول لبيد: [3]

(الكامل)

ولقـــد جـــرى لُبـــدٌ فـــأدركَ جريَـــهُ رَيْـــبُ الزَّمَـــانِ وكـــانَ غيـــرَ مثَّقـــلِ
لمـــا رأى لبُـــد النســـورَ تطـــايرتْ رفـــعَ القـــوادمَ كـــالفقيرِ الأعـــزلِ

---

[1] عدي بن زيد العبادي، **ديوانه**، ص 79.

[2] الديك، **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 106.

[3] لبيد بن ربيعة، **ديوانه**، ص74.

مـــن تَحْتـــه لقْمـــانُ يرجـــو نهضَـــهُ ولقـــــد رأى لقمـــــان أنْ لا يـــــأتلي

والنسر من الحيوانات التي اتصفت بالخلود النسبي والعيش المديد، ولذلك اختار لقمـــان بقاء سبعة نسور، إذ كان كل نسر يعيش ثمانين سنة، فكان لقمان يأخذ الذكر حين يخـــرج مـــن بيضته لقوته حتى إذا مات أخذ غيره، إلى أن وصل النسر السابع، وهو لبد والذي يعنـــي لهـــم الدهر، ولكنه مات في الجبل الذي وضعت فيه النسور وبذلك انتهى عمر لقمان. [1]

فاستغل الشاعر تضاريس الجبل واتصاف النسر بالخلود ليجعل منهما مســـرحا مكانيـــا لأمنيته بنيل الخلود.

إضافة إلى أن اسم النسر يحمل معنى الرفعة والعلو والاقتـــراب مـــن الســـماء، وهـــذه الصفات تتجسد في الجبال،فأطلق على بعض الجبال اسم النسر والنسار والأنسر، ممـــا يوثـــق العلاقة بينهما. [2]

واستوطنت الوعول في الجبال، وتمنعت بقممها فنالت الخلود الذي يسبح فـــي فضـــائها والإنسان العربي الذي تحذوه رغبة مستمرة في البحث عن الخلود، لازم هذه الوعول عله يحقق حلمه به، يقول الشنفرى في ذلك: [3]

(الطويل)

وخـــرْقٍ كظهْـــر التُّـــرس قفـــرٍ قطعتـــهُ بعـــــاملتَيْن ظهْـــــرُه لـــــيس يُعْمـــــلُ
وألحقـــــتُ أولاهُ بـــــأخراهُ موفيـــــاً علـــى قُنَّـــةٍ أقعـــي مـــراراً وأمثُـــلُ
تـــرود الأراوي الصُّـــحمُ حـــولي كأنهـــا عـــذارى علـــيهنَّ المـــلاء المـــذيلُ
ويركـــدن بالآصـــال حـــولي كـــأنني من العصم أدفى ينتحـــي الكـــيح أعقـــلُ

---

[1] ينظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج1، ص 113، 114.

[2] ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج 5، ص 283.

[3] **ديوانه**، ص 64 – 65.

يتلون فضاء الجبل بالخلود الذي يحلم به الشاعر، ويسعى ويتحدى المصاعب للوصـــول إليه، فالجبل الذي وصل إليه الشنفرى فضاءً قفراً بعيدا، سُكّانه الوعول، وبوصوله إليـــه كأنـــه اكتسب الخلود من الجبال ومن الوعول.

ويقول أمية بن أبي الصلت في فضاء الجبال: [1]

(الخفيف)

كُـــلَّ عَـــيْشٍ وإنْ تطـــاوَلَ دهـــراً صـــــائرٌ مـــــرَّةً إلـــــى أن يَـــــزُولا
ليتنـــي كنـــت قبـــل مـــا قـــد بـــدا لـــي فـــي قـــلال الجبـــال أرعـــى الوُعُـــولا
فاجْعَلِ المـــوتَ نُصْـــب عينـــك واحـــذر غَولـــةَ الـــدهرِ إن للـــدَّهْرِ غُـــولا

ففي هذا الفضاء تموج أحلام الشاعر وأمانيه التي يراها أمامه ممثله في الوعول التـــي تحارب الفناء وتقاومه.

ويلجأ الشاعر إلى تصميم فضاء الألفة والطمأنينة، التي تتمتع بها الجبال، فتـــنقلهم مـــن حالة مادية إلى حالة روحانية، يعرضون من خلالها اعتقادهم الديني.، يقول المزرد: [2]

(الطويل)

مـــن الـــدهمِ رجـــافٌ كـــانّ ربابـــهْ جبـــال السّـــرى يرمـــي إليـــه ويرتمـــي

فالشاعر يربط بين السحاب المملوء بالماء والجبال، ويعود ذلك إلى اعتبار الجبال فـــي الفكر القديم مانحة المطر، وعلى قممها مورس طقس الاستسقاء.

وربما كان ذلك من باب مايتمنّاه الشاعر بدوام وجود السُحب التي تروي عطش دياره، فشبهها بالجبال الثابتة الخالدة.

---

[1] أمية بن أبي الصلت، **ديوانه**، ص 96.

[2] المزرد بن ضرر الغطفاني، **ديوانه**، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، مطبعة أسعد، بغداد، 1962 م، ص 24.

وشغلت الجبال مكانا واسعا في فضاء الجذب، ذلك لأنها مكان حصين، وفيها يشـــعرون بالحماية والأمن، فكل حصن منيع يكون على قمة جبل، لاعتقادهم أنها في حماية الآلهة لكونهـــا مرتفعة وقريبة من السماء، وفي هذا المعنى يقول السمؤال: [1]

لنـــا جبـــلٌ يحتلُّـــه مـــن نجيـــرهُ منيـــفٌ يـــردُّ الطَّـــرف وهـــو كليـــلُ
رسا أصـــله تحـــت الثـــرى وســـما بـــه إلـــى الـــنجم فـــرعٌ لا ينـــال طويـــلُ
هو الأبلـــق الفـــرد الـــذي شـــاع ذكـــره يعـــزُّ علـــى مـــن رامـــه ويطـــولُ

يتسع فضاء الجبل، ليضرب جذوره تحت الثرى، وتصل قمته نجوم السماء، فالشـــاعر أضفى هذه الصفات على قومه فعزهم ثابت راسخ في أعماق الأرض، ومكانتهم وصيتهم محفوظ خالد كخلود الجبال.

يقول الطفيل الغنوي في هذا المعنى: [2]

(الطويل)

لنـــا معقـــلٌ بـــذّ المعاقـــل كلَّهـــا يـــرى حـــاملاً مـــن دونـــه كـــلُّ معقـــلِ

وكان للشجر دور في رسم فضاء الجبل، إذ إن أنواعاً محددة فقط تستطيع النمو علـــى الجبال، فالوصول إلى هذه الأشجار ينبئ بالشجاعة والقوة.

يقول عروة بن الورد: [3]

(الطويل)

فيومـــاً علـــى نَجْـــدٍ وغـــاراتٍ أهْلِهـــا ويومـــاً بـــأرضٍ ذات شـــثٍّ وعَرْعَـــرِ

فبعد غاراتهم على القبائل، وجمع الغنائم من مواشي وغيرها فإنهم يعودون إلى الجبـــال حيث الشث والعرعر، ويبين الشاعر أن الطريق إلـــى هـــذه الأشـــجار محفـــوف بالمخـــاطر

---

[1] **ديوانه**، ص 69.

[2] طفيل الغنوي، **ديوانه**، ص 98.

[3] عروة بن الورد، **ديوانه**، ص 155.

والمصاعب فقلما من يستطيع الوصول إليها ويقول أيضا في أشجار الإثل التي تمنح هذا الفضاء الجرأة والقوة: [1]

(الطويل)

فـــإنّكمُ لـــن تَبلُغـــوا كـــلَّ هِمَّتـــي ولا أربـــي حتـــى تَـــروا منْبِـــتَ الأثْـــلِ

وتوقفنا الجبال على فضاءات حبلى بالدلالات، تتمثل في الألـــوان التـــي صـــبغها بهـــا الشعراء، يقول علقمة الفحل: [2]

فـــإنَّ أبـــا قـــابوسَ بَينـــي وبينهـــا بـــأرعَنَ ينفـــي الطّيـــر حُمـــرٍ مناقِلُـــهْ

لعل اختيار الشاعر للون الأحمر، في قوله (حُمر)، لما يختزنه هذا اللون مـــن دلالات، فربما صبغت قمم الجبال باللون الأحمر الذي اختزن أهميته الميثولوجية من ارتباطـــه بالـــدم. ويدلل ذلك على كثرة تقديم القرابين على قممها، تقربا للآلهة، فتنسال دمائهـــا صـــابغة الجبـــال بلونها.[3]

أو ربما دل الشاعر بهذا اللون على شجاعة قومه، وكثرة الحـــروب التـــي خاضـــوها، فاصطبغت الجبال بلون دماء أعدائهم.

ومنح اللون الأخضر فضاء الجبل الحياة والخصوبة، يقول بشر بن أبي خازم: [4]

تـــراءوا لنـــا بَـــيْنَ النخيـــل بعـــارضٍ كـــركنِ أبـــان مطلـــع الشـــمس

فجبل (أبان) يبدو وكأنه أخضر لكثرة النباتات الخضراء، والتي عكست ذلك اللون عليه.

ورسم اللون الأبيض، فضاء الطمأنينة الذي أحاط بها الجبل، يقول لبيد بن ربيعة: [5]

---

[1] عروة بن الورد، **ديوانه**، ص 202.

[2] علقمة الفحل، **ديوانه**، ص 132.

[3] علي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 59.

[4] بشر بن أبي خازم، **ديوانه**، ص 129.

[5] لبيد بن ربيعة، **ديوانه**، ص 193. الأغر: الجبل الأبيض.

(الطويل)

لهنـــــدٍ بـــــأعلام الأغَـــــرِّ رُســـــومُ إلـــــى أحُـــــد كـــــأنهنّ وُشُـــــومُ

فالشاعر استعمل مفردة (الأغر) لوصف الجبل، ليمنحه الهدوء والاستقرار، وبذلك يتسم المعبد الذي أقيم على قمة الجبل، والذي زين برسوم ربتهم المعبودة (هند).

وفي فضاء الجذب، كان الجبل شبيها العظماء، وسراة القوم، وسادتهم، تقول الخنساء:[1]

(البسيط)

وإن صـــــخرا لتـــــأتم الهـــــداةُ بِـــــهِ كأنَّـــــه علـــــمٌ فـــــي رأســـــه نـــــارُ

المطلب الخامس: القبر

ويتمحور فضاء الجذب والحلم في مكان القبر، عندما يصبح مكانا يستجير بـــه النـــاس فيغدون في جواره وحرمته آمنين على أرواحهم لا يمسهم مكروه، ومن هذا القبيـــل اســـتجارة الناس بقبر " عامر بن الطفيل " وكذلك قبر " تميم بن مر" جد قبيلة تميم. [2]

وفي المقابل كانت الروح التي تهيم وتحلق في سماء القبر، جاعلة منه فضاء أليفا، يقيم الإنسان عليه أياما وشهورا، وذلك اعتقادا منه بأن هذه الروح قادرة على نفعه ومساعدته.[3]

يقول قس بن ساعدة الإيادي في صاحبيه اللذين ماتا: [4]

أقـــيم علـــى قبريكمـــا لســـت بارحـــاً طـــوال الليـــالي أو يجيـــب صـــداكُما

أما أمية بن أبي الصلت، فيخبر أبناءه بأنه بعد موته سوف يعرف أخبارهم وأحـــوالهم، لأن هامته سوف تنقل له كل ذلك، فيقول: [5]

---

[1] الخنساء، **ديوانها**، ص 46.

[2] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج5 \ ص 176.

[3] الديك، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص 135.

[4] **الحماسة البصرية**، ج1 / ص 215.

[5] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 / ص133.

(الخفيف)

هـــامي تخبرنـــي بمـــا تستشـــعروا فتجنّبـــوا الشـــنعاء والمكروهـــا

فأمية بن أبي الصلت نظر إلى الروح نظرة ايجابية؛ فهي السبيل الوحيد ليطمئن علـى أبنائه بعد موته.

المطلب السادس: بيت الإله

وكان بيت الإله من الأماكن التي تدخل في فضاء الجذب والحلم، إذ إن المثول فيه يترك في النفس ارتياحا وطمأنينة؛ لأنه يوفر لهم في اعتقادهم ما يحتاجونه من متطلبات الحياة ومعرفة الغيب.

فكان في بيت هبل، سبعة قداح لاستفتائه في أمور الحياة كـالزواج والسـفر والحـرب والنسب، فهذا البيت اكتسب الألفة والجذب لأنه على علم بأمور الحياة المهمة[1].

يقول شمعلة بن أخضر الضبي: [2]

رئـــيس مـــا ينازعـــه رئـــيسُ ســـوى ضَـــرْب القـــداح إذا استشـــار

فهو يخضع لما تتخير له القداح، إذ لها الرأي الفصل في حياته.

ويقول الحطيئة في ذلك: [3]

(البسيط)

لا يزجر الطيـــر، إن مـــرَّت بـــه ســـنحا ولا يفـــيض علـــى قســـمٍ بـــأزلامِ

وقال طرفة بن العبد مظهرا هذه العادة التي تجذبهم إلى بيت الصنم:[4]

---

[1] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج 3، ص 740..

[2] الجاحظ، **البيان والتبين**، ج3 / ص 104.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زلم).

[4] طرفة بن العبد، **ديوانه**، ص 71.

(المديد)

أخـــــــــذَ الأزلامَ مُقْتَســـــــــماً فـــــــأتى أغواهمـــــــا زَلَمَـــــــهْ

وكل بيت مقدس تؤدى فيه طقوس العبادة يشكل فضاء جذب وحلم، برضا الآلهـة وأن تمِّن عليهم بالخير وتدفع عنهم الشر، وكان للسواد الذي تصطبغ به الكعبـة دور فـي فضـاء الجذب، إذ إن هذا اللون يكبح فيهم جماح الخطايا.

المطلب السابع: مكّة والبيت الحرام

وفي فضاء الجذب فإن الأهمية الدينية والتجارية مجتمعتين جعلتا مـن مكـة منتجعـا للأسفار، وملقى للرحال، تهوي إليها الأفئدة من كل فج عميق، فكان ذلك بداية لجمع العرب على لهجة واحدة هي لهجة قريش.

وعبر فضاء الجذب والحلم يحلق الحمام في سماء البيت الحرام، فحمام مكة مـن نسـل الطير التي رمت أصحاب الفيل [1]، أو أنها من نسل الحمام الذي كلل بدعاء سيدنا نوح – عليـه السلام – فنال البركة. [2]

وفيه يقول النابغة: [3]

(البسيط)

والمـــؤمنِ العائـــذاتِ الطَّيـــر يَمْسَـــحُها رُكْبـــان مكـــة بـــين الغيْـــل والسَّـــعَد

ويتلون البيت الحرام بطقوس وشعائر الحج التي يمارسها الحاج، فتنبض فضاء جاذبـا حالما للإنسان بالنقاء والطهارة ومغفرة الآلهة والخلاص من دنس الـدنيا، يستشـعر السـعادة والتآلف فيه.

---

[1] الأزرقي، **أخبار مكة**، ج1، ص 148.

[2] الخياري، أحمد ياسين أحمد: **حمام الحمى الحجازي**، ط1، إدارة المطبوعات بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، 1991م، ص 12.

[3] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 25.

وتجلى ذلك بأدائهم جميع الشعائر التعبدية في المكان المقدس، ففي ذلك الشفاء والسلوى لأرواحهم المضنية.

وفي نهاية الحديث عن فضاء الحلم، نستطيع أن نتوصل إلى أن هذا الفضاء يمثل الأمل لدوام الحياة، بعد أن كان المكان الواقعي قاصرا عن تحقيق الحلم والآمال؛ فعندما يتحول الوجود إلى" فكرة فمن الضروري أن تستحيل تلك الفكرة داخل الذاكرة الإبداعية للجماعة إلى فن ونحت شرط الشتات والمنفى يصبح الشعر بالضرورة متقدما على الفنون الأخرى، ومنوطا بتجسيد تلك الفكرة المجردة وتحويلها إلى وقائع جمالية مرة أخرى، تقرب المسافة الشاسعة بين الحلم والواقع." [1]

[1] الطوفي، عبد العزيز: **ثنائية الأرض والمرأة وانتهاك المقدس، قراءة في ديوان أعراس لمحمود درويش**، مجلة القاهرة، ع (151)، 1995م، ص 63.

المبحث الثَّالث

فضاء القيم

كان المكان هو الحاضنة الأولى للإنسان، فتشكل من تعاقب التفاعل وتبادل التأثير، بينه وبين الإنسان، حتى صار جزءاً من الوعي العام؛ نرى ذلك في الشعر إذ ينتقل الشاعر من حدود المكان إلى فضاء القيم، ويعبر بهذه الأماكن عن قيم الكرم والشرف والسيادة والانتماء، وغيرها من المعاني التي دارت حولها الحياة الجاهلية.

وبذلك ينتقل بالمكان من الإطار المادي المجرد إلى المعنويات، مما يشير إلى العلاقة الحميمة بين الإنسان والمكان، ما يجعله يعبر عن هذه الأماكن بأغلى ما يملك وهي قيمه التي أسس عليها حياته بجميع جوانبها، ولا نبالغ إذا اعتبرنا القيم من أهم مكونات التاريخ الإنساني، فلو عدنا إلى مواقف الأفراد وسلوكيات الشعوب لتبين أن ما فيها من تشابه وتطابق واختلاف مرده إلى طبيعة القيم التي يمثلونها. [1]

المطلب الأوَّل: السِّقاية والرِّفادة

فالكعبة المشرفة أوجدت (السقاية والرفادة) اللتين توارثهما العرب وتنافسوا عليهما وتولهما قوما بعد قوم، لما لهما من منزلة في نفوسهم وقيمة نفيسة بينهم، والرفادة إطعام الحاج في أيام موسم الحج حتى يعودوا إلى بلادهم.[2]

وكانت قريش تتصاع لنبراس هذا المكان ووهجه، فيستخرج فيما بينها كل إنسان مالا بقدر طاقته، وتشتري به للحجاج طعاما وزبيبا، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج. [3]

---

[1] الخليل، أحمد محمود: **في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، 1996 م، ص 39.

[2] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**، ج2/ ص 720.

[3] **نفسه**، ص 720.

ويُذكر أن هاشم بن عبد مناف أول من أطعم الحجاج ثريدا، يقول الشاعر رافعا من منزلته لتوليه الرفادة:[1]

عمروُ الذي هشَمَ الثريدَ لقومِهِ قَوْمٍ بمكّةَ مُسْتنينَ عِجَافِ

ويقول آخر باكيا المطلب بن عبد مناف، الذي تولى السقاية والرفادة بعد هاشم:[2]

قدْ ظمِئ الحَجيجُ بعدَ المطلبْ بعدَ الجفانِ والشرابِ المُنْثَعبْ
ليتَ قُريشاً بعدهُ على نَصَبْ

وكان لهذا المكان (مكة) دورٌ في تشكيل فضاء البنية الاجتماعية، فجعل من العرب الحمس والحلة، فقداسة هذا المكان انعكست على ساكنيه، فالحمس أهل الحرم من قريش ومن ولدت قريش، وابتدعوا لأنفسهم مناسك تميزهم، فلم يقفوا بعرفة وإنما وقفوا بمزدلفة، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون، وكانوا يطوفون بملابسهم، فهم أهل البيت وولاته.[3]

يقول المعطل الهذلي في خزاعة، ينسبهم إلى الحمس:[4]

أخالكُمْ مِنْ أسْرةٍ قَمَعِيّةِ إذا نسكوا لا يشهدون المُعَرّفا

فهم يؤمنون بكل مناسك الحج، التي فرضوها على أهل الحل (الحلة)، فلا ينبغي لهم – الحلة – أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم، ولا يطوفون بالبيت إلا عراة لأن ثيابهم تحمل ذنوبهم، وبخلعها يتطهرون من ذنوبهم ويتخلصون منها، أو أن يطوفوا بثياب الحمس كرامة للبيت ولأهله. [5]

---

[1] ابن هشام، **سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم** – ص 183. عمرو: هو هاشم بن عبد مناف وسمي هاشم لهشمه (فتّه) الخبز بمكة لقومه.

[2] **نفسه**، ص 185. المنعثب: الذي يسيل بغزارة. نصب: المشقة والتعب.

[3] علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج 6 / ص 357.

[4] **شرح أشعار الهذليين**، ج2 \ ص 638. قمعية: منسوب إلى (قمعة بن خندف) يقال: إن خزاعة من وَلدِه.

[5] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**، ج6 \ ص 359.

المطلب الثَّاني: المنافرات والمفاخرات

وفي فضاء القيم تلوح المنافرات والمفاخرات، وهما من سمات المجتمع الجاهلي، وكانت الأسواق ميلادا لها، ومن المنافرات التي قضي فيها في سوق عكاظ ما حدث بين محمد بن أحيحة والزبرقان بن بدر حين " ترافعا في حكومتهما إلى النابغة، وكان النابغة قد نَصَب قبّة بعكاظ، وفعل ذلك زهير بن أبي سلمى، يسمع العرب منهما " [1].

ومن المنافرات التي فصل فيها في سوق عكاظ، منافرة جرير البجلي، وخالد بن أبي أرطاة الكلبي حين قال له رجل من بني كلب: " كأنك تستطيل على قُضاعة! فقال: ميعادك من قابل سوق عكاظ "[2].

وربما كان اختيارهم لتكون السوق محكمة المنافرة، ليشهدها حشدٌ كبيرٌ من الناس.

المطلب الثَّالث: الاغتراب والحنين

والشاعر عندما يقف أمام الدمن والأثافي التي كانت تعج بالحياة والحركة، والتي أضحت خرابا ودمارا وآثاراً بالية وأهلها ارتحلوا، ولم تبق إلا قطعان البقر الوحشي والنعام، تصول وتجول محل أهله، فالغربة والوحشة التي تلف المكان جعلت الشاعر ينتقل من وحشة المكان إلى فضاء الشوق والحنين، وجعلته يدرك كم هو غريب في هذا الفضاء الموحش.

وفي ذلك يقول النابغة: [3]

(الطويل)

دعاكَ الهوى واستجهلتْك المنازلُ وكيف تصابى المرء والشيب شاملُ

---

[1] ابن الجون، الأشعري، أبو الربيع بن سليمان بن موسى: **الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية**، تحقيق: القاضي محمد بن علي الأكوع والقاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 1999م، ص 136.

[2] أبو عبيدة، معمر بن مثنى: **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق: محمد إبراهيم حور – وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1998م، ج1 / ص 310.

[3] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 115.

وقفتُ بربع الدّار قد غيّر البِلَى معارِفها والسّاريات الهواطلُ

فالشاعر يصور لنا شعوره بالغربة الذي استمده من هذا الفضاء الذي ارتسم بألوان البلى والعدم، ويبين مدى حنينه إلى الأحباب بعدما ارتحلوا.

المطلب الرَّابع: الانتماء القبليُّ

ومن المعاني القيمة التي يدل عليها فضاء الطلل، الوحدة والانتماء القبلي؛ إذ إن المقدمة الطللية في أصلها ظاهرة اجتماعية، استنها الشعراء وتواتروا عليها. [1]

فهي ضرب من الطقوس والشعائر التي يمارسها المجتمع، إذ تصدر عن عقل جماعي لا عن عقل فردي، وتقليد الشعراء لها، إنما هو نداء المجتمع لنفسه أو نداء فرد تقمص روح المجتمع.[2]

ويمكن لنا أن نسمع في فضاء المقدمة الطللية همس المجتمع والانتماء إليه، إذ إن الشاعر من خلالها، تناول حال الخطر أو الشر التي تترصد بالمجتمع.

يقول النابغة: [3]

(البسيط)

ردَّتْ عليه أقاصيه ولَبّدَه ضَرْبُ الوَلِيدةِ بالمِسحاةِ في الثّأدِ
خَلّتْ سَبِيلَ أتِيّ كان يَحبِسُه وَرَفّعَتْهُ إلى السِّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ

فصورة الجارية التي ترد الماء لتفرق تراب النؤي لئلا يصل الماء إلى المضرب، هي صورة العقل الذي يشغله مصير مجتمعه بعد أن تضحي الديار خرابا ليس فيها إلا النؤي والأحجار، فكل عناصر الحياة التي تعبر عن الجماعة اندثرت. [4]

---

[1] ينظر: اليوسف، يوسف: **بحوث في المعلقات**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م، ص 67، 70.

[2] ينظر: ناصف، مصطفى: **قراءة ثانية لشعرنا القديم**،، منشورات الجامعة الليبية، مصر، ص 53، 54.

[3] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 15.

[4] ناصف، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ص 176.

ومثّل ذلك في قوله: [1]

(البسيط)

أمسَتْ خَـلاءً وأمسـى أهلهـا احتملـوا أخْنَى عليهـا الـذي أخْنَـى علـى لبَـدِ

المطلب الخامس: العظمة والقوة

وفي فضاء القيم نرى الجبل حاضراً بشموخه وصموده ليمثل لنا القيم التي انعكست على العربي، يقول النابغة مستمدا من فضاء الجبل العزة والعظمة، التي تحلى هو بها: [2]

(الطويل)

تـزلُّ الوعـول العصْـمُ عـن قذفاتـه وتضـحي ذراهُ بالسَّـحاب كـوافرا

فالشاعر ينتصر على الوعول التي لم تستطع العيش في هذا الجبل، على الرغم من قدرتها على ذلك، وبذلك يدلل على العجز عن الوصول إليه فهو صعب المنال، لا يبلغه أحد، واستمد تلك القيم والصفات من لجوئه إلى الجبل.

وانطلاقا في فضاء القيم نرى الجبل قد كرس في نفس العربي العزة والسمو والشموخ وغيرها من الصفات التي يتباهى ويتفاخر بها، يقول النابغة: [3]

(البسيط)

فـإذا وقيـت بحمـد الله شـرَّتها فـانجى فـزار إلـى الأطـوادِ فـاللَّوبِ

ويقول عنترة العبسي: [4]

وتطلـب أن تلاقينـي وسـيفي يُـدكُّ لوقعـة الجبـل الثقيـلُ

---

[1] النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص 16.

[2] **نفسه**، ص 70.

[3] **نفسه**، ص 52.

[4] **شرح ديوانه**، ص136.

اكتسب عنترة العزم والقوة والصلابة من الجبل، فلا يستطيع أحد التصدي له لأن قوتـــه قوة جبلية.

ويقول طفيل الغنوي:[1]

(الطويل)

لنـــا معقـــلٌ بَـــذّ المعاقِـــلَ كلَّهـــا يُـــرى خـــامِلاً مـــن دونـــهِ كـــلّ معقِـــل

فالشاعر يتحدث عن مكانة قومه، وذلك بإلقاء العزة والمناعة على الجبل، فقومه سَـــراة القوم وخيارهم وعليتهم [2]، وقد استمد ذلك من جبال السّراة لعظمتها وعلوها، فهي تفصل بـــين تهامة واليمن،يقول الشاعر فيها: [3]

سقوني وقـــالوا: لا تُغَـــنّ! ولـــوْ ســـقوا جبـــال السّـــراة مـــا ســـقيت لغنّـــت

ويؤكد عنترة على علو منزلة قومه، بمقارنتهم بعلو الجبل وثباته، فيقول: [4]

(الطويل)

فـــإن يَـــكُ عِـــزّ فـــي قُضـــاعةَ ثابـــتٌ فـــإنَّ لنـــا بِرَحْرحـــانَ وأســـقُفِ

ويقول لبيد بن ربيعة في رثاء النعمان بن المنذر، وصفا كتيبة جيشه بالجبل: [5]

كأركـــان ســـلمى إذ بـــدت وكأنهـــا ذُرى أجـــأ إذ لاح فيهـــا مُواســـل

فالشاعر قرن ذروة الجبل بالشموخ والعزة، وهي أعلى نقطة، ولونت فضاءه بهذه القيم، وأضفت ذلك على جيش النعمان الذي لا يُنال منه.

وكانت أركان الجبل من أسس بناء فضاء الشجاعة والقوة، يقول معقر البارقي مشـــبها كتائب جيشه بأركان الجبل: [6]

---

[1] طفيل الغنوي، **ديوانه**، ص 98. المعقل: الجبل المنيع.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سرر).

[3] القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص 88.

[4] عنترة العبسي، **ديوانه**، ص 39. رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات.

[5] لبيد بن ربيعة، **ديوانه**، ص 263.

[6] الجبوري، **قصائد جاهلية نادرة**، ص 111.

فبـــاكَرهُم قبـــلَ الشُـــروق كتائِـــبٌ كأرْكـــانِ سَـــلمَى سَـــيْرُها مُتَـــواتِرُ

ويقول المهلهل بن ربيعة واصفا جيش قومه:

يـــوم ســـرنا إلـــى قبائـــل عـــوفٍ بجمـــــوعٍ زهاؤهـــــا كالجبـــــالِ

المطلب السَّادس: الحكمة والزهد

ويدخل القبر في فضاء الإيمانيات؛ إذ له روحانية مؤثرة وقوية على الإنسان تنزع مـن شخصه ونفسه كل طمع ورغبة في الدنيا، فهو يؤمن أنه ميت لا محال، ومهما عاش وسعى فإنه لن ينال الخلود، يقول حاتم الطائي في ذلك:[1]

(الطويل)

وإنـــي وإنْ طـــالَ الثَّـــواء لَميّـــتٌ ويَعظّمنـــي مـــاوِيَّ، بيْـــتٌ مَسَـــقَّفُ

ويقول عبيد بن الأبرص: [2]

(البسيط)

ولا محالـــةَ مِـــنْ قَبْـــرٍ بمحنيـــةٍ وكَفَـــنٍ كَسُـــراةِ الثـــورِ وضـــاحِ

فالشاعر يبين مصيره المحتوم، وأنه لابد في النهاية من لبس الكفـن الأبـيض، الـذي سيكون لباساً حتمياً لكل إنسان.

والقبر في فضاء القيم، هو الواعظ الحكيم، الذي لزم علينا الأخذ منه والاتعاظ به، يقول طرفة بن العبد:[3]

(الطويل)

أرى قبـــرَ نحّـــامٍ بخيـــلٍ بمالِـــهِ كقبـــرِ غـــويٍّ فـــي البطالـــةِ مُفســـدِ

أرى المـــوت يعتـــام الكـــرام ويصـــطفي عقيلـــةَ مـــال الفـــاحش المتشـــددِ

---

[1] حاتم الطائي، **ديوانه**، ص 74.

[2] عبيد بن الأبرص، **ديوانه**، ص 44.

[3] طرفة بن العبد، **ديوانه**، ص 26.

وتقول الخنساء: [1]

(البسيط)

كــل امــرئٍ بأثــافي الــدَّهر مرّجْــوم وكــل بيــتٍ طويــلِ السّــمكِ مهــدومُ

وهو بيت الأبدية ودار الحق، الذي لابد لكل إنسان أن يستقر فيه، ولن يستطيع العــودة إلى دار الدنيا، يقول الأفوه الأودي في ذلك: [2]

(الطويل)

إلــى حفــرةٍ يهــوي إليهــا بســعيهِ فذلك بيتُ الحــق لا الصــوف والشّــعرْ
وهــالوا عليــه التــرب رطبــاً ويابســاً ألا كلُّ شــيءٍ مــا ســوى تلــك يختبــرْ

ويقول تأبط شرا: [3]

(الطويل)

وإنّــكَ لــو لاقيتنــي بعــدَ مــا تَــرى وهــلْ يُلْقَــيَنْ مِــنْ غَيَّبَتْــهُ المقــابرُ

فقول الشاعر (غيّبتْه المقابر) يدل على الغياب بلا رجعة، ولذلك يجــب أخــذ العبــرة والعظة.

وفي فضاء القبر نلمس قيمة أخلاقية تفاخر فيها العرب، ألا وهي الكرم، فقد حدثنا يحيى بن عقاب عن علي بن حرب: " رأيت قبر حاتم طيء ببقة وهو أعلى جبل لــه واد يقــال لــه الخابل، وإذا قِدر عظيمة من بقايا قدور حجر مكفأة في ناحية من القبر من القدور التــي كــان يطعم فيها الناس، وعن يمين قبره أربع جوارٍ من حجارة، وعلى يساره أربع جوارٍ من حجارة،

---

[1] الخنساء، **ديوانها**، ص 123.

[2] الأفوه الأودي، **ديوانه**، ص 71.

[3] تأبط شرا، **ديوانه**، ص 28.

كلهن صاحبة شَعر منثور محتجرات على قبره كالنائحات عليه، لم يرَ مثل بيـــاض أجســـامهن، وجمال وجوهن مثّلهن الجن على قبره ". [1]

وفي ذلك يقول ابن دارة: [2]

قَـــرى قَبْـــرُه الأضْـــيافَ إذْ نَزلـــوا بِـــهِ ولـــمْ يقـــرِ قبـــرٌ قَبلَـــهُ الـــدّهْر راكِبـــا

وكان لصب الخمرة على القبر ما يمثل فضاء الكرم، يقول حاتم الطائي في ذلك: [3]

أمـــاويُّ إمَّـــا مُـــتُّ فاســـعي بِنُطفـــةٍ مِـــنَ الخمـــرِ فانضَـــحِنَّ بهـــا قبـــري

ففي طلبه من زوجته صبّ الخمرة على قبره بعد موته ما يدلل على كرمه وجوده.

المطلب السَّابع: العزَّة والشّجاعة

ومن القيم التي افتخر بها الجاهلي العزة والشموخ والشجاعة، وهي ماثلة فـــي فضـــاء القبر، يقول الحطيئة معبرا عن ذلك: [4]

(الطويل)

أبـــى لـــك أبّـــاءٌ أبـــى لـــك مجـــدُهُمْ سوى المجْدُ فانظر صاغِراً مـــن تنـــافرُه
قبـــور أصـــابتها الســـيوف ثلاثـــة نجومٌ هـــوت فـــي كـــل نجـــم مرائـــرُه
فقبـــرٌ بأجبـــال وقبـــرٌ بحـــاجرٍ وقبر القليـــب أســـعَر الحـــربَ ســـاعرُه

فقول الشاعر (نجوم هوت) يمثل شيئا يتسم بالعلو والرفعة، فالنجوم لا تكـــون إلا فـــي السماء، فيدل على علو قيمة ومنزلة من في القبر، وبذلك رفع القبر إلى منزلة عالية، ففي فضاء القيم نرى القبر مفخرة لما يحويه من الشجاعة والشرف.

---

[1] المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966 م، ص 470.

[2] القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص 76.

[3] حاتم الطائي، **ديوانه**، ص 93.

[4] الحطيئة، **ديوانه**، ص 115.

المطلب الثّامن: الأخذ بالثّــأر

وكان لصوت الهامة الذي يصدح في فضاء القيم معلناً، قيمة طالما كان العمل بها مــن صفات العرب الأعزاء، وهي الأخذ بالثأر، إذ إنهم اعتقدوا أن الهامة أو الصدى، طائر خرافــي يخرج من رأس القتيل الذي طُلَّ دمه ويقف على قبره صارخاً " اسقوني فانني صديَّة " ولا يزال كذلك حتى يؤخذ بثأر القتيل، فيختفي الطائر ثم لا يعود، واعتقدوا ذلك لولههم وولعهــم بالأخــذ بالثأر.

وفي ذلك، يقول ذو الإصبع العدواني مهددا ابن عمه المبغض له:[1]

يا عمروُ إنْ لمْ تَدَعْ شَــتْمي ومنقَصَــتي أضرِبْكَ حتى تقــولُ الهامــةُ: اســقوني

وقال شاعر لابنه يوصيه بأن يثأر له إن قتل، حتى لا تنادي هامته بالسقيا، لأن إهمــال الثأر عار ومصيبة يشيب لها الرأس: [2]

ولا تزقــون لــي هامــة فــوق مرقــبٍ فــإن زقــاء الهــام للمــرء عائــب
تنادي ألا اســقوني، وكــل صــدىً بــه وتلــك التــي تبــيّضُ منهــا الــذوائب

وعيب عليم ترك الثأر، وجسدوا ذلك بالهامة التي تصرخ وتطالب بثأر القتيــل، يقــول مُغَلس الفقعسي: [3]

وإنّ أخــاكُمْ قــدْ عَلِمْــتُمْ مَكانــهُ بِسَــفحٍ قَبــا تُســفى عليــهِ الأعاصِــرُ
لــهُ هامــةُ تــدعو إذا الليــلُ جَنَّهــا بَــن عــامرٍ هــلْ للهِلالِــيِّ ثــائرُ

فوجود هذا الطائر في فضاء القبر يزوده بشحنة من الرهبة والخوف تدفع أهل القتيل إلى الأخذ بالثأر.

---

[1] ذو الأصبع العدواني، **ديوانه**، جمع وتحقيق: عبد الوهاب العدواني، ومحمد فائق الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1973م، ص 92.

[2] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج2 / ص 312.

[3] **نفسه**، ص 312.

وخالف إحسان الديك هذا الرأي، ورأى أن صوت الهامة وصياحها يشير إلى مـــوروث قديم يرتبط بتقديس القبور، فصوت الهامة يبني فضاء القبر بطقوس سحرية يستدعون به المطر، ويستسقون به، فهذه الهامة عطشى تطلب الماء وليس الدم.[1]

المطلب التّاسع: الفخر والكرم

وتجتمع في فضاء البئر مجموعة من القيم التي طالما تغنى بها العربي وعـــدها قوتـــه اليومي، بدونها لا يهنأ له عيش. فامتلاك هذه البئر جزء من المكارم التي يتفاخرون بها، فهـــي ترتبط بالكرم حينا، وبالشجاعة حينا آخر، وكثيرا ما تكون حديث الشاعر وفخره، قال كعب بن الأشرف مفتخرا: [2]

ولنـــــــا بئـــــــرٍ رِوَاءٌ جَمّـــــــةٌ مَـــــنْ يَرِدْهـــــا بإنَـــــاءٍ يَغْتَـــــرِفْ
تُـــــدْلِجُ الجَـــــوْنَ علـــــى أكنافِهـــــا بِـــــدلاءٍ ذاتِ أمـــــراسٍ صُـــــدُفْ

فتعالى صوت الشاعر مفتخرا ومعتزا لامتلاك قومه هذا المكسب الحيوي الثمين، والذي يرى فيه الأبهة والمجد والقوة لهم.

وقال سنان بن الفحل في ذلك: [3]

فـــإن المـــاء مـــاءُ أبـــي وَجَـــدّي وبِئْـــرى ذو حَفَـــرْتُ وذو طَويـــتُ

فامتلاك أماكن المياه انعكس على فضاء القيم ليبرز قيمة الفخر التي أنشدها الشاعر في شعره.

وكرس امتلاكهم لأماكن المياه الشجاعة والقوة والعنوة التي تسبح في فضائها، وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم: [4]

---

[1] الديك، **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص 140، 141.

[2] الأصفهاني، **الأغاني**، ص 135، 136.

[3] المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، ج2 / ص 519.

[4] الزوزني، **المعلقات السبع**، ص 161.

(الوافر)

ونَشْـــربُ إنْ وَرَدْنـــا المـــاءَ صـــفواً ويشـــرَبُ غيرُنَـــا كَـــدِراً وَطِينـــا

فشجاعة قومه وقوتهم جعلتهم يسيطرون على موارد الماء، وبالتالي يشـربون صـافي الماء، وغيرهم ينتظر.

ونلمح في فضاء البئر، وجود بذور قديمة للنقائض، وهذا يتناغم مع الفخـر والتبـاهي بامتلاكهم لآبار الماء، إذ تجعل "أميمة بنت عميلة العبد ربه "، من بئر" أم أحراد" مفخرة لقومها، مقللة من شأن بئر بني "عبد الدار" المسماة " بدر "، فتقول: [1]

نحـــن حفرنـــا البحـــر أم أحـــراد ليســـت كبـــذر النّـــزور الجمـــاد

فترد عليها صفية بنت عبد المطلب مفتخرة بالخدمات التي تقدمها بئر بـذر للحجـاج، ومؤكدة على كرم قومها، فتقول: [2]

نحـــن حفرنـــا بـــذر تـــروي الحجـــيج الأكبـــر مـــن مقبـــلٍ ومـــدبرْ
وأم أحـــــراد شـــــرْ فيهـــا الجـــراد والـــذر وقـــــذَرٌ لا يُـــــذكرْ

ويستقي الشاعر من البئر العامرة قيمة الكرم والسخاء، يقول حاتم الطائي مادحـا ابـن الحارث الغساني لكرمه: [3]

(الطويل)

ســـقى الله رب النـــاس ســـحا وديمـــةً جنوب السَّـــراة مـــن مـــآبٍ إلـــى زُغـــر
بـــلاد امـــرىء لا يعـــرف الـــذم بيتـــه له المشرب الصَّافي ولـــيس لـــه الكـــدر

---

[1] ينظر: السهيلي، **الروض الآنف في شرح السيرة النبوية**، ترجمة: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثـة، القـاهرة، 1967م، ص 171.

[2] **نفسه**،ج1\ ص 173.

[3] حاتم الطائي، **ديوانه**، ص 48.

الخاتمة

أثر المكان المقدس في الإنسان تأثيرا واضحا، فأصبح جزءا من حياته، إذ ارتبط بوجدانه وحياته الروحية، فصار غناءه وأشواقه، ولذلك عظّمه وشكل مسار حياته فتغنى به.

فأضفى على بعض الأمكنة معنى مشبعا بالإجلال والقداسة، بحيث أصبح هذا المكان الوسيط للاتصال بالمتعالي والتقرب منه، تُقدم الجماعة المؤمنة فيه طقوسا تظهر العبودية، ونتج عن ذلك أن أصبح المكان المقدس لكل أمة مركز العالم وسرته، ومن ثم فإن البحث خلص إلى النتائج التالية:

- ربط معاني المقدس في اللغة والاصطلاح بالمكان، ولذلك قدم الإنسان لبعض الأماكن طقوسا تعبدية.
- إن المكان ليس معلما معماريا في حياة الأفراد والجماعات، بل كان ولا يزال وعلى امتداد التاريخ، يمثل الانتماء والهوية والوطن، ومن ثم فهو إحساس وشعور وإدراك، وبهذا التواصل بينهما سعى الإنسان إلى تقديس بعض الأمكنة.
- تصور البدائي الأمكنة عالما من الأرواح والقوة الغيبية، جعله يضفي عليها هذه القداسة، فعمل على استرضائها بممارسة طقوس معينة عله يحظى برضاها.
- استمر تقديس المكان في الفكرالجاهلي، وكان اعتقادهم بأنه يملك قوة خارقة مُتّفِق مع إيمان الشعوب الأخرى، وبقى هذا القديس جليا حتى يومنا هذا، فالقدس مقدسة ومكة مقدسة، وكل مسجد يصدح فيه الآذان مقدس.
- الشعر الجاهلي خارطة رسمت عليها علائم مجموعة من الأماكن التي حظيت بقداسة المجتمع الجاهلي، ومنها الأطلال، وأماكن الآلهة، والقبر والجبل والسوق وغيرها.
- كان الطلل معبدا، يتعبد فيه الشاعر باكيا متوسلا للمعبودة الأم – المرأة – التي بحضورها تبث الحياة والخصب في المكان، وبمغادرتها يضحي المكان قفرا.

- تتصل مكة بالطقس الديني المقدس، الكامن في الوعي الإنساني، وقد رسمت ظلالا وجدانية، ندية بالمعاني الروحية والتعبدية، وحفل الشعر الجاهلي بذلك

- حظيت معابد الأصنام وبيوتها بالاحترام والقداسة، فكانت كعبات أخرى يولّون وجوههم إليها.

- اتسمت الأسواق بأنها مواقيت مكانية مقدسة، يأتيها الحاج محرما يطوف بحجارتها ومن ثم يرتحل إلى مناسك الحج في مكة.

- حملت الجبال في شموخها وخلودها، القداسة ففي اعتقادهم أن علوها وقربها من العالم العلوي سبب ذلك، فأقاموا معابدهم على قممها وتصوفوا فيها.

- جاءت نظرة الإنسان الجاهلي للقبر، نظرة ممزوجة بالرهبة والخوف من الموت، وخاصة أن فكره انشغل في البحث عن الخلود، فنظروا إليه نظرة إجلال وإكبار.

- كان لأماكن تواجد المياه _ الآبار، الوديان _، وقع في حياة الإنسان، فنصب الأصنام عندها، وكان فيها مصير الغائب، وعندها قدم طقوسا تقديسية لها.

- يكرس المكان المقدس فضاءات متنوعة، باختلاف الأحداث التي تدور فيه والشعور الذي يخلفه، فكان هناك فضاء القفر والرفض، وفضاء القيم، وفضاء الحلم والجذب.

- تتقاطع الأطلال في دخولها ضمن فضاء الجذب، وفضاء الرفض، فهي بؤرة رفض بعدما كانت بؤرة جذب.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، ط5، دار الكتاب المقدس، القاهرة،2006 م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن: **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1965 م.

ابن الأثير، مجد الدين: المبارك محمد بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997 م.

الأحمد، سامي سعيد: **ملحمة جلجامش**، دار الجيل، بيروت، 1984 م.

أحمد، عبد الفتاح محمد: **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**، دار المناهل، بيروت، 1987م.

الأزرقي: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، دار الأندلس، بيروت، 1983 م.

الأصفهاني، أبو الفرج: **كتاب الأغاني**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936م.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1979 م.

الأعشى: **ديوانه**، تحقيق:محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندرية، 1950م.

الأفغاني، سعيد: **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط3، دار الفكر، بيروت، 1974 م.

الأفوه الأودي: **ديوانه**، شرح وتحقيق: محمد التونجي، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م.

الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح: محمد بهجة، طبعة 2، دار الكتب العلمية، 1970م.

امرؤ القيس: **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984 م.

أمية بن أبي الصلت: **ديوانه**، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، ط1، دار صادر، بيروت، 1998 م.

أوس بن حجر: **ديوانه**، تحقيق: محمد يوسف نجم، ط3، دار صادر، بيروت، 1979 م.

البابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي: م**عجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة**، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

بادنجكي، طاهر: **قاموس الخرافات والأساطير**، جروس برس، لبنان، 1996م.

الباش، حسن، والسهيلي، محمد: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، بيروت، (د. ت).

باشلار، غاستون: **جماليات المكان**، ترجمة: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.

باقر، طه: **ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م.

البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، دار بن كثير، 1993م.

بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1961م.

بشر بن خازم الأسدي: **ديوانه**، تحقيق: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960م.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري**، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983م.

البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب ولب لباب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349 هـ.

البكري، أبو عبيد: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، دار الكتب، بيروت، 1983م.

البوريمي، محمد منيب: **الفضاء الروائي في الغربة (الإطار والدلالة)**، آفاق عربية، بغداد، (د.ت).

تأبط شرا: **ديوانه**، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2003م.

ثعلب، أبو العباس: **شرح شعر زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، 2008م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبين**، دار الفكر للجميع، (د.م)،1968م.

الحيوان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1923م.

الجبوري، يحيى: **شعر عمرو بن شأس**، ط2، دار القلم، الكويت، 1983م.

جماعة من الأساتذة السوفيات: **أسس الجمال الماركسي**، دار الفارابي، بيروت، 1978م.

جيار، يوليوس: **الطب والتحنيط في عهد الفراعنة**، تعريب: أنطون زكريا، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.

حاتم الطائي: **ديوانه**، شرح: أبي صالح بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

الحارث بن حلزة: **ديوانه**، تحقيق: مروان عطية، ط1، دار الإمام النووي، دمشق، 1994م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد: **المحبّر**، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

حسان بن ثابت: **ديوانه**، تحقيق: سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1974 م.

حسن، حسين الحاج: **أدب العرب في عصر الجاهلية**، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1990م.

الحسين، قصي: **أنثروبولوجية الأدب (دراسة الآثار الأدبية على ضوء الإنسان)**، دار البحار، بيروت، 2009م.

الحطيئة: **ديوانه، رواية وشرح: ابن السكيت**، تحقيق: مفيد قمحية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

حفني، عبد الحليم: **مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1987م.

حمور، عرفان: **أسواق العرب**، دار الشورى، بيروت، 1979م.

الحموي، شهاب الدين ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1955م.

حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

الحوت، محمود سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، دار الكتب، بيروت، 1979م.

الحنبلي، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيري: **الدرر الفرائد في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2002م

خان، محمد عبد المعيد: **الأساطير والخرافات عند العرب**، ط3، دار الحداثة للنشر، بيروت، 1981م.

الخطيب، محمد: **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2004م.

الخليل، أحمد محمود: **في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، 1996م.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث: **ديوانها**، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، 1988م.

الخياري، أحمد ياسين أحمد: **حمام الحمى الحجازي**، ط1، إدارة المطبوعات بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، 1991م.

دالي، ستيفاني: **أساطير ما بين النهرين**، ترجمة: نجوى نصر، ط1، بيسان، 1997م.

دريد بن الصمة: **ديوانه**، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى: **حياة الحيوان الكبرى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

أبو دواد الإيادي: **ديوانه**، تحقيق: أنور الصالحي وأحمد السامرائي، دار العصماء، دمشق، 2010م.

الديار بكري، حسين بن محمد: **تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس**، المطبعة العامرة العثمانية، مصر، 1916م.

الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي** وأدبه،ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، باقة الغربية، فلسطين، 2016م.

صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي،ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، باقة الغربية، فلسطين، 2013م.

أبو ذؤيب الهذلي: **ديوانه**، تحقيق: أحمد خليل الشال، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، 2015م.

ذو الإصبع العدواني: **ديوانه**، جمع وتحقيق: عبد الوهاب العدواني ومحمد فائق الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1973م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1954م.

ربابعة، موسى: **تشكيل الخطاب الشعري(دراسات في الشعر الجاهلي)**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد، 2000م.

الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى**، دار العلوم، الرياض، 1985م.

الصورة الفنية في النقد الشعري، ط2، مكتبة الكتاني، إربد، 1995م.

الطير في الشعر الجاهلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1998م.

الروسان، محمد محمود: **القبائل الثمودية والصفوية (دراسة مقارنة)**، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1987م.

روسو، هيرفه: **الديانات**، ترجمة: متري شماس، المنشورات العربية، 1973م

الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، سلسلة التراث العربي، الكويت، 2001م.

زكي، أحمد كمال: **الأساطير (دراسة حضارية مقارنة)**، دار العودة، بيروت، 1979م.

زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، شرح: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2005م.

زيدان، عبد القادر عبد الحميد: **التمرد والغربة في الشعر الجاهلي**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002م.

سالم، السيد عبد العزيز: **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، دار النهضة، بيروت، (د.ت).

سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ط2، دائرة الثقافة، منظمة التحرير، عمان، 1989م.

السعد، جودت: **أوهام التاريخ اليهودي**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م

السكري، أبو السعيد الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ومحمود محمد شاكر، دار العروبة، القاهرة، 1956م.

سلامة بن جندل: **ديوانه**، صنعه: محمد بن الحسن الأحول، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

سليم، شاكر مصطفى: **قاموس الأنثروبولوجيا**، ط1، جامعة الكويت، 1981م.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي: الروض **الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1967م.

السواح، فراس: **دين الإنسان**، ط4، دار علاء الدين، دمشق، 2002 م.

لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط8، دار علاء الدين، دمشق، 2002م.

مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين، دمشق، ط11، 1996م.

موسوعة تاريخ الأديان، دار علاء الدين، دمشق، 2004 م.

أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، 1988م.

مظاهر من الحضارة والمعتقد في العصر الجاهلي، دار عمار، عمان، 1991م.

الشاهين، محمد عمر: **تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام**، دار الفكر، عمان، 2013م.

الشريف، أحمد إبراهيم: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.

شلحت، يوسف: **بنى المقدس عند العرب**، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1996م.

الشماخ بن ضرار: **ديوانه**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

الشنفرى، عمرو بن مالك: **ديوانه**، تحقيق: اميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م.

الشورى، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط1، الشركة المصرية للنشر، مصر، 1996م.

الصائغ، عبد الإله: **الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997م.

صفي بن الأسلت: **ديوانه**، تحقيق: حسن محمد باجودة، دار التراث، القاهرة، د.ت.

الضبي، المفضل: **المفضليات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط8، دار المعارف، مصر، 1942م.

ضيف، شوقي: **البطولة في الشعر الجاهلي**، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

أبو طالب: **ديوانه**، جمعه وشرحه: محمد التّونجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1960م.

جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الله تركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م.

طرفة بن العبد: **ديوانه**، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م.

طفيل الغنوي: **ديوانه**، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م.

الطل، محمد حماد: **هيكل سليمان وهم الحقيقة**، الناشر: المؤلف، عمان، 2005م.

عامر بن الطفيل: **ديوانه**، تحقيق: هدى جنهويتشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

العامري، فضل: **الدم المقدس عند العرب**، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، 2004م

عباس، إحسان: **تاريخ دولة الأنباط**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1987

عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1940م.

عبد الرحمن، نصرت:**الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، مكتبة الأقصى، عمان، 1976م.

الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، دار الفكر، عمان، 1985م.

عبد المطلب، محمد: **قراءة ثانية في شعر امرئ القيس**، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1996م.

عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، شرح: أشرف أحمد عدرة، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، دار الفارابي، بيروت، 1994م.

عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، تحقيق: محمد جبار المعيد، دار الجمهورية للنشر، بغداد، 1965م.

عروة بن الورد: **ديوانه**، شرح: سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، 1996م.

عسكر، قصي الشيخ: **الأساطير العربية قبل الإسلام وعلاقتها بالديانات القديمة**، دار معد، دمشق، 2007م.

علقمة الفحل: **ديوانه**، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، 1969م.

علي، أبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، لبنان، ط1، 2001 م.

علي، جواد: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، المجمع العلمي، بغداد، 1959 م.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1950 م.

العلي، صالح أحمد: **محاضرات في تاريخ العرب**، دار الكتب، الموصل – العراق، 1981م.

عمرو بن شأس: **ديوانه**، ط2، دار القلم، الكويت، 1983م.

عمرو بن قميئة: **ديوانه**، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، ط2، دار صادر، بيروت، 1994م.

عنترة العبسي: **ديوانه**، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، 2004م.

العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو؟، دراسات في التراث الشعبي**، دار المعارف، القاهرة، 1965م.

الغندجاني، الأسود: **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**، تحقيق: محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981

غيث، خالد يوسف: **الطقوس في الشعر الجاهلي**، دار الفتى العربي، كفر قرع، 2013م.

الفاكهي، أبو عبدالله بن محمد بن اسحاق: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، مكة المكرمة، 1986م.

فرانكوت، هنري: **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، ترجمة: ميخائيل خوري، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

فريزر، جيمس: **أدونيس أو تموز**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

جائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية، عمان، 1980م.

قطرب، محمد بن المستنير: **كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

قيس بن الخطيم: **ديوانه**، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1967م.

القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ط1، دار الإرشاد، بيروت، 1970م.

كايو، روجيه: **الإنسان والمقدس**، ترجمة: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010م.

ابن كثير، اسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م.

تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، (د. ت).

كدر، جورج: **معجم آلهة العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، بيروت، 2013م.

كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب: **الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م.

لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، شرح: الطوسي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.

لقيط بن يعمر الإيادي: **ديوانه**، تحقيق: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، 1998م.

الماجدي، خزعل:**الآلهة الكنعانية**، ط4، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.

الدين السومري،ط1، دار الشروق، عمان، 1988م.

المتلمس الضبعي: **ديوانه**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1970م.

المثقب العبدي: **ديوانه**، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، 1971م.

محجوب، سعاد: **وصف البيت الحرام في الأدب العربي**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (د.ت).

المحيسن، زيدون حمد: **حضارة العرب قبل الإسلام**، وزارة الثقافة، عمان، 2005م.

المخبل السعدي: **ديوانه**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، 2007م.

المرزوقي: **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.

المسعودي، علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

المظفر، محسن عبد الصاحب: **جغرافية المعتقدات والديانات**، دار الصفاء، عمان، 2010م.

معلوف، لويس: **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، 2003م.

المقدسي، مطر بن صالح: **البدء والتاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

مكي، صادق: **ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، 1991م.

ابن منبه، وهب: **كتاب التيجان في ملوك حمير**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1347هـ \ 1928م.

مندور، محمد: **فن الشعر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د. ت).

مهران، محمد بيومي: **الحضارة العربية القديمة**، دار المعرفة، الجامعة الإسكندرية، 2008م.

الموحي، عبد الرازق: **العبادات في الأديان السماوية**، الأوائل للنشر، سوريا، 2004م.

المولى، محمد أحمد جاد وآخرون: **أيام العرب في الجاهلية**، ط1، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، مصر، 1942م.

مونتاغيو، أشلي: **البدائية**، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1982م.

النابغة الذبياني: **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1996م.

ناصف، مصطفى: **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، منشورات الجامعة الليبية، مصر، (د.ت).

الناضوري، رشيد: **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، دار النهضة، بيروت، (د. ت).

نجمي، حسن: **شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000م.

نعمة، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994 م.

النعيمي، أحمد: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ط1، سينا للنشر، مصر، 1995م.

النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب، القاهرة، 1997م.

ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك: **سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم** –، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1995م.

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله: **السيرة النبوية**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1972م.

اليازجي، نسيم واكيم: **الحضارات القديمة**، دار علاء الدين، دمشق، 2000م.

يعقوب، عبد الكريم ابراهيم: **أشعار العامريين الجاهليين**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1982م.

اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن إسحاق: **تارخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، 1960 م.

اليوسف، يوسف: **بحوث في المعلقات**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م.

مقالات في الشعر الجاهلي، ط3، دار الحقائق، بيروت، 1983م.

قائمة الأبحاث والمقالات المنشورة

البياتي، عادل: ***مقدمة القصيدة الجاهلية***، **مجلة آفاق عربية**، آب، 1977م .

الجادرجي، رفعة: **العمارة المقدسة**، ع (251)، كانون ثاني/ 2000م.

ربابعة، موسى: ***نماذج من الخطاب المجازي في الشعر الجاهلي***، **مجلة جذور**، مج (2) / ج4، سبتمبر / 2000 م.

الطالب، عمر محمد: **صراع الحياة والموت في شعر امرئ القيس**، آداب الرافدين، العراق، ع(9)، أيلول / 1978 م.

العابدي، عبد الله محمد: ***المكان في معلقة امرئ القيس***، **مجلة جذور**، ج 31، ابريل /2011 م.

قادرة، غيثاء: ***المنهج الأسطوري في قراءة الشعر الجاهلي***، مجلة **دراسات في اللغة العربية**، ع (7)، خريف / 2011 م.

منصور، أنيس: **لأسباب اختار نوح الغراب**، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، لندن، ع (11168)، 2009 م.

موافى، عبد العزيز: **ثنائية *الأرض والمرأة وانتهاك المقدس، قراءة في ديوان أعراس لمحمود درويش*، مجلة القاهرة**، ع (151) / 1995 م.

الرسائل الجامعية

روحي، ثروت: **القبر في الشعر الجاهلي**، إشراف: إحسان الديك، مشهور الحبازي، جامعة القدس، القدس، 2001 م.

الديك، إحسان: **الماء في الشعر الجاهلي**، جامعة الإسكندرية، 1982م.

الندوات العلمية

الندوة العلمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية: **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الكتـــاب الثـــاني، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م.

مصادر أجنبية

Petit Robert: **Dictionnaire Francais** sur C.D

An-Naiah National University
Faculty of Graduate Studies

The holiness of the place in the pre-Islamic poetry

By
Manal Abdel Fattah Hussein Shtayyeh

Supervised by
Prof. Ihsan Al -Diek

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Naiah National University, Nablus, Palestine.

2017

The holiness of the place in the pre-Islamic poetry

By
Manal Abdel Fattah Hussein Shtayyeh
Supervised by
Prof. Ihsan Al -Diek

Abstract

This study tries to discover the Philosophy of the place, when the meaning is incomplete unless the place is appealed for and summed up the connotations with people since the start of history with focus of the holiness of the place in the pre-Islamic age, which changed from static nature into a world that reached the soul mind and heart, all this was embodied in the poetry of the pre-Islamic poets.

The study consists of introduction, three chapters and a conclusion. The researcher demonstrated the important of the study and the aim behind choosing it and the approach she followed in dealing with the poetic texts.

In the introduction, she dealt with the linguistical and idiomatic meaning of the holy. Then she passed through the holy place and through it comes in two topics: The first entitled " The holy place in the old human through " where the researcher stood in the relation between the place and time "sitting " which showed the faith of having an invisible power in nature that made some of the places holy.

While the second topic of this chapter under the title "The Arab Interitage and the holy place " where the researcher tried to appeal the holiness of the place in the Arab through, The pre-Islamic people belief hallow the existence of supernatural power made them.

The second chapter is for talking about the holy place in the pre-Islamic poetry through a group of places where the poet encompassed it by a corona of holiness, some of them are:remains, mecca the Gods of places, markets, mountains, tombs wells and valleys.

The last chapter is tagged by the spaces of the holy place; I showed in it what envelopes the place by relations, things, creatures and movements, the result of this is the space is analyzed into many spaces like the space of world,refusal values, attraction and dream.

I finished my study by a conclusion where I demonstrated the results of this work. I sum them up as follows:

- The appearance of the story relation between man and the place, the place involves in the deep of human self, the man caught with the place and greaten it.
- The myths appeared and expressed the holiness of the place in the life of the old man to explore what's stored in the human thought of beliefs that carry the character of holiness for some places.
- The Arab thought was far from the old man's thinking, he made some places and practiced worshipping rites near them which indicates the greatness of the place in the Arab life.
- Some places were sanctified, and on its lands, sacrifices, gifts and awards were given.

- Mecca was the most important place which come out of its geographical meaning to a soul meaning, if had the greatest effect since the beginning of history.